تاريخ الدّولة السّعوديّة

حتى الرّبع الأول من القرن العشرين

تأليف • الدكتورة مديحة أحمد درويش




تاريخ الدولة السعودية
حتى الربع الأول من القرن العشرين

تاريخ الدولة السعودية

حتى الربع الأول من القرن العشرين

تأليف ● الدكتورة مديحة أحمد درويش

وكيلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ● قسم الطالبات ●

بجامعة الملك عبدالعزيز



للنشر والتوزيع والطباعة

الإهـــداء

... إلى نفس أعز عليّ من نفسي.. الى الروح الطيبة الطاهرة التي صعدت الى بارئها راضية مرضية..

بعد أن تركت وراءها مثلاً أعلى في الأبوة الحانيــة... وفي التضحـــيـة وانكـار الـذات والعطاء من غير حدود..

الى روح والدي العزيز...

أهدي باكــورة أعمــالي...

مديحة درويش

الغلاف تصميم الفنان
عبد السلام الشريف

الطبعة الأولى
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

نرى لزاماً علينا قبل أن نتناول بالبحث والدراسة تاريخ الدولة السعودية موضوع هذا الكتاب، أن نوضح ما هو المقصود من (الدولة السعودية) فهناك ثلاث دول قامت في شبه الجزيرة العربية منذ ١١٥٨ (١٧٤٥م) تعرف بهذا الاسم، وهي الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثــة، فــأي من هــذه الــدول سيكون موضوع بحثنــا؟ وللإجابة على هذا السؤال يتحتم علينا أن نقدم نبذة نخلص منها إلى تحديد موضوع بحثنا.

لقد اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد المعنى المقصود (بالدولة السعودية) وعلى أي من الدول الثلاث يمكن إطلاقه، وهل هناك مواصفات خاصة يمكن أن تتميز بها إحداهن حتى يمكن أن تختص بهذا العنوان دون غيرها، ولما كان الأمر كذلك فقد رأينا من المفيد أن نبين أوجه الشبه وكذا أوجه الخلاف بينهما حتى نستطيع أن ننتهي إلى تحديد منطقي مقنع يقبله العقل ويقره القارىء الكريم.

أما عن أوجه الشبه، فمن المعروف أن الدول الثلاث تنتمي إلى أصل واحد إذ أن جدهم الأكبر مؤسس إمارة الدرعية (١١٣٨ هـ- ١٧٢٥م) وهو محمد بن سعود، كما بدأت ثلاثتها في الدرعية وكانت الرياض عدوتها

الأولى، كما حرصت كل منها على نشر الدعوة السلفية تطبيقاً للمذهب الحنبلي السائد في نجد. ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الدول السعودية الثلاث كانت وما تزال تتبع أقوى وأنجح نظام في نشر الأمن والسلام في ربوع الجزيرة العربية، وفي ذلك يقول ابن سند[1] رغم عدائه لال سعود، انه من محاسنهم، «إنعدام الشر وتأمين الطرق والسبل. فانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش إلى الانسانية، واستهووا كثيراً من الناس».هذا بالإضافة إلى أن الدول الثلاث، قد قامت في عارض نجد وتوسعت شرقاً وغرباً لتوحيد أكثر أجزاء شبه الجزيرة العربية.

أما أوجه الخلاف بينها فتكاد لا تذكر إذ هي من مقتضيات الأحوال واختلاف طبائع الأشخاص، إذ لا بد وأن يكون هناك فارق في نشوء هذه الدول وتطورها، كما أن كلاً من الأولى والثانية انتهت بطريقة مختلفة. وإذا كان آل سعود قد توسعوا في فتوحاتهم في الدولة الأولى والثانية، وهذا شيء بديهي تقتضيه طبيعة الدول الناشئة، ولكنها دخلت في طور جديد من الاستقرار والبناء في الداخل في الدولة الثالثة مع إقامة علاقات تعاون وسلام مع دول العالم الحر في الخارج.

وإذا رجعنا إلى القانون الدولي العام في تحديد لفظ الدولة لوجدنا أنه يعني إقليم بعينه يسكنه جماعات متجانسة يتكلمون لغة واحدة، تحكمها علاقات واحدة، أياً كان شكلها السياسي من ملكية أو جمهورية أو أوتقراطية أو غير ذلك[2]. وبعبارة أخرى إن الدولة هي عبارة عن مجموعة من أرض وشعب وحكومة[3].

---

(١) ابن سند: مطالع السعود في طيب أخبار الوالي داود.

(٢) وحيد رأفت: القانون الدولي العام، ص ٣.

(٣) علي عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم، نقد وتعليق الدكتور ممدوح حقي، ص ١٥٩.

وهكذا نستطيع القول بأن لفظ « الدولة السعودية » يمكن إطلاقه على الدولة السعودية في مرحلتها الأولى والثانية وبداية الثالثة حتى عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م وبعد هذا التاريخ انتقلت الدولة السعودية إلى شكل جديد من أشكال الحكم السياسي. حيث وحدت جميع قطاعات الدولة التي أقامها الملك عبد العزيز وأطلق عليها جميعاً اسم « المملكة العربية السعودية ».

والآن نستطيع أن نجيب على السؤال الذي طرحناه آنفاً ألا وهو: ما المقصود بالدولة السعودية؟ فنقول إن الذي نعنيه هنا في هذا البحث بالدولة السعودية إنما هو دولة آل سعود في مراحلها الثلاث إلى ما قبل تحويل اسم الدولة إلى « المملكة العربية السعودية »، أي حتى الربع الأول من القرن العشرين عند ضم الإمام عبد العزيز للحجاز في عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م.

وهكذا فقد تناولنا في بحثنا هذا دراسة الدول السعودية الثلاث إلى ما قبل قيام المملكة العربية السعودية، وقدمنا لها بمقدمة عرضنا فيها لأحوال شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الدولة السعودية الأولى.

ثم قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول، خصصنا الفصل الأول لنشأة الدولة السعودية الأولى فتناولنا ترجمة حياة محمد بن سعود مؤسس إمارتها ودولتها الأولى وكذا الدعوة السلفية وذلك في إيجاز. ثم تكلمنا عن كيفية توحيد نجد، وضم الاحساء وكذا إقليم الخليج وعُمان. كذلك بحثنا ضم الحجاز وأجزاء اليمن جنوباً والوصول إلى أطراف الشام والعراق شمالاً. واختتمنا دراسة الدولة السعودية الأولى بذكر الأسباب التى أدت إلى سقوطها.

وتناولنا في الفصل الأول كذلك نشأة الدولة السعودية الثانية ثم تناولنا

بالبحث والدراسة أسباب قيام الحرب الأهلية وسقوط الدولة الثانية في النهاية.

واحتوى الفصل الثاني نشأة الدولة السعودية الثالثة وكيف استطاع عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بناء الدولة الجديدة. كما بينا موقف بريطانيا من الإمام عبد العزيز. ثم تناولنا دراسة النزاع السعودي الهاشمي ومراحله والموقف البريطاني تجاه هذا النزاع. وأفردنا الفصل الثالث لبيعة الإمام عبد العزيز ملكاً على الحجاز وموقف العالم الإسلامي منه. وتلا ذلك شرح مفصل للمؤتمر الإسلامي الذي عقد بمكة عام ١٣٤٤ - ١٩٢٦ والنتائج التي توصل إليها. واختتمنا هذا الفصل بأعمال الملك عبد العزيز الاجتماعية والاقتصادية.

وإتماماً للفائدة فقد زودنا الكتاب بعدد من الخرائط ورسم توضيحي وبفهرس مفصل للمراجع وآخر للأعلام والأماكن.

وإنا لنرجو أن نكون قد أضفنا لبنة في بناء صرح المملكة العربية السعودية، التي هي في الواقع الركيزة الأساسية للنهضة الإسلامية عامة والعربية خاصة.

والله ولي التوفيق

دكتورة مديحة درويش

شعبان ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

تمهيـــد

أحوال شبه الجزيرة العربية قبل الأسرة السعودية

إن المتصدي لدراسة تاريخ الأسرة السعودية، يجد لزاماً عليه أن يرجع إلى الوراء قليلاً لمعرفة أحوال الجزيرة العربية قبل مجيء تلك الأسرة، ذلك أن الفترة التي بدأت فيها هذه الأسرة بالظهور على مسرح الأحداث كانت عبارة عن سلسلة من المعارك المتتابعة التي شملت معظم أجزاء جزيرة العرب وأجزاء من العراق وأطراف الشام نتيجة محاولة آل سعود بسط نفوذهم على تلك الولايات لتحقيق الهدف الأكبر وهو توحيدها تحت راية واحدة في ظل كتاب الله وسنة رسوله. ولقد عانى آل سعود الكثير في سبيل تحقيق هذا الهدف، حيث واجهوا قوى متعددة داخل شبه الجزيرة وخارجها كانت تخشى خطورة تلك القوة النامية[١].

وبرغم ما تعرضت له الأسرة السعودية من المخاطر والصعاب في مراحل تاريخها الأول إلا أنها صمدت لها وتغلبت عليها حتى غدت أنموذجاً فريداً يحتذى في الجزيرة العربية في ذلك العصر. وإذا أضفنا إلى ما تقدم حركة الإصلاح السلفية التي نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي أطلق عليها (الدعوة الوهابيـة)، والـتي قامت الأسرة السعودية على الأخذ بيدها

---

(١) الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية. المجلد الأول ١٩٧٢، ص ٣٧ وما بعدها.

ومؤازرتها، لتبين لنا مدى الأهمية التي يجب أن نوليها لمعرفة أحوال الجزيرة قبيل تولي هذه الأسرة زمام البلاد.

وكانت نجد أكبر قسم من أقسام بلاد العرب[٢] وتقع وسط شبه الجزيرة، ولم تكن نجد خاضعة في ذلك الوقت للدولة العثمانية، إذ لم تكن ضمن التقسيمات الإدارية التابعة للدولة العثمانية والتي وضعت في أوائل القرن السابع عشر وظلت كذلك حتى أوائل القرن التاسع عشر[٣]. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الدولة العثمانية لم يعنها كثيراً أن تخضع هذه المنطقة الداخلية لنفوذها لأنها لا ترى في ذلك فائدة تذكر، رغم وجود نفوذها على أطراف نجد في الحجاز والاحساء، وإن كانت سيطرتها على المنطقة الأخيرة اسمية لأن إدارتها الحقيقية كانت في يد قبيلة بني خالد منذ عام ١٠٨٠ هـ- ١٦٧٠ م[٤].

وكانت نجد مقسمة إلى عدة إمارات صغيرة، يقوم على كل منها أمير يشتد عوده أو يضعف حسب مهارته وكفاءته الشخصية. على أن هذه الإمارات لم يكن يربط بينها رابطة سياسية، بل إن العلاقات بينها كان يسودها الفتور والجفاء[٥].

---

(٢) حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٣.

(٣) ساطع الحصري: الدولة العثمانية والبلاد العربية ص ٢٣٨ - ٢٣٩،

Winder, R. B: Saudi Arabia in 19 Century, P. 29.

(٤) عبد الكريم غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث، حـ ١، ص ٣٤

Winder, R. B. op. cit, P. 29.

(٥) عمر رضا كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ٦٠. Winder, B: op. cit.

أمين الريحاني: نجد وملحقاته، ص ٦١.

على أن أهم الإمارات وأقواها عدة وعتاداً أربعة هي:

١) إمارة الدرعية[٦] ويرعى أمورها الأمير محمد بن سعود.
٢) إمارة الرياض[٧] ويتولى زمامها الأمير دهام بن دواس.
٣) إمارة العيينة[٨] ويقوم عليها الأمير عثمان بن معمر.
٤) إمارة الخرج[٩] ويتولاها الأمير زيد بن زامل الديلمي.

أما عن الحالة الإجتماعية فلم يكن إقليم نجد يختلف عن غيره من أقاليم الجزيرة العربية الذي تميز بسمات كانت سائدة منذ أقدم العصور. فقد كانت القبيلة أساس الوحدة الاجتماعية ولكل قبيلة شيخها الذي تنتهي إليه الرسالة. ويتفاوت أفراد القبيلة الواحدة فيما بينهم في الغنى والفقر، كما ينقسم أفراد القبيلة إلى البدو الرحل والحضر المستقرون. أما البدو منهم الذين ينتقلون من مكان إلى آخر سعياً وراء الكلأ والمرعى فإذا ضنت عليهم الأرض فلا سبيل أمامهم إلا القتال أو الهجرة إذا كان الى الهجرة سبيل. أما الحضر فقد كانت لهم صفة الاستقرار إذ أنهم يسكنون الواحات والقرى، وإن اختلفت طباعهم باختلاف المناطق التي يعيشون فيها وظروف الحياة التي تحيط بهم. وبرغم كل ذلك فإن حياة الحضر كانت

---

(٦) الدرعية: العاصمة الأولى لآل سعود وتقع في الجهة الشمالية من وادي حنيفة غربي الرياض وعلى بعد (١٢) كم منها.

(٧) الرياض: تقع في قلب نجد وتنخفض الأرض المشيدة عليها عن مستوى البحر بمقدار (١٠٠) قدم تقريباً حتى أن القادم من الشمال أو الشرق لا يراها إلا من قريب. ويحيط بالرياض بساتين النخيل. وقد اتخذها آل سعود عاصمة لهم بعد تخريب الدرعية (١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م).

(٨) العيينة: تقع شمال غربي الرياض وكانت قاعدة لإمارة آل معمر الذين كانوا تحت نفوذ حاكم الاحساء.

(٩) الخرج: تقع في الجنوب الغربي من العارض في وادي حنيفة من الضفة اليمنى للوادي قرب الرياض إلى الصحراء الجنوبية، ومن حدود الحريق والحوطة في الجنوب الغربي إلى الصحراء الشرقية وهي من أغنى إمارات نجد بالمياه وأخصبها تربة.

متأثرة إلى حد كبير بحياة البدو لما بينهم من صلات القربى والمصاهرة والتجارة.

على أننا نستطيع القول بأن المجتمع النجدي كان في ذلك الوقت مجتمعاً قبلياً يقوم على القوة وحدها في سبيل الاستيلاء على السلطة والرزق والثراء[١٠].

أما عن حالة أهل نجد الثقافية والدينية فقد كان يسودها الجهل والضلالة مما جعل تلك المنطقة، بل ومعظم أجزاء الجزيرة العربية في تلك الوقت مرتعاً خصيباً لكثير من البدع والخزعبلات، وذلك لضعف معرفتهم بقواعد وأسس الإسلام الصحيحة، ومن ثم تمكنت من نفوسهم كثير من العادات والعقائد الخاطئة البعيدة عن الإسلام[١١].

ونجد وصفاً شاملاً لما كانت عليه الديار النجدية وما جاورها من الشرك والضلالة والفساد في كتاب المؤرخ النجدي عثمان بن بشر حيث قال[١٢]:

«وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر».

وليس من شك في أن هذه الحالة السيئة التي وصل إليها حال المسلمين، كانت في حاجة ماسة إلى مصلح يعمل على إصلاحها، وإبراز الدين

---

(١٠) عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى، ص ٢١ - ٢٢.

(١١) حسين بن غنام: تاريخ نجد (تحقيق ناصر الدين الأسد) ص ١١.

(١٢) عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ ١ ص١٦.

الإسلامي في إطاره الصحيح[١٣]، وذلك إلى جانب أمير حاكم يخاف الله في دينه وأمته ووطنه. ولما كان المذهب الحنبلي هو المذهب السائد في نجد، فقد ظهر من بين فقهائها الحنابلة نزعة تجديدية إصلاحية، قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولعل أهمهم الشيخ عثمان بن أحمد النجدي المتوفى (١٠٩٧ هـ - ١٦٧٥ م) الذي صنف كثيراً من المؤلفات في الفقه الحنبلي[١٤].

هذا سرد موجز لحالة إقليم نجد من الناحية السياسية والإدارية والإجتماعية قبيل قيام الدولة السعودية الأولى تبين لنا الخلفية التاريخية التي سبقت قيامها.

---

(١٣) Paigrave, william: Norative of a year's jaurney through Central and Eastern Arabia (1825).

(١٤) عثمان بن بشر: المرجع السابق، جـ ١ ص ٨٦.



الفصل الأول

نشأة الدولة السعودية وتطورها

- آل سعود والدعوة السلفية
- توحيد نجد وضم الاحساء
- ضم إقليم الخليج وعمان
- ضم الحجاز واليمن وأطراف الشام والعراق
- سقوط الدولة السعودية الأولى
- الدولة السعودية الثانية
- الحرب الأهلية وسقوط الدولة

١٢٨٢ - ١٣٠٩ هـ

١٨٦٥ - ١٨٩١ م



آل سعود والدعوة السلفية

لقد اتفق جمهور المؤرخين على تقسيم تاريخ آل سعود الى ثلاث فترات اصطلحوا على تسمية الفترة الأولى، الا وهي فترة التكوين والتأسيس باسم (الدولة السعودية الأولى). والفترة الثانية التي بدأت بظهورها على مسرح الأحداث السياسية باسم (الدولة السعودية الثانية). أما الفترة الثالثة فعرفت (بالدولة السعودية الثالثة) حتى إذا ما اكتمل كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وذلك سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٢ م عرفت باسم (المملكة العربية السعودية). ولما كان هذا التقسيم يتفق ومجريات الأحداث وطبيعة تطور تاريخ هذه الأسرة، فقد رأينا الأخذ به، حسب ما فصلنا في المقدمة.

وحري بأسرة هذا شأنها أن نتعرف على أصلها، لذلك فقد رأينا أن نذكر في إيجاز نسبها حتى نصل إلى محمد بن سعود مؤسس إمارتها ودولتها الأولى.

يرجع نسب الأسرة السعودية إلى قبائل ربيعة[١] التي تمتد فروعها في نجد والعراق وسوريا ومن ثم فهي من أكثر القبائل العربية عشيرة وعدداً. أما عشيرة آل سعود التي منها جدهم مانع بن المسيب[٢] الملقب بالمريدي فهي

---

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جـ ١، ص ٢٩
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٦٢، Philby, J.: Saudi Arabia, P.9
(٢) صلاح الدين المختار: المرجع السابق ص ٢٩؛ Winder, r, b.: op. cit, P. 13

مسالخ إحدى قبائل عنيزة. وكان المريدي يسكن بلده الدروع من أعمال القطيف. وهناك تصاهر مع عشائر حجر واليمامة والجرعة[٣] التي كانت تربطه بهم صلة نسب، كما ارتبط مع رئيسها ابن درع بوشائج الود والتفاهم، فقد قامت بينهما مراسلات إنتهت بقدوم مانع المريدي إلى صديقه سنة (٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م) الذي رحب به وأكرم وفادته فأقطعه أرض المليبيد وعيينة بالقرب من الدرعية[٤]، فاستقر بها واتخذها داراً له ولأسرته. وقد اتسعت رقعة ديار آل المريدي عندما ضم اليها أولاده من بعده أراضي آل يزيد وآل دغيثر واستولوا على منازلهم[٥] واستقر مقام آل المريدي في تلك المنطقة وأصبحت إمارة لها كيانها المستقل. ولما تولى حكمها الأمير مقرن بن مرخان، اختار الدرعية مقراً للإمارة وذلك سنة (١١٠٠ هـ - ١٦٨٢ م) وظلت الدرعية عاصمة الإمارة في عهد ابنه سعود الذي بدأت إمارته لها سنة (١١٣٨ - ١١٧٩ هـ) - (١٧٢٥ - ١٧٦٥ م) حيث بدأت الإمارة السعودية طوراً جديداً في تاريخ آل سعود وتاريخ الجزيرة العربية كلها[٦].

وقد تصادف أن ظهر في عهد محمد بن سعود في إمارة العيينة، مصلح ديني كبير هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ولد سنة (١١١٥ هـ - ١٧٠٣م) في بلدة العيينة التي تقع في شمال الرياض عاصمة نجد، وقد تلقى علومه الأولية على يد والده ثم رحل في سن الصبا إلى الاحساء والحجاز والبصرة وكذا فارس[٧] ثم عاد إلى نجد وقدهاله ما أصاب الشريعة الإسلامية من عقائد الجاهلية والبدع والخرافات. فعقد العزم على التفرغ لدعوة

---

(٣) فريد مصطفى: آل سعود في التاريخ، ص ٦ - ٨.

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى، ص ٢٧.

(٥) Philby, J. op. cit, P. (9).

(٦) انظر شجرة النسب.

(٧) مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص ٩ (تحقيق أحمد أبو حاقة).

إصلاحية دينية صحيحة لمحاربة البدع والخرافات، وفي سبيل ذلك عكف محمد بن عبد الوهاب على دراسة الدعوة الإسلامية الإصلاحية التي قام بالدعوة لها ابن تيمية في أواخر القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن والتي تقوم على إنكار التعاليم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة وكذا الغلو في حب الأنبياء والأولياء ،وبالصلاة عند القبور والدعاء عندها والاستغاثة بالموتى وطلب الغفران منهم[٨]. وقد تأثر شيخنا بشخصية أحمد تقي الدين ابن تيمية[٩] حتى أنه يمكن القول بأن دعوته هي استمرار لدعوة ابن تيمية، ذلك أن المبادىء التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت هي نفس المبادىء التي سبقه بها ابن تيمية بأربعة قرون، إذ أن كلاً منهما نادى بالرجوع إلى الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح. وهكذا نرى أن دعوة محمد بن عبد الوهاب تقوم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وفي العقائد تتبع السلف الصالح وتخالف من عداهم، فهي بذلك تطابق ما كتبه ابن تيمية وأتباعه وخاصة ابن القيم وابن كثير في كتبهم وإن كانت تخالفهم في مسائل معدودة من فروع الدين[١٠]. وإذا كانت دعوة ابن تيمية قد انتهت بالفشل وأن جهوده لم تؤت أكلها، لأن رجال الدولة في ذاك الوقت كانوا ضده فإن دعوة محمد بن عبد الوهاب[١١] قد كتب لها النجاح والانتشار عندما تحالف مع أمير الدرعية محمد بن سعود[١٢] الذي أخذ يؤازره بكل ما

---

(٨)حافظ وهبه: المرجع السابق، ص ٣١٨.

(٩) محمد أبو زهرة: ابن تيمية، ص ٦، عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٣٥.

(١٠) حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٣٢٠.

(١١)لقد أطلق على الدعوة اسم (الدعوة السلفية) أو (الدعوة الوهابية). أما أتباع الدعوة فيطلقون على أنفسهم (حنابلة) أو (الموحدين) أو (السلفيين) ويحبون من الناس أن يطلقوا عليهم هذه الأسماء (محمد حامد النقي: أثر الدعوة الوهابية، ص ٤، عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص٣٧).

(١٢) عبد الحميد البطريق: الوهابية دين ودولة ص ٤٢ (مجلة كلية البنات بعين شمس سنة ١٩٦٤).

يملك من الوسائل، فقام بنشر الدعوة بالطرق السلمية أولاً ثم بالاستعانة بحد السيف ثانياً.

جدّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نشر دعوته في نجد بعد وفاة والده سنة (١١٥٣ هـ - ١٧٤٠ م) لما كان بينهما من خلاف حول أسلوب الدعوة، إلاّ أن الدعوة لم تلق قبولاً في ذلك الوقت، فقد كان من أشد خصومه رجال الدين وخاصة سليمان بن سحيم وأبو محمد، وهما من رجال الدين، اللذان عارضا الدعوة في التوحيد، وبذلا ما استطاعا من جهد في سبيل تنفير الناس من المبادىء التي يدعو إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. أما بالنسبة للحكام والعلماء، فإنهما صوراها لهم على أنها تدعو في ظاهرها إلى الدين وأنها تحمل في باطنها القضاء على سلطانهم وإحراج مركزهم وكرامتهم(١٣).

لقد بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نشر دعوته في حريملا من بلدان العارض، فشاع أمره في العيينة والدرعية والرياض وأتى إليه كثير من أهلها واعتنقوا دعوته، وفي ذلك الوقت ألف كتابه (التوحيد الذي هو الحق على العبيد). ولكن حدث أن حاولت إحدى قبائل حريملا، الاعتداء عليه والفتك به، مما يجعله يتركها وينقل نشاطه الى العيينة مسقط رأسه، ومقابلة أميرها عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر الذي أحسن مقابلته، وأكرم وفادته بل وأصبح من أتباعه العاملين على نشر دعوته. وقد ساعده تعضيد الأمير لدعوته إلى أن يقوم بهدم كثير من القباب والمساجد المبنية فوق المقابر والأضرحة وتطبيق وتنفيذ الحدود - فاستغل أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب التطبيق العملي للحدود وأوغروا صدر أمير العيينة ضده فما كان منه إلاّ أن طلب من الشيخ مغادرة العيينة.

---

(١٣) حسين بن غنام: المرجع السابق ص ٧٧.

وبرغم خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب مطروداً من العيينة، إلاّ أن الفترة التي قضاها فيها كانت لها دون شك أثر فعّال في نشر الدعوة في أنحاء نجد، مما جعل اسمه معروفاً عند أمراء المناطق جميعها، فلما انتقل إلى الدرعية أحسن أميرها محمد بن عبد سعود استقباله وكان له أكبر عون في مواصلة جهوده (السلفية). على أننا إذا أردنا تحري الدقة في علاقة الشيخ بالأمير محمد بن سعود فعلينا أن نذكر في شيء قليل من التفصيل تاريخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية ومعاملة أميرها له، لما لها من أهمية خاصة في تاريخ الدولة السعودية أولاً وللدعوة السلفية ثانياً.

تحدثنا المراجع التاريخية، أن محمد بن عبد الوهاب عندما ذهب إلى الدرعية نزل عند تلميذه أحمد بن سويلم فالتف حوله جمع غفير من مريديه. كان من بينهم أخوا الأمير محمد بن سعود، ثنيان ومشاري اللذان حاولا إقناع أخيهما الأمير بمقابلة الشيخ. وقد نجحا في محاولتهما عن طريق زوجة الأمير السيدة موضى بنت أبي طيان التي أنهت حديثها مع زوجها عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائلة له: «إن هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به» ولعل هذه العبارة كانت محور أو جوهر السياسة التي اتخذها زوجها حيال (الدعوة السلفية) فقد اعتبرها دعوة دين ودنيا.

اقتنع الأمير محمد بن سعود برأي زوجته وأخويه، فسار إلى الشيخ بعد مجيئه الدرعية بفترة قصيرة وأظهر له التعظيم والتوقير[١٤]، ورحب به قائلاً: «أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعز والمنعة» فرد عليه الشيخ «وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهي كلمة لا إله إلاَّ الله، من تمسك بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل، من أولهم إلى آخرهم». إلاَّ أن الأمير محمد بن سعود كان صريحاً مع

(١٤) صلاح العقاد: دعوة حركات الإصلاح السلفي ص ٩٠.

نفسه ومع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فلم يرد أن يسير في نصرة دعوة لا يدري إلى ما تنتهي به أمور إمارته، فأراد أن يستفسر من الشيخ عن أغراضه ومراميه وأن يعقد عهداً وميثاقاً.

فقال له: « ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد. وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهكذا كان الإتفاق بين الأمير والشيخ النواة الأولى في بناء صرح الدولة السعودية الأولى وعلو شأن آل سعود[١٥].

لقد كان هذا الإتفاق فاتحة خير وبركة، إذ لم يكد يتم هذا العهد سنة (١١٥٨ هـ- ١٧٤٥م) حتى تقاطرت الوفود من كل الإمارات على الدرعية، وأصبح محمد بن سعود أول أمير وهابي[١٦] في نجد فتحولت الدرعية إلى عاصمة دينية وسياسية وحربية في نفس الوقت، مما أدى إلى تحسن أحوالها الإقتصادية بسبب ما يحصل عليه أهلها من الغنائم ممن هاجر إليها ومن الزكاة التي أصبحت تجبيها من البلدان التى خضعت للدرعية. وما كاد عثمان بن معمر يسمع بهذا الإتفاق حتى سارع إلى مناصرة الشيخ والأمير محمد بن سعود، ولكن الأحداث التي تلت ذلك دلت على أنه لم يكن صادقاً فيما أبداه، ولكنه كان يريد بذلك أن يتقي غضب الشيخ على فعله معه.

---

(١٥) عبد الحميد البطريق: المرجع السابق، ص ٤٧.
(١٦) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، ص ٢٣٠.

توحيد نجد وضم الاحساء

لقد استغرقت عملية توحيد نجد أكثر من أربعين عاماً خاضت خلالها إمارة الدرعية كثيراً من الحروب المريرة مع إمارات هذا الإقليم، بل لم تخل مدينة أو قرية في نجد كلها إلاَّ ودخلت مع آل سعود في حرب، وقد كان ذلك نتيجة طبيعية لما وصلت إليه الإمارة من علو في الشأن وزيادة في النفوذ بعد أن تحالف أميرها محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فانقسم أمراء الولايات الأخرى الى شيع وأحزاب بعضهم يخطب ودها ليأمن خطرها ومنهم من أعلن مناهضتها خوفاً من اتساع نفوذها.

ولعل أهم الأسباب ، بعد العامل الديني التي ساعدت إمارة الدرعية على ابتلاع إمارات نجد الواحدة تلو الأخرى هو عدم اتحاد تلك الإمارات وإهمال تنسيق جهودهم إزاء التوسع السعودي، مما جعل الدرعية تنتهز

فرصة التفرقة وتستغلها في شن الحرب على كل واحدة منها منفردة. مثال ذلك ما حدث بالنسبة لبلدان العارض إذ نرى أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر، رغم إعلانه الخضوع للدرعية منذ البداية ومشاركته في حروب آل سعود ضد الرياض وتولى إمارة جيوشهم عدة مرات إلاَّ أن الأحداث أثبتت أنه لم يكن صادقاً في ولائه للدرعية، ففي عام ١١٦٠ هـ لم يشارك في موقعة دلقة[١] ضد دهَّام بن دواس ولكنه لما علم باكتشاف أمره طلب من الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب الصفح والغفران، فأُجيب الى مطلبه، ولكن عثمان بن معمر لم يرتدع واستمر في نفاقه ضد الدولة السعودية[٢]، فأخذ يعمل في الخفاء على توجيه ضربة قوية لها وذلك بعقد اتفاق[٣] سري مع أمير ثرمداء وأمير الرياض دهَّام بن دواس ولكن سرعان ما اكتشف أهل بلده عدم صدقه في الولاء للدولة السعودية عدة مرات، فقام جماعة منهم بقتله سنة ١١٦٣هـ-١٧٤٩م. ثم أمر الأمير سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بتقليد ولده مشارى بن معمر، أمور إمارة العيينة ولكن لما ثبت لهم عدم إخلاصه توجسا منه خيفة وعزلاه بعد أن استمر في السلطة عشرة أعوام. وتولى إمارة العيينة سلطان ابن محسن المعمري، وهكذا نجحت الدرعية في القضاء على بيت آل معمر وضمنت عدم مناهضة العيينة لها.

أمّا بالنسبة لحريملا وهي من بلدان العارض أيضاً ومن أولى البلدان التي أعلنت خضوعها للدرعية ولكنها عادت سنة ١١٦٥ هـ وأخذت تناهض

---

(١) حسين بن غنام: المرجع السابق ص ٦٤.
(٢) حسين بن غنام: المرجع السابق ص ٦٤.
(٣) المرجع السابق، ص ٦٧، ٩٥، Philby, J.: op. cit, P.62

نفوذ الدولة الجديدة ونظمها وذلك بإيعاز من قاضيها سليمان بن عبد الوهاب أخ الشيخ محمد الذي أخذ يحرض أهل حريملا على نقض العهد الذي قطعوه على أنفسهم للشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قاموا بإخراج كل من لا يستجيب لدعوتهم من الإمارة. فقصد هؤلاء المطرودون الدرعية، ونزلوا ضيوفاً على أميرها[٤]، إلاَّ أن أمير حريملا وقاضيها خشيا مغبة انضمام المطرودين الى الدرعية، فعملوا جاهدين على استرضائهم وإرجاعهم الى بلدهم، ولكن ما كاد يستقر بهؤلاء المطرودين المقام بعد رجوعهم حتى هجمت عليهم قبيلة آل راشد وقتلوا الأمير محمد بن عبد الله وجماعة من أتباعه ولكن استطاع بعضهم الفرار والاستنجاد بالدرعية.

وقد وجدت الدرعية في ذلك فرصة سانحة للانقضاض على حريملا وضمها الى حظيرتها فسيَّر الأمير محمد بن سعود جيشاً بقيادة ابنه عبد العزيز استطاع الاستيلاء على حريملا واعلان الامان لجميع السكان وأمَّر عليها مبارك بن علوان بعد أن أصبحت دورها ونخيلها غنيمة لأصحاب الدعوة[٥]. ومنذ ذلك الحين أصبحت الدرعية مسؤولة عن حماية حريملا ضد أي اعتداء وبذلك نجدها تشن الحرب على أمير الرياض وحلفائه الذين كونوا حلفاً ضد حريملا بزعامة أمير الرياض دهَّام بن دواس فأنزلت بهم الدرعية الهزيمة وقضت على ذلك الحلف في موقعة (الدار)[٦] سنة ١١٦٨هـ - ١٧٥٥م.

---

(٤) عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ٣٠.

(٥) حسين بن غنام: المرجع السابق ص ١٠٤.

(٦) احمد بن زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص ٢٦٠.

ولكن سرعان ما تنكر مبارك بن عدوان لأمير الدرعية ونسي ما قدم له من أيادٍ بيضاء بتوليته إمارة حريملا ووقوفه بجانبه ضد أعدائه، فما كان من الأمير محمد بن سعود إلاَّ أن أمر بعزله وعيَّن بدلاً منه أحمد بن ناصر بن عدوان. وقد حاول مبارك عدة محاولات لاسترجاع إمارة حريملا فاستنجد بأهل المجمعة وأهل سدير والدشم وثرمدا وجمع جيشاً كبيراً الاَّ أن الدرعية تصدت له وأفسدت عليه كل خططه وظل مطروداً حتى توفي سنة ١١٧٤هـ - ١٧٦٠م. وهكذا قضت الدرعية على مناهض ثانٍ لدعوتها.

وما حدث بالنسبة لإمارة العيينة وحريملا حدث لباقي بلدان العارض مثل منفوحة والعمارية والقويعية والحوطة والجنوبية والحمل وثادق والقصب والفرعه وثرمدا إذ أن معظمها كان قد أعلن الولاء لآل سعود منذ زمن مبكر إلاَّ أنها كانت كثيراً ما تتردد بين الولاء للدرعية أو الانضمام إلى جانب أعدائها، الأمر الذي جعل الدرعية تخوض الحرب تلو الأخرى مع كل منهم على انفراد مما سهَّل عليها أمر ابتلاعهم الواحدة تلو الأخرى.

ومن العوامل الهامة التي ساعدت الدرعية على توحيد إقليم نجد وضم إمارتها إليها هو هجرة كثير من القبائل النجدية إلى العراق هرباً من العمليات العسكرية المتصاعدة التي شنتها الدرعية ضد الإمارات المناوئة وقيام كثير من العناصر التي اعتنقت مبادىء الدعوة السلفية بدور كبير في القضاء على زعماء المقاومة ضد النفوذ السعودي[٧].

---

(٧) عبد الرحيم عبد الرحمن. المرجع السابق، ص ٧٤.

والواقع أن وجود مثل هذه العناصر الذي كان يسبق النفوذ السعودي إلى الإمارات كان من أهم العوامل والأسباب التي مهدت لنجاح العمليات الحربية التي خاضتها الدرعية ضد هذه الولايات وضمها اليه.

من أهم الإمارات التي استمر فيها الصراع ضد الدرعية متواصلاً هي الرياض، إذ لم تكد تخلو سنة من سنوات حكم الأمير محمد بن سعود دون أن يشن فيها غزوة أو غزوتين على الرياض[8]. ولعل التفسير الصحيح لهذا الصراع المرير بين الرياض والدرعية هو أن دهّام بن دواس كان يخشى إنهيار نفوذه وسلطانه أمام قوة الدرعية وانتشار نفوذها في باقي الإمارات ومن ثمّ فقد كان صراع أمير الرياض من أجل السلطة في جوهره وليس من أجل نشر مبادىء الدعوة السلفية أو معارضتها. وقد زاد من ضراوة هذا الصراع هجرة كثير من العناصر التي اعتنقت الدعوة السلفية إلى خارج الرياض وذهاب الكثير منهم إلى الدرعية نفسها، هذا بالإضافة إلى انتشار أتباع الدعوة السلفية في كل مدن نجد تقريباً[9].

وقد كانت وفاة الأمير محمد بن سعود دافعاً قوياً للأمير دهّام بن دواس لزيادة حدة الصراع بينه وبين الدرعية، فاشتبك معها في صراع مرير ولكن الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود قام بغزو الرياض في عام (١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م) مرتين استطاع بعدها هدم مرقبها المنيع مما جعل دهّام يمل القتال

---

(٨) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق، ص ٦١.

(٩) المرجع السابق.

ويسعى الى الخروج ومعه اتباعه من الرياض وبذا انتهى القتال الذي استمر زهاء السبعة والعشرين عاماً تكبد فيه كلا الطرفين الكثير من الخسائر. وباستلام الرياض وهروب دهّام تخلصت الدرعية من أكبر مناهض لها في إقليم نجد.

ويجب أن نذكر في هذا المجال أن من العوامل التي ساعدت آل سعود على توحيد إقليم نجد وخضوعه لسيطرتهم، هذا الانقسام الأسري الذي تفشى في ذلك الوقت في البيوت الحاكمة إزاء السيطرة السعودية[١٠]، ومن الطبيعي أن يكون مصدر هذا الانقسام هو الاختلاف في الرأي بالنسبة (للدعوة السلفية) فقد كانت الأسرة الواحدة تنقسم إزاءها شيعاً وأحزاباً ما بين مؤيد ومعارض وثالث في موقف سلبي، ومن أمثلة ذلك ما حدث في منطقة الخرج التي كانت من أعنف المناطق النجدية مقاومة للدرعية، فقد استطاع زيد بن زامل الديلمي من حشد جيش كبير ضم الكثير من حلفائه من وادي الدواسر ومن أهل نجران لمحاربة السعودية[١١]، لكنه مُني بالفشل لأنه واجه جيش الدرعية الذي يفوقه عدداً وقوة وانتهى الأمر بعزل زيد عن إمارة الديلم وتعيين سليمان بن إبراهيم بن عفيصان أميراً لها من قبل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وذلك سنة ١١٩٠هـ-١٧٧٦م.

وقد بنى الأمير عبد العزيز حصناً إلى الشرق من الديلم يُعرف بحصن

---

(١٠) نفس المرجع السابق ص٧٤.

(١١) حسين بن غنام: المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٤٠.

البدع ليكون له نقطة ارتكاز لصد هجمات الخرج وقد استطاعت إحدى دوريات الجيش السعودي من قتل زيد بن زامل الذي خَلَفه في قيادة أهل الخرج ابنه براك[١٢].

وأخيراً قام الأمير عبد العزيز بشن هجوم مفاجىء على الديلم سنة ١٢٠٠هـ - ١٧٨٥م مما أنهى الصراع نهائياً ضد آل سعود في هذه المنطقة وأعلنت بقية الخرج استسلامها، كما حذا حذوها وادي الدواسر[١٣].

كذلك كان الانقسام الأسري في إقليم القصيم واختلاف آل حجيلان فيما بينهم على السلطة من الأسباب الفعالة التي ساعدت آل سعود في بسط سلطانها على تلك المنطقة. فقد كانت بلدان الشمال في منطقة القصيم من أشد الجهات التي قاومت النفوذ السعودي، بل كانت تؤازر كل ثورة قامت ضد النظام السعودي، مما جعل آل سعود يستعدون استعداداً خاصاً للقضاء على ثورات القصيم ومن ثم فقد عسكر جيشهم في بلدة ثادق[١٤] لكي يرقب الأحداث عن كثب وبدأ الهجوم على الروضة حيث اشتبكت القوات السعودية مع آل ماضي زعماء المقاومة وأسفرت المعركة عن قتل الأمير عون ابن نافع زعيم آل ماضي. ولما اشتدت الوطأة على الروضة لم يجد الأمير عقيل الذي خلف أخاه عوض في الإمارة غير طلب الصلح وتعهد بدفع مبلغ من المال كتعويض عما حدث وطرد آل ماضي من الروضة ومعهم جميع

---

(١٢) عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٦٩.

(١٣) حسين بن غنام: المرجع السابق، ص ١٦٠ وما بعدها.

(١٤)عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٧١.

مؤيديهم وأعوانهم[١٥].

وبعد أن خضعت الروضة للدرعية قام الأمير سعود بن عبد العزيز بعمليات عسكرية سريعة على المدن والقرى المجاورة مثل الدخيلة والفارغة والخارجين من مدن بريده والرس وتنومة مثل سليمان الحجيلاني وغيره استطاع بعدها أن يخضع شوكة منطقة القصيم للنفوذ السعودي.

لقد رأى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدولة السعودية بأنه لن تستقيم له الأمور بعد القضاء على الخرج والقصيم الاَّ بالاستيلاء على منطقة جبل شمَّر وذلك لمجاورتها المباشرة لحدود آل سعود ولما لها من قيمة اقتصادية كبيرة من حيث خصوبة تربتها وتوفر عيون المياه بها مما يساعد على قيام الزراعة بها، هذا بالإضافة إلى علاقتها التجارية مع مدن العراق وقراه، لذلك أصدر الإمام عبد العزيز أمره إلى حجيلان أمير القصيم باعداد حملة لغزو منطقة جبل شمَّر. وبعد عدة عمليات حربية نجح حجيلان في إخضاع المنطقة وسكانها للحكم السعودي وكان ذلك في سنة ١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م.[١٦] وبالانتهاء من ضم جبل شمَّر للدولة السعودية أصبح اقليم نجد وحدة سياسة واحدة تخضع للحاكم السعودي الذي قام بدوره بتعيين أمرائها وقضاتها ودعاتها وعمالها. لكن الأمير عبد العزيز بن سعود لم يقنع بإقليم نجد بل تطلع إلى ضم إقليم الاحساء[١٧] إلى جانب نجد.

---

(١٥) عبد الله القصيمي: الثورة الوهابية ص ٦٩.

(١٦) عثمان بن بشر: المرجع السابق، ص ٩٩.

(١٧) أنور الرفاعي: جزيرة العرب جغرافيا ص ٥٥.

محمود الألوسي: تاريخ نجد ص ٣٠.

Dickson, A: The Arab of the Desert p. 24

= Britisk Admirality: A Hand book of Arabia, Vol. I., P. 300.

ويجدر بنا قبل أن نتكلم عن أدوار الصراع الحربي الذي انتهى بضم السعودية إقليم الاحساء، أن نذكر شيئاً عن العوامل والدوافع الحقيقية التي دفعت إلى هذا الضم، لعل من أبرز هذه العوامل: العامل الديني، فقد رفض أمراء الاحساء قبول مبادىء الدعوة السلفية السنية وعملوا على مناهضتها والقضاء عليها وذلك خوفاً من أن تحمل الدعوة السلفية ومبادئها في ثناياها هدم نفوذهم وتقويض سلطانهم[١٨]. ولذا يعتبر هذا العامل من أهم عوامل الصراع بين السعودية والاحساء.

أما العامل الثاني فهو هروب بعض القبائل النجدية إلى الاحساء ورغبة أمراء الدرعية في تأديب هؤلاء الفارين ومطاردتهم مما أذكى نار العداء بين الطرفين.

أما العامل الثالث وهو الاقتصادي فهو وان كان يبدو غير مباشر، إلاّ أنه في الحقيقة هو الدافع الأساسي في ضم الاحساء الذي يمتاز بكثرة واحاته الخصبة الوفيرة المياه، هذا إلى جانب وقوعه على الخليج حيث الحركة التجارية والمصايد التي تشكل مورد رزق كبير في ذلك الوقت كان من أهم الأشياء التي تتطلع إليها السعودية في زيادة دخلها ومساعدتها في القيام بأعبائها التوسعية، هذا بالاضافة إلى أنها ستجعل منها دولة تطل على

=يقع إقليم الاحساء في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية وهو في جملته عبارة عن عدة واحات توجد بها الآبار التي تتميز بغزارة مياهها في المناطق الساحلية حيث تحيط بها المراعي الوفيرة. ويوجد بإقليم الاحساء واحتان كبيرتان هما: الاحساء والقطيف. ولكثرة الآبار التي توجد بها، فإن البدو الرحل يقصدونها وخاصة في فصل الصيف ومعظمهم من بدو العجمان. وأهم القبائل التي كانت تقطن الاحساء في الوقت المعاصر لقيام الدولة السعودية الأولى هي قبائل بني خالد والعجمان وبني هاجر وعناصر من آل مرة. وكان بنو خالد يحكمون الساحل الشرقي للجزيرة تحت السيادة العثمانية.

(١٨) عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٨٠ وما بعدها.

الخليج مما يتيح لها الفرصة بالاتصال الخارجي وكذا تمهيد السبيل لضم بقية مناطق الخليج.

وإذا كانت الدولة السعودية الأولى لم تكن قادرة في أول عهدها على شن غاراتها على الاحساء نفسها، بل اكتفت بصد هجمات آل خالد عليها وعلى البلاد التابعة لها، حيث كانت قوة الاحساء آنذاك قادرة على توجيه ضرباتها إلى الدولة السعودية داخل نجد في محاولة للحيلولة دون قيام دولة واحدة فيها، إلا أن الدولة السعودية بعد أن تمكنت من إخضاع كل إقليم نجد لسيطرتها، وبعد أن أخذ الضعف يدب في حكام بني خالد، أصبحت في حالة تساعدها على شن هجماتها على إقليم الاحساء نفسه وخاصة بعد موت أمير الاحساء (عريعر بن وجين) وتنازع أولاده امراء بني خالد على السلطة[١٩]. وقد انتهز آل سعود فرصة الضعف الذي آل إليه إقليم الاحساء وأمراؤه، فبدلت أسرة آل سعود سياستها العسكرية السابقة من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم. فأمر الإمام عبد العزيز قائده سليمان بن عفيصان بالإغارة على الاحساء، فهجم على بلدة الجشة وغزا العقير البندر وأشعل فيه النيران بعد أن استولى على ما فيه من أموال[٢٠]. وقد استمرت العمليات العسكرية حتى (١٢٠٣ هـ- ١٧٨٨ م) حيث غزت قوات آل سعود أهل القرى والمبرز والهفوف وقرية الفضول واستطاعت الجيوش السعودية الاستيلاء على الكثير من أموال وأمتعة هذه البلاد.

وقد استمرت عمليات آل سعود العسكرية ضد الاحساء متواصلة حتى سنة (١٢٠٧ هـ- ١٧٩٢ م) حيث وصلت إلى ماء اللصافة، فحاول أميرها

---

(١٩) عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٨٢ وما بعدها، عثمان بن بشر: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢٠) أحمد مصطفى أبو حاكمة: محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة، ص ١٣٣.
عثمان بن بشر: المرجع السابق، ص ٨٣ وما بعدها.

براك بن عبد المحسن أن يصد القوات السعودية ولكنه هزم في معركة الشيط[٢١] شرقي اللصافة. وعلى أثر هذه الهزيمة لم يجد أمير الاحساء بدًّا من الدخول في طاعة آل سعود واعتناق الدعوة السلفية، لذلك أرسل إلى الأمير سعود بن عبد العزيز يدعوه للقدوم عليه لمبايعته. وفعلاً ذهب إليه ونزل قرب «عين نجم»[٢٢] حيث قاموا بمبايعته.

ولكن ما كاد الأمير سعود يخرج من الاحساء عائداً في طريقه إلى الدرعية حتى وصلته الأنباء بأن أهل الاحساء ثاروا على ممثلي الدرعية لديهم وقاموا بقتلهم، فما كان من الأمير سعود إلا أن قام بإعادة الكرة في العام التالي وشن غارة انتقامية ضخمة على الاحساء جزاء لهم على ما فعلوه وحتى يضع حداً لتمردهم[٢٣]. وتحت تأثير العمليات العسكرية التي قام بها جنود الدرعية وشدتها، أدرك أمراء الاحساء من بني خالد أنهم لا قبل لهم بقوات آل سعود، فتوجهوا إلى الإمام عبد العزيز بالدرعية وطلبوا منه الأمان كما طلبوا منه أن يكف يد ابنه الأمير سعود عن بلادهم. فأجابهم الأمير عبد العزيز إلى طلبهم، كما أمر بتعيين براك حاكماً على بني خالد من قبل آل سعود.

وبرغم خضوع الاحساء خضوعاً تاماً للدرعية إلا أن أهل الشرق من ذلك الإقليم لم يقبلوا الخضوع للحكم السعودي[٢٤]. ولم يقف الأمر بأهل

---

(٢١) أحمد أبو حاكمة: تاريخ الكويت جـ ١ ص ٧٥، عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٨٨ وما بعدها.

(٢٢) نفس المرجع السابق، ص ٨٩، صلاح الدين المختار، المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جـ ١، ص ٥٧.

(٢٣) حسين بن غنام: المرجع السابق ص ١٨٧، صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ١، ص ٥٧ وما بعدها.

(٢٤) أحمد أبو حاكمة: تاريخ الكويت، جـ ١، ص ٧٥، لمع الشهاب، ص ٧١.

الشرق عند هذا الحد، بل إنهم شجعوا العناصر الحانقة على آل سعود، فقاموا بثورة سنة ١٢١٠ هـ - ١٧٩٥ م ضد الدرعية فذهب إليهم الأمير سعود وأنزل بهم الهزيمة وأقام شهراً في الاحساء أعاد فيه الأمن إلى نصابه، فأقام الحدود والقصاص على من يستحق وأجلى البعض عن البلاد وأمر بهدم كثير من الأسوار والبروج وبنى حصناً أقام فيه مرابطين من الجيش السعودي وولى إمارة الإقليم لناجم بن دهيم[٢٥].

وبرغم هذه الانتصارات المتكررة للجيش السعودي على الاحساء، إلا أن أهل الشرق أرسلوا إلى سليمان باشا والي بغداد يطلبون منه النجدة ويرجونه أن يفرج عن ثويني[٢٦] ابن عبد الله أمير المنتفق وإسناد أمر قتال آل سعود إليه[٢٧]. ولكن سرعان ما قتل ثويني فلم يستطع جيشه مواصلة القتال، وكان هذا أول صدام مباشر بين آل سعود وبين قوة مكلفة من قبل والي بغداد بحربهم[٢٨]. وهكذا تمكن سعود في النهاية من هزيمة أهل الشرق واخضاع منطقة الاحساء جميعها إلى الدرعية وتطبيق مبادىء الدعوة السلفية في جميع قرى هذه المنطقة. ولم يبق أمام آل سعود في الاحساء إلا منطقة القطيف التي أرسل لها الأمير عبد العزيز، إبراهيم من عُسيفان

---

(٢٥) عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١٠٥، فريد مصطفى: آل سعود في التاريخ ص ٣٢، أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث.

(٢٦) ثويني بن عبد الله آلت إليه زعامة المنتفق، إحدى العشائر العراقية. وكانت العلاقة بينه وبين آل سعود طيبة غير أنه اقحم نفسه في النزاع الدائر بينهم وبين بني خالد (١٢٠٠ هـ - ١٧٨٦ م). وقد حاول الاستقلال بالبصرة فخرج إليه سليمان باشا والي بغداد وهزمه. وقد عفا عنه والي بغداد على شرط أن يبقى فيها، وظل بها حتى كلفه سليمان بحرب آل سعود.

(٢٧) عبد الكريم غرايبة: مقدمة في تاريخ العرب الحديث، جـ ١، ص ٣٧، حسين بن غنام: المرجع السابق ص ١٩٥.

(٢٨) عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق ص ١٩٣ وما بعدها.
كان حكم بغداد في هذه الفترة في يد باشوات المماليك تحت السيادة العثمانية.

بجيش للاستيلاء عليها. وقد استطاع إبراهيم هزيمة جيش القطيف والاستيلاء على قراها وعلى قلعتي القطيف وتاورت[٢٩] ثم كر راجعاً إلى الدرعية.

ويجب أن نشير هنا، إلى أن الدولة السعودية لم تتعرض عند ضمها إقليم نجد لأي تدخل خارجي، إلاَّ أنه عندما استقر لها الأمر في الاحساء وامتد سلطانها في اتجاه الشمال والجنوب، بدأ الحاكم العثماني في العراق، سليمان باشا الكبير في إرسال حملتين لمحاربة السعوديين في الاحساء (١٨٠٢ م) وحملة ثالثة ضدهم في القصيم. إلاَّ أن الانتصارات السعودية المتكررة في الاحساء جعلت الولاة العثمانيين الذين تولوا الحكم في العراق بعد سليمان باشا الكبير يتجنبون خوض معارك معهم في الاحساء. ومهما يكن من أمر هؤلاء الولاة، فإن الذي نود أن ننبه إليه هو أن الدولة العثمانية بدأت منذ ذلك الحين تقف للسعوديين متحفزة للقضاء عليهم، فقد استطاع الوالي داود باشا من تأييد بني خالد في استرداد ملكهم في الاحساء وإن كان ذلك قد تم بعد زوال الدولة السعودية الأولى.

وقد قويت شوكة الدولة السعودية الأولى بعد توحيدها إقليم نجد واستيلائها على الاحساء والقطيف ومن ثم قد تطلعت بأنظارها إلى ما جاورها من بلدان الخليج.

---

(٢٩) لمع الشهاب: المرجع السابق، ص ٧١ وما بعدها.
فريد مصطفى: آل سعود في التاريخ ص ٢٧.

ضم أقاليم الخليج وعُمان

لقد كان من الطبيعي أن تتطلع الدولة السعودية إلى الأقاليم المشرفة على الخليج العربي والواقعة على ساحله بعد أن تم لها توحيد إقليم نجد وضم الاحساء. على أن رغبتها في الاستيلاء على تلك المناطق لم يكن بقصد نشر نفوذها وتوسيع الرقعة الجغرافية فحسب بل لتوطيد مركزها الاقتصادي والتجاري في شبه الجزيرة العربية. فقد كانت منطقة الخليج يمتاز بعضها بخصب تربته وصلاحيته للزراعة ويموج البعض الآخر بالحركة التجارية الداخلية والخارجية على حد سواء.

ولقد تطلعت أنظار آل سعود إلى إقليم قطر[1] وذلك بإيعاز من أميرها على الاحساء إبراهيم بن عفيصان إذ لم يكد يأخذ موافقة الأمير عبد العزيز حتى سارع بقيادة جيش سعودي سنة ١٢٠٧ هـ- ١٧٩٢ م لغزو قطر، والاستيلاء على معظم[2] قراها مثل فريحة والحويلة واليوسفية والرويضة. وأنزل بها كثيراً من الخسائر. إلاّ أن ابن عفيصان القائد السعودي لم يستطع

---

(١) كان يسكن قطر في ذلك الوقت ثلاث قبائل هم: آل مسلم وهم أكثر سكانها عدداً ويقطنون قرى فريحة والقويرط وآل أبي حسن ويقطنون قرية اليوسفية والمعاضية ويسكنون الرويضية والطيبخ وترجع هذه القبائل بنسبها إلى ربيعة. وكانت لقطر آنذاك مكانة تجارية وزراعية كبيرة بالنسبة لاقتصاد العصر (لمع الشهاب ص ٨٤) وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى ص ٩٧.

(٢) حسين بن غنام: تاريخ نجد ص ١٨٠.

الاستيلاء على الزبارة فما كان منه إلاّ أن شدَّد هجماته عليها حتى استولى على قلعتها[٣] مما جعل أهل الزبارة يفرون خارج السور واتجهوا إلى البحرين معتقدين أن دولة بني سعود لن تدوم وأنهم سيعودون إلى بلدهم[٤]. وهكذا أصبحت شبه جزيرة قطر جزءاً من أملاك الدولة السعودية على ساحل الخليج بعد أن انتهت كل مقاومة بهجرة أهلها إلى البحرين.

لقد كان يسكن البحرين[٥] منذ سنة ١٢١٢ هـ آل خليفة الذين فروا من مركزهم في مسقط وهو (الزبارة) أمام هجمات الدرعية القوية ولكن سرعان ما نجح السيد سلطان بن أحمد حاكم مسقط من غزو البحرين سنة ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م وعيَّن أخاه سعيداً حاكماً عليها من قبله بعد أن أخذ الشيخ محمد أخ الشيخ سليمان آل خليفة رهينة عنده وعلى ذلك لم يجد آل خليفة بداً من الرحيل بعائلاتهم وأتباعهم مرة ثانية إلى بلدتهم القديمة زبارة بعد أن أخذوا الأمان[٦] من آل سعود.

فلما بلغ آل خليفة خبر وفاة رهينتهم لدى حاكم مسقط الإمام سلطان بن

---

(٣) نجلاء عز الدين: العالم العربي صفحة ١١٥ (ترجمة محمد عوض وآخرين)
عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٤) لمع الشهاب: المرجع السابق، ص ٧٨.

(٥) البحرين جزيرة في الخليج العربي تبعد اثني عشر ميلاً عن الظهران. تمتاز بسعة أرضها وكثرة محاصيلها هذا بالإضافة إلى شهرتها بصيد اللؤلؤ في ذلك الوقت. وكان آل خليفة قد ضموا البحرين سنة ١١٩٦ هـ - ١٧٨٢ م قبل هجرتهم إليها إلى مركز حكمهم في الزبارة وذلك على أثر الاضطرابات التي سادت فارس بعد مقتل كريم خان الزندي. وقد نقل الشيخ سليمان آل خليفة جميع أفراد أسرته من الزبارة سنة ١٢١٢ هـ - ١٧٩٧ م إلى قرية جوا في البحرين على أثر اشتداد الهجمات السعودية على الزبارة كما سلف ذكره (يوسف العلكي: قضية البحرين بين الماضي والحاضر ص ١٦).

(٦) محمد بهجت سنان: البحرين درة الخليج العربي ص ١٢٢.

سيف الثاني اليعربي سنة ١٢٢٣ هـ- ١٨٠٨ م، طلبوا من آل سعود مساعدتهم بالمال والرجال والعتاد لاسترداد البحرين فوجد الأمير عبد العزيز في إجابة هذا الطلب بغيته وذلك بتوجيه ضربة غير مباشرة إلى عدوه حاكم مسقط، هذا بالإضافة إلى بسط نفوذه على البحرين ونشر مبادىء الدعوة السلفية في ربوعها. لذلك فقد سارع الأمير سعود بن عبد العزيز حاكم الدرعية آنذاك بإرسال جيش تحت قيادة إبراهيم بن عفيصان لمساعدة آل خليفة في تخليص البحرين من صاحب مسقط[٧].

ولما نجح إبراهيم في استرداد البحرين لم يسلم زمام أمورها إلى آل خليفة بل ضمها لسلطان آل سعود، مما أدى إلى نشوب الحرب بين القوات السعودية وآل خليفة، انتهت بهزيمة آل خليفة واعتقال رؤسائهم في الدرعية، فأمر سعود بتعيين فهد بن سليمان بن عفيصان قائداً للحملة السعودية في البحرين وتعيين إبراهيم بن عفيصان أميراً لها من قبل الدرعية. ولكن أبناء آل خليفة لم يستسلموا لقوة الدرعية بل استنجدوا بحاكم مسقط وبالفرس وأقاربهم من العتوب وكونوا جيشاً هاجموا به البحرين وطردوا أميرها من قبل آل سعود، كما اعتقلوا فهد بن سليمان بن عفيصان قائد الجيش السعودي في البحرين ومعه ستة عشر رجلاً واتخذوهم كرهينة لرجالهم المعتقلين في الدرعية[٨].

لكن إبراهيم بن عصيفان لجأ إلى جابر بن الجلاحمة الذي ينتمي إلى العتوب. وحاول أن يسترد البحرين من آل خليفة بمساعدة حليفه جابر بن

---

(٧) Bombay Government, selection, vol, XXV P. 141.

(٨) عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١٤٩، صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ١، ص ١٠٨ وما بعدها؛

أحمد أبو حاكمة: تاريخ الكويت، جـ ١، ص ٦٧.

الجلاحمة ولكنه فشل وحلت الهزيمة بقواتهم في واقعة (خكيكيرة) سنة ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م، فاضطر الأمير سعود إلى اطلاق سراح المعتقلين من آل خليفة في الدرعية وسمح لهم بالعودة إلى البحرين[٩]. وهكذا نرى أن الدولة السعودية لم تتمكن من ضم البحرين وفرض سيطرتها عليها.

وقد تطلعت الدولة السعودية إلى الكويت[١٠] لما لها من أهمية بالنسبة للدرعية كمنفذ تجاري وميناء للتموين على درجة كبيرة من الأهمية[١١]، فأرسلت إليها الجيوش وحاولت عدة مرات الاستيلاء عليها كان آخرها سنة (١٢١٩ هـ - ١٨٠٤ م) ولكنها لم تستطع إخضاعها لسلطانها[١٢].

وبعد الكويت يممت الدرعية وجهها نحو عمان[١٣] التي عاصر استيلاء

---

(٩) محمد بن خليفة الطائي: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٣٧.
أمين الريحاني: ملوك العرب، جـ ٢ ص ٢٢٣ - ٢٣٤، عثمان بن بشر: المرجع السابق، جـ ١ ص ١٤٩.

(١٠) تقع الكويت شمال الاحساء، وكانت قبل أن يستقل آل صباح بحكمها تسمى كوت بني عريعر، إذ كانت جزءاً من أملاك بني خالد حكام الاحساء. فلما ضعف حكام الاحساء، أرسل العتب سلطان الكويت إلى الباشا العثماني في بغداد الشيخ صباح يطلب منه الاستقلال بحكم الكويت تحت الحكم العثماني، فوافق الباشا على ذلك ومنح الصباح لقب قائمقام الكويت في عام ١١٣٠ - ١٧١٨ م وبذلك برزت أسرته بني العتب بوصفها الأسرة الحاكمة في الكويت منذ ذلك العهد. (حسن خلف خزعل: تاريخ الكويت، جـ ١، ص ٤١، جمال زكريا قاسم: رجمة بن جابر الجلاحمة، حولية كلية الأداب عين شمس ص ١٨٢).

(١١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق، ص ١٠٢.

(١٢) Dickson, H. B. P.: Kuwait and her Neighbours, P. 26.

(١٣) يحتل إقليم عمان قسماً كبيراً من جزيرة العرب، فهي تحتل الركن الجنوبي الشرقي منها. وتنقسم عمان إلى ثلاث مناطق رئيسية، منطقة الظاهرة التي تمتد من رأس الخيمة والصير إلى جزيرة مصيرة. ومن أهم مدنها نزوى ويلهى وبلدان جعلان. والقسم الثاني الحجر وهو عبارة عن جبل يمتد من الجنوب إلى الشمال وأهم بلدانه صحار وشناحي ومضلعة ومسقط وهي العاصمة. أما القسم الثالث هو الصير الذي يحده أول إقليم عمان وآخره رؤوس الجبال من جهة الجنوب=

أسرة البو سعيد على الامامة فيها ازدياد نفوذ آل سعود في نجد الذي امتد إلى ساحل الخليج وأصبح يجاور عمان مباشرة.

وقد استطاع الجيش السعودي اخضاع بعض أقسام عمان، وهو الصير وكذا سكان البريمي، الذين أرسلوا للدرعية يطلبون الامان، كما اعتنقت قبائلها من الغفارية المذهب السلفي(١٤). إلاّ أن ازدياد النفوذ السعودي في الساحل العماني والظاهرة أقلق الأطراف الأباضية في الداخل مما جعلهم في نزاع مستمر مع الغفارية الذين انضم معظمهم إلى صفوف السعوديين، إلاَّ أن الأمر انتهى في عهد الأمير بدر بن سيف إمام مسقط سنة ١٢١٩ هـ سنة ١٨٠٤ م من أسرة البو سعيد بالصلح مع الدرعية عندما علم بتعزيز السعودية لقواتها في البريمي تمهيداً لغزو عمان(١٥). وقد تضمن الصلح أن تدفع عمان للدرعية الزكاة وإقامة وكيل سعودي في مسقط يتولى جمعها والسماح لقوة سعودية باحتلال مقاطعة بركا(١٦).

على أن الأمور لم تستقر بالنسبة للدرعية في عمان إذ ما كاد سعيد بن سلطان يتولى الحكم في مسقط بعد قتله الأمير بدر حتى بدأت الحروب بين الطرفين التي انتهت بانهزام جيوش مسقط في موقعه (خورفكان) التي تعتبر من المواقع الفاصلة، التي أصبحت بعدها جميع عمان تحت ولاية آل سعود(١٧). وبرغم ذلك فإن الأعمال العسكرية السعودية ظلت متواصلة في

=الشرقي. أما سكان عمان في ذلك الوقت فأهمها طائفتان كبيرتان هما قبائل الهناوية ومذهبها الاباضية وقبائل الغفارية وينتمي معظمها إلى أهل السنة. (محمود علي داود: التطور السياسي الحديث لقضية عمان ص ٢٠).

(١٤) أمين سعيد: الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص ٤٩، عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق ص ١٠٦.

(١٥) شركة الزيوت العربية: عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ص ٤.

(١٦) لمع الشهاب: ص ٧٦ وما بعدها.

(١٧) عثمان بن بشر ص ١٤٢.

إقليم عمان دون انقطاع حتى سنة(١٢٢٨ هـ- سنة ١٨١٣ م)[١٨] عندما تمركزت القوات السعودية في البريمي على أثر قيام طوسون بن محمد علي بعملياته الحربية في الحجاز ضد آل سعود. وهكذا نرى أن امتداد النفوذ السعودي إلى عمان، فتح أمام الدرعية باب الاتصال ما بعالم الخارجي، أما عن الناحية السياسية فإنه وجه أنظار انجلترا فاتصلت بها، اتصالاً شبه مباشر.

ولقد بدأ هذا الاتصال السعودي الانجليزي عندما تحالفت السعودية مع القواسم[١٩] في عمان واستغلت الأخيرة هذا التحالف في الاغارة على السفن العمانية والانجليزية على السواء[٢٠]. كما أدى هذا التحالف إلى استنجاد سلطان[٢١] بن أحمد بالحكومة الانجليزية في الهند. ورغم تجاهل انجلترا لهذا التحالف، إلاَّ أنها كانت متأكدة من أن السعوديين وراء اعتداءات القواسم المتكررة على السفن الانجليزية في الخليج، ذلك حتى لا تورط نفسها في حروب برية مع السعودية.

على أن العلاقات السعودية الانجليزية دخلت مرحلة جديدة عندما اضطرت الأخيرة إلى نقل مركزها التجاري إلى الكويت من البصرة بعد

---

(١٨) Kelly, J. B: Easter Arabia Frontiers P. 56.

(١٩) القواسم قبيلة عربية تنتمي إلى عدنان، وموطنها الأصلي نجد، نزحت إلى ساحل عمان منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر، ولم يتم استقرارها في موطنها الجديد إلاَّ في النصف الأول من القرن الثامن عشر، واشتغلت بالملاحة وغدت قوة بحرية متفوقة في نهاية القرن التاسع عشر وامتد نفوذها على المنطقة الممتدة بين قطر وخورفكان وأجزاء من الساحل الإيراني من الخليج (صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٩٦).

P. Bombay Government: Selections from the Records. (Bombay 1856) vol XXV. P. 302.

(٢٠) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٢١) جمال زكريا قاسم دولة البو سعيد، ص ١٠٣.

خلافها مع السلطات العثمانية فيها. ولما كانت الكويت قد بدأت تتعرض للغارات القوات السعودية، اضطرت الحكومة الانجليزية في الهند إلى تقوية مركزها العسكري في الكويت ضد اعتداءات السعوديين. وقد حرصت الحكومة الانجليزية على التزام موقف الحياد في الصراع القائم بين السعوديين والكويت، كما حرصت السعودية بدورها على أن لا تدخل في صراع مع الانجليز في ذلك الوقت[٢٢] مدركة حجم قوتها وما قد يؤدي إليه هذا الصدام.

ولعل من أهم نتائج الاتصال الانجليزي السعودي، هو أن بريطانيا عملت جادة على توطيد نفوذها السياسي على سواحل الخليج في أعقاب سقوط الدولة السعودية الأولى. حتى لا تسمح بظهور أية قوة سياسية تهدد مصالحها في المنطقة.

---

(٢٢) أمين سعيد: الخليج العربي، عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٢٧٩ - ٢٨١.

ضم الحجاز واليمن

قبل أن نتناول المعارك التي دارت بين السعوديين وأشراف الحجاز[1] بالبحث والدراسة، ونود أن نبين في إيجاز أحوال الحجاز وأشرافها وعلاقتها بالدولة العثمانية قبيل قيام الدولة السعودية. فمن المعروف أن الدولة العثمانية قد احتفظت بالنظام الذي وضعه سلاطين دولة المماليك، إلاَّ أنهم أضافوا عليه إنشاء وظيفة صنجق عثماني في جدة يتولاها أحد الحكام أو الأمراء[2] العثمانين وقد كان منصب الشرافة يجلب كثيراً من المكاسب المادية على صاحبه مما أدى إلى الصراع والتنافس بين الأشراف للحصول عليه. وقد زاد هذا الصراع حدة في العصر العثماني، ذلك أن الولاة الأتراك رأوا في التفرقة بين الأشراف فرصة للسيطرة عليهم جميعاً، مما جعل

---

(١) خضع الحجاز لسلطة الأشراف منذ القرن الرابع الهجري، فقد تولى أبو محمد جعفر الموسوي مؤسس العائلة الشريفة الأولى حكم إمارة مكة. وكان الشريف يختار لمنصب الإمارة من لدن كبار الأشراف في الحجاز ويطلب إلى سلطان مصر أو السلطان العثماني فيما بعد تثبيته في منصبه. وكانت أعمال شريف مكة تأمين قوافل الحج. وقد استطاع الشريف قتاده القيم في جهات ينبع ووادي الصفراء الاستيلاء على مكة سنة ٥٩٧ هـ- ١٢٠١ م وهكذا وطد مركزه وأسرته وأنشأ إمارة ظلت قائمة حتى تأسيس الدولة السعودية الحالية.

(فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب ص ٣٠٧)؛حسين نصيف: ماضي الحجاز وحاضره ص ١٧ مصطفى مراد الدباغ: الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام جـ ١ ص ٦٦).

(٢) كما تسمى أحياناً صنجقية الحبش ثم ولاية الحبش (محمد أنيس: الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ص ٢٢).

السلطان العثماني يثق في قدرة هؤلاء الولاة[٣]. ولم يعد يهتم، خاصة منذ أن شغلت الدولة العثمانية بالفتن الداخلية والحروب الخارجية، إلاَّ بإرسال المحامل الثلاثة من العراق والشام ومصر. كما لم يكن لهم في الحجاز موظفون من الأتراك سوى القاضي والمحتسب وصنجق جدة[٤].

على أن الأشراف الأقوياء، كانوا يتجاهلون سلطة الصنجق بل وفي بعض الأحيان يهملون أوامر الدولة العثمانية نفسها[٥]، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ازدياد مكاسب الأشراف المادية، مما جعل الحكومة العثمانية تتقاسم دخل الحجاز من مواسم الحج والمكوس منذ سنة (١٠٤٠ هـ - ١٦٣٠ م) مع الأشراف نظير قيام الحكومة بشئون الحاج وعمارة الحرمين. والحقيقة أن سلطة الإشراف على الحجاز وخاصة في عهد أسرة آل زيد كانت قوية رغم الخلاف والصراع فيما بينهم حتى خضع الحجاز للدولة السعودية[٦].

أما عن علاقة الأشراف بآل سعود وبرغم أن المصادر الأصلية لم تحدد تاريخ بداية تغلغل نفوذ أشراف مكة في منطقة نجد، لكنه من الثابت أن هذا النفوذ بلغ ذروته في عهد الشريف أبي نمى، فقد استطاع الشريف حسن ابن أبي نمى بعد عدة عمليات عسكرية من الوصول إلى منطقة نجد وما جاورها من منطقة اليمامة إلى غيرها من المناطق النجدية[٧]. على أن غزوات الأشراف على نجد ضعفت وذلك نتيجة طبيعية لانشغالهم بالمنازعات فيما بينهم على السلطة وذلك في القرن الثاني عشر للهجرة، في

---

(٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب ص ٢١٧.

(٤) عبد القدوس الأنصاري: تاريخ مدينة جدة ص ٢٤٢.

(٥) أحمد السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٣١٩.

(٦) عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٧) عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ٢٤ وما بعدها.

الوقت الذي بدأت فيه قوة آل سعود تظهر على مسرح الأحداث في شبه الجزيرة[٨]. وقد أدى ظهور قوة آل سعود ومساندتهم للدعوة السلفية إلى عداوة الأشراف لهم خاصة بعد أن بدأت في توحيد إقليم نجد. ونتيجة لهذه العداوة وخوفاً من ازدياد نفوذ آل سعود رفض الأشراف السماح لأهل نجد بأداء فريضة الحج ومنعوهم من دخول مكة[٩]. وقد ظلت حالة التوتر هذه تسود العلاقة بين الأشراف وآل سعود حتى سنة (١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧ م) عندما ولي أمر الأشراف غالب بن مساعد حيث بدأ الصدام المباشر بين الطرفين وانتهى بانتصار آل سعود واخضاع الحجاز لسلطانهم وذلك سنة (١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م)[١٠].

وإزاء الهجمات المتواصلة للدرعية ضد القوات الحجازية، واعتناق عدد كبير من الاعراب وخاصة قبائل عتبان مبادىء الدعوة السلفية وأتباع نظام الحكم السعودي، هذا بالإضافة إلى سوء الحالة الاقتصادية، لم ير الشريف غالب بداً من طلب الصلح من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود. تم الصلح بين الطرفين وكانت مدته ست سنوات مما أتاح للدرعية نفوذها على معظم الأراضي الحجازية واعترف الأشراف بهذا النفوذ[١١]. إلاَّ أن هذا الصلح لم يستمر طويلاً إذْ فقد قيمته سنة (١٢١٧ هـ - ١٨٠٣ م) عندما انضمت بعض القبائل التي كانت تابعة للشريف غالب إلى آل سعود واعتناقها لمبادىء الدعوة السلفية. كما أن نفوذ الدرعية امتد بسرعة إلى تهامة وعسير وتوغلت القوات السعودية في شمال اليمن في المنطقة التي يسيطر

---

(٨) حسين بن غنام: تاريخ نجد، ص ١٣١ ، عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ١٢٦ .

(٩) أحمد السباعي: تاريخ مكة، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .

(١٠) عثمان بن بشر، المرجع السابق، ص ٧٩ ، وما بعدها، ص ١٢٥ وما بعدها.

(١١) عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١١٤ .

عليها فرع آخر من الأشراف تحت سيادة إمام اليمن، كما أرسلت الدرعية قوات بقيادة ربيع بن زيد للاستيلاء على منطقتي بيشة ورنية[١٢].

عند ذلك قرر آل سعود وضع حد للنزاع بينهم وبين الشريف غالب فجهزوا جيشاً بقيادة الأمير سعود للاستيلاء[١٣] على مكة، ولم يستطع الشريف غالب الصمود أمام القوات السعودية فانسحب إلى جدة، وبذلك دخل الأمير سعود مكة وأمن أهلها وأمر بتطبيق مبادىء الدعوة السلفية فهدمت القباب والأضرحة والمشاهد. وبعد أن تم لآل سعود الاستيلاء على مكة تقدموا بحملة إلى جدة لمحاصرة الشريف غالب ولكنها لم تنجح لمناعة أسوارها[١٤]، فرفع سعود الحصار عنها وعاد إلى الدرعية بعد أن ترك حامية في مكة وحكام محليين معينين من قبل الدرعية[١٥]. إلاّ أن الشريف غالب انتهز فرصة رحيل القوات السعودية الأساسية من مكة وأسرع بمهاجمتها واستردادها. ولم يكد يصل الخبر إلى الدرعية حتى بادر الأمير سعود بإصدار أمره ببناء قلعة عسكرية من وادي فاطمة بالقرب من مكة يستطيع منها مراقبة ورصد حركات الشريف غالب. وقد استطاعت القوات السعودية الاستيلاء على مكة مرة ثانية بعد محاصرتها وسد جميع الطرق الموصلة إليها، فعم الجوع واشتد الغلاء، فلم يجد الشريف غالب بداً من طلب الصلح وقبل أن يبقى في إمارته تابعاً للدرعية منفذاً لنظمها[١٦].

---

(١٢) عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ١٤١؛ Ali Bey: Travels of Ali Bey, Vol. II, P. 63.

(١٣) أحمد السباعي: المرجع السابق ص ١٢٩ – ١٣٥؛ عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١٢٠ وما بعدها.

(١٤) Buzkhardt: Notes on Bedouins and Wahaby, P. 322.

(١٥) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ ١ ص ٨٨ – ٨٩؛ عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١١٥ – ١١٨.

(١٦) أحمد السباعي: المرجع السابق، ص ٣٥١.

إلاّ أن الشريف غالب اتخذ بعض الاحتياطات العسكرية التي أظهرت سوء نيته بجلاء مثل تحصين جدة وإحاطتها بخندق ومنع النجديين من دخولها، واحتفاظه بجنود من الترك والمغاربة وبقائه في جدة معظم الأيام مع أن مركز إمارته هي مكة[١٧].

وللرد على تلك التصرفات التي قام بها الشريف غالب، قامت الدولة السعودية بطرد القاضيين التركيين من مكة والمدينة وبذلك قضت على أي نفوذ روحي للخليفة العثماني على الحرمين[١٨]، كما أمر الأمير سعود بإخراج من كان في مكة من الجنود والترك، وقد أثر كل هذا بدوره على مركز السلطان العثماني الديني وأحرج موقفه أمام العالم الإسلامي. وبذلك أصبح جميع أنحاء الحجاز خاضعاً خضوعاً دينياً ومدنياً للحاميات السعودية، واستمر الحال على ذلك حتى وصول قوات محمد علي إلى الحجاز.

وتابع الأمير سعود، الذي عرف بالإمام سعود الكبير، خطة والده في نشر تعاليم التوحيد وضم ما تبقى من شبه الجزيرة العربية إلى الدولة، فغزا أطراف اليمن وعسير وتهامة ونجزان، ولم يكد يحل عام (١٢٢٣هـ-١٨٠٨م) حتى كانت الدرعية قد أتمت الاستيلاء على معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية وتوحيدها فأصبحت تضم نجداً وإمارات الخليج والحجاز وعسير وحضرموت، كما امتد نفوذها شمالاً إلى حوران في بلاد الشام[١٩] وإلى

---

(١٧) De Gaury, G.: Arabia Phinix, p. 95.

(١٨) Blunt, lady Ann, A Pilgramage to Najd, V P. 255.

(١٩) بدأت الدرعية تتطلع إلى بلاد الشام بعد نجاحها في ضم إقليم الاحساء وأخذ كثير من بوادي الشام يعتنق مبادىء الدعوة السلفية ويؤدون إلى الحكام السعوديين الزكاة ويدينون لهم بالولاء. وقد رأت الدولة العثمانية بعد فشل ولاتها في حماية حدود بلاد الشام من الغارات السعودية وبعد أن منعت الدرعية دخول المحامل الشامية والتركية والمصرية عند موسم الحج إلى الأراضي المقدسة إلاّ إذا اتبعت هذه المحامل مبادىء الإسلام الصحيحة وابتعدت عن البدع، ضرورة إعداد حملة=

مشارف بغداد[٢٠] في العراق. عند ذلك أدركت الدولة العثمانية خطر هذه الدولة الفتية على أملاكها ونفوذها داخل الجزيرة وخارجها، مما جعلها تتجه نحو واليها الألباني في مصر محمد علي، بعد أن فشل ولاتها في العراق والشام من الوقوف أمام قوات الدرعية.

=لغزو الدرعية. ولم يكد الإمام سعود يعلم بذلك حتى جرد حملة واتجه إلى بلاد الشام، دخلت إلى حوران ودمرت كل ما بها ثم أنسحبت الحملة بعد أن غنمت الكثير من المغانم (ساطع الحصري: الدولة العثمانية والبلاد العربية، ص ٦٥ – ٦٦، عثمان بن بشر: المرجع السابق، ص ١٣٤ – ١٣٨ ص ١٤٠ – ١٤٨. حافظة وهبه: جزيرة العرب ص ٢٢٦).

(٢٠) لقد تأكد للسعودية أن العشائر العراقية تقف كثيراً وراء الاضطرابات التي تنشب في الاحساء وبعض المدن النجدية، ومن ثم فقد كان لا بد للدرعية من تأديب تلك العشائر وتحطيم قوتها. لقد أدى هذا إلى تكليف السلطان العثماني، باشا العراق بالزحف على الدرعية والقضاء عليها. وبعد عدة حملات قامت بها القوات العراقية، تم الصلح بين باشا العراق وبين الدرعية، إلى أن هذا الصلح لم يدم طويلاً وعادت الهجمات تتكرر نحو أطراف العراق حتى وصلت إلى كربلاء، واستمرت الهجمات السعودية على الأراضي العراقية وهددت مناطق غربي الفرات مثل الزبير والبصرة. وقد استمرت هذه الغزوات السعودية على العراق قرابة ربع قرن حتى نزلت قوات محمد علي ينبع (١٢٢٦ هـ – ١٨١١ م) (عباس الغزواي: العراق، جـ ٢ ص ١٦٠ – ١٦٢. عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١١٢ وما بعدها).

سقوط الدولة السعودية الأولى

لقد كانت الدولة العثمانية حريصة على استرجاع سيادتها على الحرمين الشريفين حتى تستعيد هيبتها في العالم الإسلامي وحتى تسترجع مركزها الديني، خاصة وأن الدولة العثمانية كانت في مواجهة أوربا تعتمد على قوة الإسلام الكبرى، وكان من الألقاب السلطانية الرسمية لقب (حامي الحرمين) فكيف يترك لهذه القوة الفتية ودعوتها أن تهدد زعامة السلطان العثماني الدينية. ومن ثم لم تجد الدولة العثمانية بدأً من الاستعانة في عام ١٨٠٧م - ١٢٢٢هـ. بواليها على مصر محمد علي للقيام بحملة للقضاء على النفوذ السعودي في الحجاز، وذلك بعد أن فشل كل من واليها على العراق وواليها على دمشق في القيام بهذه المهمة.

لقد وجد محمد علي في القيام بهذه المهمة فرصة سانحة في الحصول لمصر على مكانة ممتازة مستغلاً ظروف الدولة العثمانية[١]، وهكذا أرسل محمد علي حملته الأولى للحجاز بقيادة ولده طوسون وذلك في أواخر عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ). وقد تمكنت هذه الحملة لدى وصولها ميناء ينبع، بمساعدة القبائل التي انضمت إليها من هزيمة الفرقة السعودية بها. ثم أخذ طوسون يقوم بالتجهيز للزحف على المدينة المنورة، إلاَّ أن القوات المصرية حلت بها هزيمة منكرة في أول اشتباك حقيقي لها مع القوات السعودية في وادي

---

(١) محمد فؤاد شكري: مصر في مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١، جـ ٤ ص ٩٨٥ - ١٠٤٠.

الصفراء الذي تحيط به الجبال والمرتفعات، وولى من بقي منها حياً بالفرار إلى ينبع، ولذا أرسل في طلب المدد من والده[٢]. وقد استطاع طوسون من الاستيلاء على المدينة بعد حصارها مدة طويلة، وأرسل إلى والده مفاتيح الحرم النبوي الشريف، وبعد أن سيطرت قوات طوسون على المنطقة الشمالية من الحجاز الممتدة من ينبع إلى المدينة المنورة، توجه إلى جدة بعد اتفاق سري مع الشريف غالب، ومنها زحف إلى مكة واستولى عليها دون قتال، فقد انسحبت قوات عبد الله بن سعود إلى قرب الطائف حيث اتخذها معسكراً عاماً له.

وقد استطاعت القوات السعودية بقيادة الأمير سعود وابنه فيصل من أسر وهزيمة قوات طوسون[٣]، مما جعل محمد علي يحضر بنفسه إلى ميدان القتال (سنة ١٢٢٨ هـ- ١٨١٣ م)[٤] ولكن الحروب والمناوشات التي قامت بينهما لم تصل إلى نتيجة حاسمة، كما أن مفاوضات الصلح التي حاول الطرفان إبرامها لم تؤد إلى نتيجة، ومن ثم فإن كلاً من الطرفين أخذ يستعد لتجديد القتال وخوض الجولة الثانية.

لقد أمسى واضحاً لدى عبد الله بن سعود أن محمد علي إنما ينوي القضاء على ملك آل سعود[٥] وليس تخليص الحجاز فقط، ومن ثم فقد عقد العزم على القيام بعمليات حربية على المناطق التي كانت قد أعلنت ولاءها لحكم

---

(٢) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار جـ ٤ ص ١٣٨.

(٣) عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١٥٢- ٢٥٧.

عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ ٤، ص ١٣٨.

(٤) حافظ وهبه: جزيرة العرب، ص ٢٢٢- ٢٢٤.

عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق ص ٣١٣ وما بعدها.

(٥) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ٣٠.

محمد علي[٦] وجهز لذلك جيشاً يجمع بين البدو والحضر، قام بعمليات تأديبية وصلت إلى المناطق القريبة من المدينة المنورة[٧]. وفي نفس الوقت كان محمد علي يستعد لتجهيز حملة للجولة التالية من الحرب التي اختير لها[٨] إبراهيم باشا قائداً عاماً لها.

وصلت حملة إبراهيم باشا إلى ينبع في سنة (١٢٣١هـ- ١٨١٦م)، ومنها بدأ زحفه صوب البلاد النجدية، متغلباً على المصاعب التي قابلته في الطرق الصحراوية. وقد واصل سيره نحو الرس، التي علم أن عبد الله بن سعود كان يتحصن فيها، ولكن مدينة الرس ابلت بلاء حسناً ولم تستطيع قوات إبراهيم باشا[٩]، رغم استعداداتها العسكرية الضخمة، الاستيلاء عليها رغم حصارها مدة ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً واستيلاء إبراهيم باشا على عنيزة، إلاّ صلحاً. ونود أن نسجل هنا أن الرس استعصت على إبراهيم باشا، رغم طول حصارها واستعماله أعنف الوسائل في مهاجمتها، ذلك لاستماتة الحامية السعودية في الدفاع عنها، رغم ضعف عدتها وعتادها الحربي، لإدراكها انها مفتاح الطريق إلى الدرعية[١٠].

استأنف إبراهيم باشا زحفه نحو الشقراء، التي اتخذها عبد الله بن سعود معسكراً له، فاستولى في طريقه على بلدة بريدة، وبعد استمرار القتال حولها ثلاثة أيام وثلاث ليال متواصلة حتى تهدم سورها، سلمت المدينة. والحقيقة أن سقوط شقراء كان يعني سقوط إقليم الوشم كله في يد إبراهيم

---

(٦) عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١٨٥.

(٧) عرفت هذه الحملة التأديبية عند النجديين باسم (غزوة محيط ومحرش) لأنها كانت سبباً مباشراً في التعجيل بتجدد القتال.

(٨) عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي ص ٦٥.

(٩) عبد الحميد البطريق: إبراهيم باشا في بلاد العرب ص ١٣.

(١٠) عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٣٣٣.

باشا ولم يبق أمامه سوى وادي حنيفة في منطقة العارض، حيث توجد الدرعية عاصمة آل سعود، ومن ثم فلم يبق أمام إبراهيم باشا إلاّ الاستعداد للهجوم على الدرعية. ولم يكن الاستيلاء على الدرعية بالأمر السهل، فقد أدرك إبراهيم باشا حصانة الدرعية، وقوة قلاعها واستبسال أهلها في الدفاع عنها، ومن ثم فقد وطد العزم على خوض معركة حاسمة، فبدأ هجمات مستمرة امتدت طوال خمسة أشهر، استولى في نهايتها على سهل سمحان لهذا اضطر عبد الله بن سعود إلى نقل معسكره من سمحان إلى الطريف، أحد أحياء الدرعية التي لم تستطع الصمود أمام مدفعية إبراهيم، باشا فلم يجد عبد الله والحالة هذه إلاّ التسليم وطلب الأمان وكان ذلك سنة (١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م)، وتم إرسال الأمير عبد الله بن سعود إلى مصر ومنها إلى الآستانة حيث لقي مصيره المحتوم[١١] وبذلك سقطت الدولة السعودية الأولى بعد أن دمر إبراهيم باشا الدرعية تدميراً كاملاً وذلك بناء على أوامر الباب العالي[١٢].

وإذا أردنا بيان أسباب سقوط الدولة السعودية والعوامل التي ساعدت على ذلك فيمكن أن نوجزها في نقطتين، الأولى هي عدم تكافؤ القوة الحربية السعودية وقوة جيوش محمد علي[١٣]، التي كانت تفوق القوات السعودية عدة وعتاداً بالإضافة إلى استعمال أساليب القتال الحديثة. كما أن القوات السعودية لم تحاول الاستفادة من الأخطاء التي وقعت فيها قوات محمد علي أو من الظروف السيئة التي احاطت بها في بعض الأوقات. أما

---

(١١) أمين سعيد: الدولة السعودية، ص ١٤٠، عثمان بن بشر: المرجع السابق، ص ٢٠٧ - ٢٠٩. عبد الرحمن الجبرتي: المرجع السابق جـ ٤. ص ٢٩٩ ومابعدها.

(١٢) صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ١ ص ١٨٨، عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، ص ١٢٩.

(١٣) عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٣٤٥.

الثانية فهي النزعة القبلية التي جعلت الكثير من القبائل التي كانت خاضعة لنفوذ آل سعود تسعى دائماً للخروج عن طاعتها، ليس هذا في إقليم الحجاز والاحساء فحسب بل شملت إقليم نجد كذلك[١٤]. وقد استغل محمد علي هذه الظاهرة أحسن استغلال، إذ أن المعلومات التي حصل عليها إبراهيم باشا من القبائل العربية، أثناء حصاره للدرعية كانت من أبرز العوامل التي ساعدته على التعجيل بانهيار مقاومة الدرعية والاستيلاء عليها.

وإذا كان سقوط الدولة السعودية الأولى يعني، إنهاء الكيان السياسي لآل سعود لفترة معينة، وإن بقيت الدعوة السلفية راسخة في نفوس الكثير من أتباعها، إلاّ أنها أدت بطريق غير مباشر إلى ازدياد نفوذ محمد علي لدى الدولة العثمانية، وكذا إعلاء شأنه ومكانته في نظر العالم الإسلامي. أما بالنسبة للمجال الدولي فإن انهيار الدولة السعودية، أدى إلى ازدياد تطلع النفوذ الاستعماري إلى سواحل[١٥] الخليج، وسعي انجلترا إلى توطيد نفوذها على السواحل العربية[١٦].

---

(١٤) نفس المرجع السابق، عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ١٩٧.

(١٥) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ٢٦.

(١٦) جلال يحيى: المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث ص ٩٨.

الدولة السعودية الثانية

تعتبر الدولة الثانية، كما يجمع جمهور المؤرخين على تسميتها، وريثة الدولة الأولى التي أسسها محمد بن سعود الذي تحالف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية لنشرها ومد نفوذه في جميع أجزاء شبه الجزيرة بل وأطراف الشام والعراق. على أنه لم تكد تقضي جيوش محمد علي على الدرعية عاصمة الدولة حتى توالت الانتفاضات السعودية ضد الحكم التركي المصري في نجد حتى استطاع الأمير فيصل بن تركي أن يؤسس دولة أعاد بها توحيد معظم أجزاء الدولة السعودية الأولى، ذلك أنه برغم انتهاء الدولة الأولى بالمفهوم السياسي، إلاَّ أنها تركت علامات على الطريق لظهور نفوذ آل سعود على المسرح السياسي والديني. فقد ظلت الدعوة السلفية ماثلة في أذهان الناس، وظل المجتمع النجدي يكن الولاء للأسرة السعودية.

لقد كانت المحاولة الأولى لاستعادة حكم آل سعود، تلك التي قام بها الأمير مشاري أخو الأمير عبد الله بن سعود الكبير، الذي تنازل له أحد أمراء آل معمر عن الدرعية[١] ولكنه سرعان ما سلمه أمير آل معمر إلى الأتراك فأعدموه[٢]. أما المحاولة الثانية فهي التي قام بها الأمير تركي بن عبد

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: الدولة السعودية الثانية ص ٢٥، عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ٢١٩ - ٢٢٠؛ صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٠١ وما بعدها.

(٢) منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية، المجلد (١) ص ٢٤، عثمان بن بشر: المرجع السابق ص ٢١٩ - ٢٢٠.

الله بن محمد بن سعود، فقد استطاع القضاء على ابن معمر وقتله والدخول إلى الدرعية[٣] سنة (١٢٣٦ هـ - ١٨٢٠م) حيث تمكن الأمير تركي، رغم الظروف السيئة التي وصلت إليها البلاد من مرابطة القوات التركية المصرية في نجد وما يعانيه الأهالي من قلق سياسي وضيق اقتصادي نتيجة الحروب التي خاضوها بجانب آل سعود ضد جيوش محمد علي، من الاستيلاء على الرياض بعد محاصرة الجند التركي وإخراجهم منها بعد استسلامهم، واتخاذها عاصمة للدولة الجديدة[٤]. وقد اضطر الأمير تركي تحت ضغط الظروف ولكي يحصل على شيء من الهدوء وللموازنة بين القوى المتطلعة إلى الجزيرة العربية، أن يعترف بسيادة الدولة العثمانية اعترافاً اسمياً وقد ساعده هذا الاعتراف على السيطرة على نجد ومد نفوذه إلى الخليج، فاستولى على الاحساء والقطيف[٥]، ولكنه قتل قبل أن يحقق مشروعه الكبير، وبعد أن قضى اثنتي عشرة سنة في الحكم[٦].

وقد تولى الأمير فيصل بن تركي الحكم بعد مقتل أبيه، الذي يعتبره بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي للدولة الثانية. وقد قسم عبد الفتاح أبو علية مؤلف كتاب الدولة السعودية الثانية حكم الأمير فيصل بن تركي إلى ثلاث مراحل، الأولى وهي الفترة التي شارك فيها مع والده تأسيس الدولة السعودية الثانية، والفترة الثانية التي عمل فيها مجاهداً لإعادة بناء الدولة. أما المرحلة الثالثة التي امتدت قرابه اثنين وعشرين عاماً فقد تميزت باستتباب الأمنوالانتعاش الاقتصادي والرخاء.

---

(٣) حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢١٣- ٢١٤.

(٤) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق ص ٢٦، صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٠٤- ٢٠٥.

(٥) عثمان بن بشر: المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢.

(٦) نفس المرجع السابق.

وفي عهد الأمير فيصل بن تركي بدأت الاشتباكات بين مصر والسعودية مرة أخرى، ذلك أن محمد علي خشي من قيام الأمير فيصل للأخذ بالثأر، كما خشي أن تستخدمه الدولة العثمانية للوثوب على مصر، فقرر إرسال حملة عسكرية جديدة لتأكيد النفوذ عليها لذلك أرسل محمد علي حملة عسكرية سنة ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٩ م وأرسل معها الأمير خالد بن سعود الكبير[٧] لكن هذه الحملة باءت بالفشل إذ انهزمت أمام قوات الأمير فيصل بن تركي. فما كان من محمد علي إلاَّ أن أرسل قوة عسكرية جديدة، ودارت معارك بين الطرفين وانتهت باستسلام الأمير فيصل الذي أُرسل إلى مصر حيث قضي فيها بعض الوقت بينما نصَّب محمد علي الأمير خالد على نجد ليحكمها باسم السيادة المصرية[٨]. إلاَّ أن حكم خالد لم يدم أكثر من سنتين إذ نظر إليه أهل نجد نظرة الغريب عنهم وقامت ضده سلسلة من الفتن والثورات انتهت بخلعه والخلاص منه[٩]. ويعتبر عبد الفتاح[١٠] أبو علية انهزام الأمير فيصل بن تركي أمام قوات محمد علي نهاية الفترة الثانية من حكمه وهي لم تتجاوز أربع سنوات.

وقبل أن نتتبع سير الأحداث بالنسبة للأمير فيصل بن تركي في الدولة الثانية، يجدر بنا أن نلقي الضوء على علاقة الدولة بالقوى الخارجية ذات الاهتمامات والمصالح في شبه الجزيرة ونعني انجلترا والدولة العثمانية. أما بالنسبة للموقف الإنجليزي، فقد خشيت بريطانيا من نفوذ محمد علي الذي

---

(٧) كان الأمير خالد من بين الأمراء السعوديين الذين نفاهم إبراهيم باشا إلى مصر بعد سقوط الدرعية، فنشأ في كنف محمد علي وعمل على طاعته والانقياد له ومن ثم فقد وقع اختيار محمد علي عليه في مصاحبة الحملة إلى نجد ليؤلب الأمراء السعوديين بعضهم على بعض.

(٨) أحمد عسَّة: معجزة فوق الرمال ص ٣٥.

(٩) ضاري بن رشيد: نبذة تاريخية عن نجد ص ٥، أمين الريحاني: نجد وملحقاته، ص ٩٥.

(١٠) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق ص ٥٠.

أخذ يتزايد في الثلاثينات من القرن التاسع عشر في بلاد العرب[١١] وبشكل منفصل عن الدولة العثمانية، أن يزعزع نفوذها في الخليج لذا احتلت عدن سنة (١٢٥٥ هـ- ١٨٣٩ م)، كما هددت باستخدام القوة لوقف نشاط باشا مصر[١٢] في الخليج.

لذلك لم يجد محمد علي بداً أمام الموقف العدائي هذا من انجلترا، ناهيك عن موقف الدول الأوروبية الأخرى، روسيا وبروسيا والنمسا وكذا الدولة العثمانية، المعادية لمشروعه الرامي لإقامة دولة عربية واسعة تحت زعامته- أن يجامل إنجلترا اتقاء لشرها، فكف عن التدخل في منطقة الخليج[١٣]. ولم يقف الأمر بمحمد علي بالوقوف عند هذا الحد. بل أصدر أوامره بانسحاب الجيش المصري من شبه الجزيرة العربية وذلك تنفيذاً لمعاهدة لندن[١٤] سنة (١٨٤٠م- ١٢٥٦ هـ).

أما عن علاقة الدولة السعودية بالدولة العثمانية، فقد اعترف الأمير فيصل بن تركي- الذي تمكن من الخروج من سجنه بمصر (١٢٥٩ هـ- ١٨٤٣ م)- بالسيادة الرسمية للأتراك وذلك بدفع مقدار من المال تطبيقاً لنظام الالتزام العثماني[١٥]. على أن العلاقة بين الدولة السعودية والدولة العثمانية لم تكن مباشرة، فقد كانت ترسل الخراج إلى أشراف مكة الذين يقومون بدورهم بإرسالها إلى الدول العثمانية عن طريق ولاية مصر. وقد تحسنت العلاقة بين الدولة السعودية وبين الدولة العثمانية، حتى أنها طلبت

---

(١١) أمين سعيد: المرجع السابق جـ١ ص ١٤٦.
(١٢) عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق ص ٣٦٠.
(١٣) نفس المرجع السابق.
(١٤) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ١٤٩، محمد فؤاد شكري وعبد العزيز الشناوي: وثائق ونصوص في التاريخ الحديث والمعاصر ص ٥٥٥- ٥٦١.
(١٥) عبد الفتاح أبو علية: الدولة السعودية الثانية، ص ١٥٠.

من الأمير فيصل بن تركي، عن طريق الخديو إسماعيل- الذي كانت تربط بينهما علاقة ود وصداقة- معاونته في القضاء على ثورة عسير (١٢٧٠ هـ- ١٨٦٣ م)(١٦).

ولقد كان من أهم أعمال فيصل بن تركي عقب عودته من سجنه بمصر إلى نجد التخلص والقضاء على خصمه عبد الله بن الثنيان(١٧) الذي تسلم مقاليد السلطة في البلاد بعد أن ثار على خالد بن سعود. وقد ساعد فيصل في موقفه هذا أن القوات المصرية كانت قد أكرهت على الجلاء عن شبه الجزيرة العربية، فلما وصل فيصل بن تركي إلى القصيم وجد أن عبد الله بن ثنيان يحاصر بلدة عنيزة التي كان قد نصَّب نفسه أميراً عليها، فدعاه أن يدخل في طاعته ما دام قد وصل إلى الإمارة باسمه أثناء نفي محمد علي له. فحاول عبد الله أن يراوغ ويلجأ إلى الخداع إلاَّ أن فيصل لم يمهله فقد حاصره هو ومن معه من أهالي القصيم الذين جددوا الولاء له ورافقوه إلى الرياض فاستسلم ابن ثنيان(١٨). وهكذا بدأت الفترة الثالثة من حكم الأمير فيصل بن تركي.

وقد يكون من المفيد أن نورد هنا بعض النظم الإدارية وغيرها من نظم الحكم التي لم تكن متبعة في الدولة الأولى والتي اعطتها مقومات الدول

---

(١٦) مديحة درويش: العلاقات السعودية المصرية (١٩٢٤ - ١٩٣٦)، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة، ١٩٧٨،.

(١٧) عبد الله بن الثنيان هو من أبناء عمومه الأمير خالد بن سعود، وجده البعيد ثنيان أخو محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى. لذلك فإنه يعتبر نفسه مطالباً شرعياً في الحكم. أضف إلى ذلك التأييد الشعبي له من قبائل نجد الجنوبية ومن آل الشيخ (أسرة محمد بن عبد الوهاب) ولهذين السببين أثر كبير في تفوقه على منافسه خالد بن سعود أمير نجد من قبل مصر، وكان أول ظهوره على مسرح السياسة في نجد سنة ١٢٥٧ هـ- ١٨٤٠ م. أمين الريحاني: تاريخ نجد ص ٩٥. ابن بشر: المرجع السابق جـ ٢ ص ٧٥.

(١٨) عبد الرحمن الناصر: عنوان المجد والسعد صفحة ١٦.

الحديثة. استهل فيصل حكمه الجديد بإجراء العديد من الاصلاحات والتغييرات في النواحي الإدارية والقضائية والعسكرية. فقد عزل عدداً من موظفي عبد الله بن ثنيان وعيّن خلفاً لهم من الإداريين ومن القضاة ومن حكام الأقاليم. وبتوطيد حكمه في الداخل، فقد رأى فيصل أن يقوم بقمع حركات التمرد التي قامت ضد السلطة المركزية في الرياض(١٩) ومن أجل هذا فقد أعاد تشكيل قواته العسكرية وقسمها إلى عدة جماعات لكل منها إمامها الخاص وجناحها المعين ورئيسها المقيم الذي هو الحاكم لمنطقة هذه القبيلة عادة وهكذا نرى أن واجبات الجندية لم تكن الحرب فحسب بل هناك واجبات أخرى دينية وعلمية إذ اعتبر المعسكر مدرسة تقام فيها حلقات الدرس كما تؤدى فيها الصلوات الخمس(٢٠).

ومما تجدر ملاحظته أن الإمام فيصل حرص في تعييناته لحكام الأقاليم أن يولي ذوي النفوذ في المناطق حكاماً عليها مما يعينه على خضوع أهلها للسلطة المركزية ذلك لأنهم أكثر خبرة بإدارة مناطقهم وأكثر فهماً باحتياجاتها، كما أن كلمتهم مسموعة لدى أهلها. لذا يمكن اعتبار مثل هذه السياسة حكماً لا مركزياً، ولعل الأمير فيصل قد أخذ هذا عن الأنظمة الإدارية في الدولة العثمانية التي تحكم ولاياتها حكماً لا مركزياً أو ربما يعود ذلك إلى طبيعة المناطق التي تكاد تكون الواحدة منها منفصلة عن الأخرى لتباعد بعضها عن البعض الآخر(٢١).

ويجمع المؤرخون على أن حكم فيصل بن تركي في هذه الفترة الثالثة كان حكماً عربياً سعودياً ممتازاً ذلك أنه أقام العدل وعزز الأمن وأعاد إلى نجد

---

(١٩) Philby, op. cit., pp. 193 – 194.

(٢٠) ابن بشر: المرجع السابق جـ ٢ صفحة ١٢٢.

(٢١) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق ص ٩٨.

بعضاً من انتعاشها الاقتصادي ثم انطلق منها ليعيد جمع شتات شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة، فدانت له الاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والقصيم. ذلك أن سكان هذه المناطق العربية قد رأوا فيه حاكماً ناجحاً أعاد للبيت السعودي مكانته على مسرح السياسة في الجزيرة العربية واضطلع بمهمة بناء الدولة[٢٢] السعودية الجديدة.

أما عن علاقة فيصل بن تركي بالدول الخارجية، فإنه بعد أن استتب له الأمر في نجد[٢٣]، بدأ يتطلع إلى منطقة الخليج، فاتخذ موقفاً حازماً مع شيوخ البحرين فاستولى على ميناء الدمام وأقام فيها حامية سعودية[٢٤]. ثم قرر فيصل سنة (١٨٤٧م- ١٢٦٣ هـ) فتح جزر البحرين ولكنه لم ينجح في مشروعه هذا فعاود الكرة في سنة (١٨٥١م- ١٢٦٧ هـ) وانتهى الأمر بالصلح على أن تدفع البحرين زكاة سنوية للسعودية. وأمام هذه التطلعات السعودية للاستيلاء على إمارات ومشيخات الخليج، ضرب الأسطول الإنجليزي ساحل الاحساء التابع للدولة السعودية، إلاَّ أن فيصل سرعان ما أظهر ملاينته وصداقته لإنجلترا بأن أعلن أن العلاقة بين البحرين والسعودية قاصرة على دفعه الزكاة فقط. ومع ذلك فقد ظل موقف انجلترا من الدولة السعودية موقف الحذر، لذلك نجدها تتدخل باسم البحرين لتمنع فيصل من إيواء المضطهدين الفارين من البحرين. وبالتالي وَضَعت البحرين تحت حمايتها ضمن إمارات الساحل سنة (١٨٦١م- ١٢٨٧ هـ). كما كانت واحة البريمي مركزاً هاماً للنفوذ السعودي في منطقة الخليج الممتدة في حدود عمان[٢٥] الداخلية، أدت إلى احتكاكات متكررة بينها وبين

---

(٢٢) أحمد عسة: معجزة فوق الرمال ص ٤٠.

(٢٣) ضاري بن رشيد: نبذة تاريخية عن نجد، ص ٥٨.

(٢٤) Lorimer, J. G. Gazetteer of Persian Gulf Vol I., P. 229.

(٢٥) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق، ص ١٢٨، عثمان بن بشر: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٤١.

الإنجليز. فقد كان على انجلترا أن تتدخل لحماية حليفتها مسقط فوجهت انذاراً إلى فيصل احتجاجاً على تصرفه ضد سلطة محميتها مسقط وقد انهت العلاقات بين فيصل وانجلترا سنة (١٨٦٥م- ١٢٧١ هـ) بالتعاون على أن يكبح فيصل جماح القبائل التي تقوم بالسلب في منطقة الخليج، وذلك تنفيذاً لما كان قد وعد به أجداده بخصوص سلامة التجار والمسافرين في البحر لمدة مائة عام(٢٦).

---

(٢٦) Lorimer, J .G: op. cit, vol. I P. 768.

الحرب الأهلية وسقوط الدولة

١٢٨٢ هـ - ١٣٠٩ هـ

١٨٦٥ م - ١٨٩١ م

خسرت الدولة بوفاة الإمام فيصل بن تركي الذي حاول أن ينهض بها بعد النكبة التي أنزلتها بها جيوش محمد علي، ذلك أن وفاته قد ساعدت على قيام النزاع بين ولديه عبد الله وسعود ورغبة كل منهما في الانفراد بالسلطة في البلاد، مما أدى إلى قيام سلسلة من الحروب الأهلية امتدت ثلاثين عاماً[١]، أفادت منها الدولة العثمانية فتدخلت في بعض مقاطعات شبه الجزيرة العربية كما كانت سبباً في تمزيق وحدة الدولة السعودية وانتهت بسيطرة بيت آل رشيد (أمراء حائل) على نجد وخروج آخر أئمة آل سعود الأمير عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ليعيش فترة طويلة لاجئاً في الكويت[٢].

ولم يكد يمضي خمسة أعوام على وفاة الإمام فيصل حتى بدأ الشقاق والتنافس بين أمراء آل سعود. فانتهزت الدولة العثمانية هذه الفرصة السانحة، فأرسلت حملة عسكرية للاستيلاء على الاحساء وضمها إلى

---

(١) أحمد عسة: المرجع السابق، ص ٤٢.

(٢) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق، ص ٥٦.

البصرة- بحجة أنها جاءت لإخضاع الأمير سعود الثائر ضد أخيه الأمير عبد الله الذي طلب المساعدة منها[٣]- وذلك بمساعدة عربان الكويت برآسة الشيخ مبارك الصباح فقطعت بذلك الصلة بين نجد وعمان، مما أفسح المجال أمام الإنجليز للاستيلاء على عُمان وفتح الباب على مصراعيه أمام شيوخ بعض القبائل لينقضوا على الدولة فيناصروا أميراً على أخيه حتى إذا هزم في معركة انحازوا إلى الآخر ليحققوا لأنفسهم المغانم من كلا المعسكرين.

وقد انتهز محمد بن الرشيد فرصة النزاع المسلح بين أفراد الأسرة السعودية لكي ينقض عليها لانتزاع الحكم منها، فقد حدث عندما قام النزاع بين أولاد سعود بن فيصل الذي توفي عام ١٨٧١م- ١٢٨٨هـ، مع عمهم الإمام عبد الله بن فيصل أن جاء ابن الرشيد[٤] وجنى ثمار هذا الخلاف فدخل الرياض على رأس قوة كبيرة وأنقذ الإمام عبد الله وأخرجه من السجن كما هزم محمد بن سعود وتغلب عليه وألحق الرياض على رأس قوة

---

(٣) استنجد الأمير عبد الله بن فيصل بمدحت باشا الوالي العثماني في بغداد الذي سارع بإرسال حملة عسكرية تمكنت من الاستيلاء على الاحساء والقطيف وقطر. وبالرغم من أن مدحت باشا قد وعد بتنصيب عبد الله قائمقاماً على نجد، غير أنه بمجرد استيلاء القوات التركية على تلك المنطقة أعلن مدحت باشا إنهاء حكم آل سعود من المنطقة. (إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر، ص٥٨).

Troeller, G.: The Birth of saudi Arabia, PP. 36 – 42.

(٤) ترجع إمارة آل الرشيد في تأسيسها إلى عبد الله بن علي بن رشيد ويرجع نسب هذه الأسرة إلى قبيلة قحطان، وكان ابن رشيد هذا صديقاً حمياً لفيصل بن تركي وظهرت أهمية جبل شمَّر في عهد الإمام تركي بن عبد الله وكان يتولى إمارتها آنذاك عيسى بن علي الذي اختلف مع عبد الله ابن رشيد، مما اضطر الأخير إلى الفرار إلى الحلة في العراق ثم في الرياض. وهناك دخل في خدمة آل سعود. وفي الرياض توطدت عرى الصداقة بينه وبين فيصل الذي كافأه على خدماته له فعينه أميراً على حائل وجبل شمَّر وأن يكون الحكم فيها وراثياً في أسرته وذلك عام ١٢٥١هـ- ١٨٣٥م.

ضاري بن رشيد المرجع السابق، ص ١٥، عبد الكريم غرابية، المرجع السابق ص ٣٨١، عثمان بن بشر: المرجع السابق جـ ٢ ص ٧٣.

كبيرة وأنقذ الإمام عبد الله وأخرجه من السجن كما هزم محمد بن سعود وتغلب عليه وألحق الرياض بمدينة حائل التي كانت مقراً له[٥]، كما عيَّن أحد أخواله في الرياض نائباً عنه فيها وليشارك في حكمها مع الأمير عبد الرحمن بن فيصل الأخ الأصغر للإمام عبد الله بن فيصل.

لم يكتف ابن الرشيد بما حصل عليه بل حاول أن يتخلص من الأمير عبد الرحمن الذي كان الشعب قد بايعه بالإمامة بعد وفاة أخيه سعود بن فيصل فقد أوعز إلى مندوبه في الرياض سالم السبهان باغتياله لكن المؤامرة اكتشف أمرها في الوقت المناسب واعتقل سالم السبهان وأودع السجن في الرياض. وقد استطاع الإمام عبد الرحمن بعد هذه الحادثة أن يستعيد استقلال عاصمة السعودية: الرياض، كما أعانته على النهوض بالدولة من كبوتها مما أدى إلى انضمام مقاطعة القصيم إلى الدولة وبعض المقاطعات الأخرى إليها[٦]. على أن ابن الرشيد لم يكد يسمع بانضمام القصيم وغيرها إلى الإمام عبد الرحمن حتى بادر بإعداد قوة عسكرية لحصار مدينة الرياض محاولاً الاستيلاء عليها. وقد انتهت الحملة العسكرية بالفشل إلاَّ أن الهزيمة لم تكن كبيرة مما جعل الإمام عبد الرحمن يجري مع ابن الرشيد مفاوضات للصلح. وانتهت هذه المفاوضات إلى الاتفاق على أن يعود ابن الرشيد إلى حائل بعد فكه الحصار المفروض على مدينة الرياض وأن تكون إمارة العارض للإمام عبد الرحمن بن فيصل وتكون السلطة الفعلية في الرياض بيد آل سعود دون أن يتدخل ابن الرشيد فيها وفي مقابل ذلك يطلق الإمام عبد الرحمن سراح سالم بن سبهان[٧].

---

(٥) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق، ص ١٩٤، Philby, op. Cit., p 231

(٦) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٧) أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة جـ ١ ص ٨٧، أمين الريحاني: المرجع السابق ص ١٨٣.

لم يدم هذا الصلح طويلاً فقد هجم ابن الرشيد بقواته على أهالي القصيم الذين نهضوا لقتاله لعدم انجازه ما وعدهم به من ضم بعض الأراضي إليهم ودارت معركة بين الفريقين سنة ١٨٩٠م- ١٣٠٨هـ انتصر فيها أهل القصيم في أول الأمر ولكن ابن الرشيد انقض على مؤخرتهم بقوة وانتهت المعركة بانتصار ابن الرشيد في موقعة (المليدا). وقد مهدت هذه الموقعة الحاسمة الطريق لابن الرشيد للسيطرة على نجد لعدة سنوات وذلك أن الإمام عبد الرحمن خرج هو وعائلته من الرياض عندما جاءه نبأ هزيمة أهل القصيم وانتصار ابن رشيد، وذلك لأن قوته في الرياض لم تعد كافية للوقوف في وجه[٨] ابن رشيد.

ولما علمت الدولة العثمانية عن طريق ممثلها في الإحساء بانتصار ابن الرشيد واستيلائه على نجد وخروج عبد الرحمن منها، أرسلت إلى الأمير عبد الرحمن تعرض عليه أن يكون أميراً للرياض في ظل سيادة الدولة العثمانية وحمايتها مقابل دفع خراج سنوي رمزي[٩]، لكن الإمام عبد الرحمن اعتذر عن قبول هذا العرض، ذلك أن آل سعود قامت دولتهم على أساس تحرير شبه الجزيرة العربية من النفوذ الخارجي وتوحيدها في دولة عربية إسلامية ذات سيادة. وقد آثر عبد الرحمن أن يذهب إلى قرب الربع الخالي وأن يضرب في البادية وأن يستقر هناك لعدة شهور ثم انتقل بعد ذلك إلى قطر فأقام بها ستين يوماً، انتقل بعدها مع أفراد عائلته وفي مقدمتهم ابنه عبد العزيز الذي لم يكن يتعدى الحادية عشرة عاماً من عمره آنذاك إلى البحرين ومنها إلى الكويت فبقي فيها زهاء عقد من الزمان حتى استطاع نجله الإمام عبد العزيز أن يحرر الرياض وأن ينطلق منها ليؤسس ما عرف في التاريخ الحديث باسم المملكة العربية السعودية[١٠].

---

(٨) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق، ص ١٨٧، Philby, : op. Cit., p. 234.

(٩) أمين الريحاني: نجد وملحقاته، ص ١٠٦.

(١٠) حافظ وهبه: المرجع السابق ص ٢٤١، أحمد عسة: المرجع السابق ص ٤٥.



الفصل الثاني

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل وبناء الدولة الجديدة

١ - إعادة توحيد نجد وبعث الدولة من جديد

٢ - بريطانيا والإمام عبد العزيز

٣ - النزاع السعودي الهاشمي ومراحله

٤ - موقف بريطانيا من النزاع السعودي الهاشمي



إعادة توحيد نجد
وبعث الدولة من جديد

في الوقت الذي غادر فيه الإمام عبد الرحمن إلى الكويت حيث بقي زهاء عقد من الزمان، بدأ الصراع في منطقة الخليج العربي يأخذ شكلاً إيجابياً بين الإنجليز والألمان والروس والعثمانيين[1]. وفي ذلك الوقت أيضاً بدأ عبد العزيز بن الرشيد يتطلع إلى ضم الكويت حتى يجعل حدود ولايته تصل إلى البحر وذلك بإيعاز من الدولة العثمانية، مما جعل الكويت محمية بريطانيا تستنجد بالإنجليز وفي نفس الوقت طُلب من عبد العزيز بن الأمير عبد الرحمن أن يشن هجوماً عسكرياً على ابن الرشيد في الرياض[2]. وبرغم فشل محاولة عبد العزيز الأولى في الدخول إلى الرياض إلاَّ أن ذلك لم يثن عزمه في استرداد ملك اسرته، فعاود الكرة مرة أخرى حتى كتب له النصر سنة (١٣١٩ هـ- ١٩٠٢ م) فدخل الرياض وخرج إليه الناس فرحين مستبشرين بعودة آل سعود بعد ما لاقوه من عذاب واضطهاد على يدي ابن الرشيد[3].

---

(١) محمد سيد إبراهيم (وآخرون): تاريخ المملكة العربية السعودية في إطار التاريخ العربي الحديث ص ٨١.

(٢) إبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد ص ٨٥.

(٣) الألوسي: تاريخ نجد ص ٣٢.

وحري بنا ونحن ندرس أعمال عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في بناء الدولة السعودية الجديدة، أن نذكر كلمة موجزة عن ترجمة لحياة هذا البطل، علّها تضيء الطريق أمامنا لتفسير الكثير من الأعمال الخارقة التي أقدم عليها والسياسة الرشيدة التي سار عليها حتى استطاع أن ينشىء من بقايا دولة متداعية مملكة قوية استطاعت أن تبرز إلى مجال السياسة الدولية وأن تلعب دوراً إيجابياً فيه.

لقد ولد عبد العزيز بن عبد الرحمن في الرياض في ذي الحجة[٤] سنة ١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠م. ولما بلغ السابعة من عمره، عهد به والده إلى المطوع القاضي عبد الله بن الخرج لتعليمه القرآن الكريم فختمه في الحادية عشرة من عمره، ثم تلقى علوم الفقه والتوحيد على يدي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف. كما علمه والده ركوب الخيل وفنون الفروسية والرماية والضرب بالسيف ونشأ نشأة قاسية كان لها أكبر الأثر في تغلبه على الصعاب في حياته[٥]. فقد ولد عبد العزيز في وقت تحالفت فيه الشدائد ضد أسرته فقد رأى عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون في سبيله، مما أتاح الفرصة لعدو أسرته (ابن الرشيد) استغلال هذا النزاع، فانقض على الوطن النجدي يحتل مدنه وأريافه الواحدة تلو الأخرى[٦]. وقد رأى عبد العزيز والده الإمام عبد الرحمن كيف كان يستبسل في الذود عن الحمى المستباح، ولكنه يخفق في جهاده، لأن خصومه سبقوه إلى الاحتفاظ بالمبادرة، وعملوا جاهدين إلى بذر بذور الشقاق والبغضاء بين رؤساء البلاد وزعماء القبائل والعشائر. عند ذلك لم يجد الابن الفتى عبد العزيز بداً من طرح (القلم)

(٤) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية جـ ٢ ص ١٤.
(٥) حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٤٣.
(٦) أحمد عسه: معجزة فوق الرمال ص ٤٣.

جانباً، ويلتفت إلى السيف وحده ليكون فصل الخطاب، وهكذا كان[٧].

في الوقت الذي هاجر فيه الأمير عبد الرحمن بن فيصل من الرياض إلى مضارب آل مرة في الربع الخالي بالقرب من الاحساء، كان عمر ولده عبد العزيز لا يزيد عن اثنتي عشرة سنة[٨]، فهو لم يشاهد مجد جده فيصل، بل شاهد محنة أبيه عبد الرحمن وعائلته. وأخذ عبد العزيز يقطع الصحراء ويجوب فيها ويشارك أباه في محنته ويقاسمه الآلام، ثم انتقل إلى قطر ومنها إلى البحرين. وكان المطاف الأخير هو الكويت حيث بقي فيها مع أفراد عائلته زهاء عقد من الزمن.

وكانت مدرسة الحياة هي أول مدرسة سياسية دخلها عبد العزيز، ذلك أن الكويت كانت في ذلك الوقت ميداناً للصراع السياسي الدولي بين الإنجليز والألمان والروس والعثمانيين، فروسيا تسعى جاهدة للوصول إلى مياه الخليج العربي، وألمانيا تحاول بالاتفاق مع العثمانيين مد سيطرتها على البلاد العربية وذلك عن طريق إنشاء خط حديدي يصل من برلين إلى بغداد ثم الانتهاء به في الكويت. بينما يعمل الإنجليز لتمكين سلطانهم في إمارات الخليج العربي بمعارضة مد الخط الحديدي إلى الكويت[٩] خشية على نفوذهم في الشرق من خطر المزاحمة الألمانية.

لقد ذاق عبد العزيز مرارة العيش في الكويت، ولم يحتمل أن يعيش تلك الحياة الهادئة، كما كبر على نفسه الأبية أن يعيش تحت كنف الشيخ مبارك بعد أن كانوا بالأمس سادة نجد، لذلك قرر أن يخاطر بحياته، فإما

---

(٧) صلاح الدين المختار: المرجع السابق ص ١٥.
(٨) حافظ وهبه: المرجع السابق ص ٢٤٣.
(٩) أحمد عسة: المرجع السابق ص ٤٦.

أن يفوز بالنصر فيكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو أسرته، وإما أن يموت فيستريح من عذاب نفسه الأبية.

بدأ الأمير عبد العزيز مخاطرته الجريئة الأسطورية، بالهجوم على الرياض، لبعدها عن مركز قوة ابن الرشيد الذي كان يسكن حائل شمال نجد ولما فيها وفي بلاد الجنوب من الأنصار والمخلصين لآل سعود، وكان ذلك سنة (١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م) وليس معه سوى أربعين رجلاً. وقد رأى ببعد نظره أن يبدأ بضرب العشائر التابعة لابن الرشيد حتى يلتف حوله رؤساء البدو. وفعلاً نجحت خطته، فقد انضم إليه عدد كبير من العشائر حتى بلغ جيشه ألفاً وفرسانه نحو (٤٠٠)، ومن ثم فقد اتخذ هدفه نجداً الجنوبية(١٠).

وقد خشي عليه الشيخ مبارك ووالده، مغبة هذه المخاطرة الجريئة عندما علما باستنجاد ابن الرشيد بالدولة العثمانية وبأمير قطر، فكتبا له بالرجوع، إذ لا قبل لعبد العزيز بمناوأة الدولة العثمانية وابن الرشيد، خاصة ولم يبق حوله إلاّ الأربعون رجلاً الذين خرجوا معه من الكويت. ولكن عبد العزيز لم يستمع لغير ما عقد عليه العزم فإما أن يكون ملكاً أو أن يموت دونه. لذلك نجد عبد العزيز يخوض المعارك والأخطار حتى استطاع أن يستولي على الرياض ثم أخذ يعمل على نقض مملكة ابن الرشيد واسترداد ملك آبائه وأجداده، فأخذ يغالب الخصوم من النجديين والأشراف والأتراك، يضربهم حيناً ويلين أخرى حتى تحقق له ما أراد.

وقد رأى عبد العزيز بعد أن استقر به المقام في الرياض أن يرسل في طلب والده من الكويت حتى يتولى إدارة شئون المدينة بينما يتفرغ هو للحرب. ومما تجدر الإشارة إليه أن الصلة بين الأب والابن التي استمرت

---

(١٠) حافظ وهبه: جزيرة العرب، ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

زهاء ثلاثين عاماً كانت صلة احترام متبادل وتشاور في الرأي، كما كان الابن ينزل والده منزلة الشرف الأعلى في كل المناسبات مما يعز أن نجده في تاريخ الصلات بين الأسر الحاكمة[11].

وقد استمر الصراع بين عبد العزيز وابن الرشيد على شكل مناوشات كانت تنتهي دائماً بفوز الإمام عبد العزيز، وذلك لمحبة الناس له لا سيما مقاطعات الوشم والسدير والقصيم. وهكذا أصبح عبد العزيز سيد منطقة نجد الوسطى[12] بالإضافة إلى المنطقة الجنوبية والتي تجمع الخرج والحوطة والحربي والأفلاج ووادي الدواسر.

وقد أثار استيلاء عبد العزيز على الرياض وبسط نفوذه على نجد بتلك السرعة مخاوف الدولة العثمانية. ورأت في ظهوره خطراً لبعث الحركة السلفية التي كلفتها الكثير من قبل. كما رأت في قوته واتساع نفوذه ضياعاً لسلطانها وهيبتها، خاصة وقد يكون عبد العزيز مثلاً يحتذى به من قبل الزعماء العرب الآخرين في المنطقة، فتضيع أملاكها من يدها، خاصة وقد أصبح مركز الدولة حرجاً في بلاد العرب بعد أن دخلت الكويت تحت الحماية البريطانية، وقامت الثورة في اليمن على الحكم وتمت البيعة للإمام يحيى سنة ١٩٠٤، وشاعت الفتنة في البصرة. لذلك رأت الدولة العثمانية ضرورة الحد من سلطان عبد العزيز، فسارعت إلى تعضيد ابن الرشيد خصم عبد العزيز وأرسلت إليه جيشاً تركياً مزوداً بالمال والأسلحة الحديثة وذلك لاسترجاع ما أخذه عبد العزيز. لكن الهزيمة حلت بابن الرشيد والجيش العثماني في موقعه (الشنانة)[13] التي تعتبر من المواقع الفاصلة في تاريخ نجد سنة ١٣٢٢هـ ١٩٠٤م، إذ جعلت تركيا

---

(١١) أحمد عسة: المرجع السابق ص ٥٢.

(١٢) إبراهيم عيسى: عقد الدرر. ص ٧١.

(١٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب.

تتخلى عن مساعدة ابن الرشيد وبدأت تخطب ود عبد العزيز، فطلبت منه الدخول معها في مفاوضات. وقد كانت نصوص هذه المفاوضات الاعتراف بسلطان الإمام عبد العزيز على ما في يده من نجد وأن يكون للدولة العثمانية فيها مستشارون[14]، ولكن أهل نجد رفضوا شروط المفاوضة، حتى لا تتحرك القوات العثمانية في قلب نجد بموافقتهم.

على أن الدولة العثمانية لم تيأس من فشل المفاوضة السابقة، وعرضت على عبد الرحمن وولده عبد العزيز مفاوضة ثانية لم تؤد إلى نتيجة، مما أدى إلى إفساح المجال لاستئناف القتال من جديد بين عبد العزيز وابن الرشيد انتهى بموقعة (روضة المهنا) سنة (١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م) قتل فيها ابن الرشيد عبد العزيز بن متعب.

وهكذا تخلص عبد العزيز من ابن الرشيد الأداة التي اتخذتها الدولة العثمانية لإحباط جهوده في تحرير نجد وتوحيدها[15]، كما أجبر القوة العثمانية المتواجدة في المنطقة على الرحيل والانسحاب وأصبح عبد العزيز بذلك سيد نجد شمالها وجنوبها.

ولم يكتف عبد العزيز بما حرره من إقليم نجد، بل أخذ يتطلع إلى المنطقة الشرقية، حيث كانت الاحساء تمثل ضرورة حيوية كمنفذ بحري هام ينقذه من حصار الأتراك والإنجليز له في الداخل. فانتهز فرصة انشغال تركيا في حربها مع إيطاليا سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م واضطرار الدولة العثمانية إلى سحب جزء من حامياتها في الهفوف، وأخذ يرسل الحاميات العسكرية التي حررت منطقة الاحساء التي كانت جزءاً لا يتجزأ

---

(١٤) صلاح الدين المختار: المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٢.

(١٥) عبد الرحمن نصر: عاهل الجزيرة، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ص ٢٥

من الدولة السعودية الأولى، والتي دام الاحتلال العثماني لها ٤٢ عاماً[١٦].
وقد حاول الأتراك استرجاع ما فقدوه فعاودوا الهجوم على عبد العزيز، لكنهم منوا بالهزيمة. وبذلك ثبتت أقدام عبد العزيز في الاحساء التي أصبح بعد فتحها على اتصال مباشر بالسياسة الإنجليزية وقد أصبح يشترك اشتراكاً فعلياً في توجيه السياسة الدائرة في الخليج العربي، هذا وقد مكن فتح الاحساء عبد العزيز من الحصول على أول مورد منظم للدولة بواسطة الرسوم الجمركية.

وعندما رأت الدولة العثمانية أن السلطان الحقيقي لنجد والاحساء والقصيم[١٧] هو عبد العزيز اعترفت به فمنحته رتبة الباشوية وأقرته حاكماً على نجد وملحقاتها تحت السلطة العثمانية، على أن تكون الولاية من بعده لأولاده وأحفاده. ومما يدل على أن الدولة العثمانية قد فعلت ذلك مكرهة تحت ضغط انتصارات عبد العزيز المتلاحقة، أنها راحت تشجع سراً آل الرشيد في جبل شمّر وتمدهم بالسلاح لمهاجمة نجد وغزوها[١٨].

---

(١٦) داكبورت فون ميكوش: عبد العزيز (نقله عن الألمانية أمين رويحة) ص ١٧.
(١٧) تعتبر القصيم من أشهر إيالات نجد البالغ عددها إحدى عشرة إيالة. وتجود بها الزراعات على اختلاف أنواعها وهي تقع في طريق القوافل من مكة إلى العراق. ويبلغ عدد قراها ٥٠ قرية، وأهم مدنها بريده وعنيزة.
(١٨) حافظ وهبه: خمسون عاماً ص ٩٦.

بريطانيا والإمام عبد العزيز

كان عبد العزيز يدرك جيداً، منذ إقامته في الكويت، أهمية بريطانيا في المنطقة، ومن ثم سعى جاهداً- بعد أن استرد ملك أجداده- في خطب ود بريطانيا وإقامة جسر من الصداقة بينه وبينها والاستعانة بها للوقوف في وجه ابن الرشيد والأتراك واستعادة الاحساء. إلاَّ أن الحكومة البريطانية، انطلاقاً من سياستها التقليدية(١)، أصرت على عدم التدخل في شئون وسط شبه الجزيرة العربية والزج بنفسها في صراعات قبلية(٢). وفي نفس الوقت كانت بريطانيا تخشى من رد فعل علاقاتها بالدولة العثمانية إذا ما أقدمت على عقد اتفاقية مع الحاكم السعودي(٣).

وظلت العلاقات متوترة بين الإمام عبد العزيز- الذي أكد رغبته أكثر من مرة وكرر طلبه في أن تساعده بريطانيا وتعقد معه اتفاقية- وبين

(١) كانت إحدى السياسات الاستراتيجية لبريطانيا عدم السماح بوجود قوة سياسية في طريق مواصلاتها للهند تهدد مصالحها هناك، ولذا كانت تخشى من استفحال قوة الدولة السعودية الناشئة.

(٢) Troeller G. : The Birth of Saudi Arabia, pp. 36 – 42.

(٣) كانت حكومة الهند البريطانية تهتم بتأمين مصالحها بمنطقة الخليج العربي الذي هو شريان المواصلات البحرية مع الهند، ولذا كانت ترى عكس ما تراه الحكومة البريطانية ووزارة الخارجية البريطانية، وكانت تشجع على إقامة علاقات ودية مع عبد العزيز القوة الكبيرة الناشئة في تلك المنطقة، خاصة بعد استيلائه على الاحساء واطلاله على الخليج، وسعت دوماً من خلال ممثليها في الخليج إلى اقناع الحكومة البريطانية بذلك.
Troeller, G. : op. CIT., pp 47 – 50.

بريطانيا حتى نشبت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا إلى معسكر الوسط، فاضطرت بريطانيا إلى تغيير سياستها التقليدية تجاه وسط شبه الجزيرة وعبد العزيز بن سعود. لكن عبد العزيز رأى أن يقف على الحياد في تلك الحرب، حيث لم يظهر عداءً مكشوفاً نحو تركيا، وإن أظهر وداً مستتراً تجاه بريطانيا. فهو لم يحارب الشريف حسين في مكة كما أراد الترك ولم يشترك في محاربة الترك في العراق كما أراد الإنجليز[٤]. وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م) كان عبد العزيز سلطاناً على نجد والاحساء، في حين كانت الحجاز ولاية عثمانية وكان بيت الرشيد ما يزال يحكم جبل شمَّر كما كانت عسير في يد الأدارسة تحت السيادة العثمانية. وكانت بريطانيا تسيطر على معظم دول الخليج[٥]. وإذا كانت أسباب قيام الحرب العالمية عديدة ومتشعبة فمما لا شك فيه أن من بينها هو تزاحم الدول الكبرى على أن يصبح لها نفوذ على دول الشرق الأوسط.

لذلك فقد رأى عبد العزيز بثاقب فكره وبعد نظره أن يستفيد من هذا الموقف الذي وصلت إليه الدول الأوربية الكبرى من تطاحن وتنازع وحروب من أجل الوصول إلى بلاد الشرق الأوسط والسيطرة عليه[٦].

وفي تلك الأثناء سارعت بريطانيًا إلى استمالة عبد العزيز إلى صفها حتى وإن لم يقم بالمشاركة الفعلية في الحرب، خاصة بعد أن بدأت مفاوضات ناجحة مع الحسين بن علي شريف مكة لقيادة ثورة عربية ضد الأتراك.

---

(٤) صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٦١ - ١٦٤.
حاول عبد العزيز في بداية الحرب أن يؤلف جبهة عربية تعمل لخير العرب وللصالح المشترك، وسعى لدى أمراء العرب ليعملوا يداً واحدة، إلاّ أنهم وقفوا سلبيين تجاه دعوته.

(٥) أمين الريحاني: سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، ص ٢٦٢.

(٦) جمال زكريا: الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٨٤٠ - ١٩١٤).

وخافت بريطانيا أن يعرقل الإمام عبد العزيز ثورة الشريف حسين لما بينهما من منافسة وعداء[٧].

وقد رحب عبد العزيز برسول المعتمد البريطاني في منطقة الخليج مستر شكسبير W. H. T. Shakespeer [٨] لعقد اتفاقية بينه وبين بريطانيا، مهدت للاتفاقية السعودية البريطانية التي وقعت سنة (١٣٣٤ هـ - ١٩١٥ م) وعرفت باسم معاهدة «دارين» أو القطيف[٩]. وقد وقعت من قبل الإمام عبد العزيز بن سعود والسير برسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج وذلك في منطقة (دارين) قرب القطيف. وقد ظلت هذه المعاهدة أساساً للمعاملة بين الطرفين حتى أستبدلت بها معاهدة جدة في عام ١٩٢٧ م - ١٣٤٥ هـ.

ورغم أن هذه المعاهدة كانت لصالح بريطانيا في الأكثر، إلاّ أنها تعتبر

---

(٧) بينما كانت وزارة الخارجية البريطانية (أو بمعنى أدق حكومة لندن) تتفاوض مع الشريف حسين لتجهيزه للثورة واغرائه بإعلان انفصال العرب عن الترك ونقل الخلافة من آل عثمان إلى العرب، كانت حكومة بومباي ترى أن من الأجدى التفاوض مع الحاكم السعودي للحصول على صداقته لضمان المصالح البريطانية في الخليج والعراق، إلى جانب أن حكومة الهند كانت ترى أن الثورة على الترك سوف تغضب مسلمي الهند المتعاطفين مع الخليفة العثماني، وبالتالي سوف تضع حكومة الهند في موقف حرج. وقد تم أخيراً الوئام بين الاتجاهين لحفظ كافة المصالح البريطانية أنظر:

Lenezowski, G. : The Middle East in the World Affaires, p. 74; Troeller, G. : op. cit, pp. 73 – 83.

(٨) كان شكسبير قد تقابل مع الإمام عبد العزيز لأول مرة عندما كان الأخير في زيارة لأمير الكويت الشيخ مبارك سنة ١٩١٠م ١٣٢٨ هـ، وكان لشخصية عبد العزيز أثر قوي في نفس شكسبير. وبعد زيارة هذا للرياض أصبح من أكبر مؤيدي الإمام عبد العزيز لدى الحكومة البريطانية وقد فقد عبد العزيز بمقتل شكسبير في إحدى المعارك ضد ابن الرشيد سنة ١٣٣٣ هـ نصيراً قوياً لدى الحكومة البريطانية.

(٩) أنظر نص المعاهدة: Hurwitz, J. G. Deplomacy in the Near and Middle East, Vol. II, PP. 17 – 18.

نقطة تحول في العلاقات السعودية البريطانية، حيث اعترفت بريطانيا بمقتضاها بسلطة الإمام عبد العزيز واستقلاله في نجد والاحساء والجبيل والقطيف وما يتبعها من موانى وسواحل غير محددة، وتوارث أسرته لهذه الأملاك، كما نصت المعاهدة على حماية بريطانيا لعبد العزيز من أي اعتداء أجنبي. وفي مقابل ذلك تعهد عبد العزيز أن يأخذ مشورة بريطانيا في تعامله مع الحكومات والدول الأجنبية. كما تعهد أن يتحاشى أن يبيع أو يرهن قطعة أرض من بلاده. أو أن يمنح امتيازاً في أراضيه لدولة أو شركة أجنبية دون استشارة الحكومة البريطانية ورضاها. بالإضافة إلى ذلك تعهد عبد العزيز بعدم التعدي على الإمارات العربية الواقعة على الخليج والخاضعة للحماية البريطانية[١٠].

وقد أمنت هذه المعاهدة جانب بريطانيا أثناء الحرب وأخرجت الإمام عبد العزيز من صف الأتراك دون محاربتهم، كما أن الإمام عبد العزيز بمحاربته لآل رشيد حلفاء الترك في الحرب قد شل حركتهم ومنعهم من المشاركة الفعلية في جانب الأتراك، ولا ننسَ أن المعاهدة أوقفت عبد العزيز- مؤقتاً- عن التعرض للشريف حسين حليف بريطانيا. وفي نفس الوقت فقد أفادت المعاهدة الإمام عبد العزيز بحصوله على معونة بريطانية مالية[١١] ساعدته في حربه المصيرية مع آل الرشيد، كما أنها ضمنت له الحماية ضد أي عدوان تركي وأمنته جانب الإنجليز. وكانت المعاهدة بمثابة أول معاهدة دولية أكد فيها عبد العزيز مركزه الدولي. وقد ساعده هذا المركز بدوره أن يقيم بعد الحرب العالمية الأولى أول دولة عربية مستقلة ذات

---

(١٠) محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس والسيد رجب حراز: نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، ص ٤٨٣- ٤٨٤.

(١١) سيتون وليمز: بريطانيا والدول العربية (عرض للعلاقات الإنجليزية العربية ١٩٢٠- ١٩٤٨) (ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى) ص ١٨٧.

سيادة كاملة بعد أن تخلص الإمام عبد العزيز من قيود المعاهدة السالف الإشارة إليها في عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م واستبدالها بمعاهدة جديدة عرفت (بمعاهدة جدة)[١٢] والتي اعترفت فيها بريطانيا بالإمام عبد العزيز ملكاً مستقلاً على الحجاز ونجد وملحقاتها، وهي التي اندمجت فيما بعد تحت اسم المملكة العربية السعودية، لتكون أول دولة عربية تحقق استقلالها السياسي وسيادتها التامة.

---

(١٢) وزارة الخارجية - مكة المكرمة: مجموعة المعاهدات، ص ٤٢ - ٤٣. أمين سعيد: تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ ٣ ص ٤٨.

النزاع السعودي الهاشمي ومراحله

شهد مطلع القرن العشرين ازدواجية في السياسة البريطانية نحو كل من الإمام عبد العزيز بن سعود في نجد، والشريف الحسين في الحجاز. وهي ازدواجية أملتها المصالح الذاتية لكل من حكومة الهند البريطانية أو وزارة الهند، والتي كانت تنبع مصالحها من هدوء الأحوال في منطقة الخليج[1]. على حين أن وزارة الخارجية البريطانية في لندن رأت في شخص الشريف حسين بالحجاز خير منفذ لمخططاتها أثناء الحرب العالمية الأولى، ليس فقط لموقعه الجغرافي في الجزيرة العربية أي بحكم وجوده في مكة والمدينة، وإنما أيضاً بحكم موقعه الديني لأنه يعود بنسبه إلى الرسول، وذلك يعطيه أفضلية عن غيره من الحكام المسلمين في التفاف العرب حوله.

ولقد تمخضت السياسة البريطانية مع الإمام عبد العزيز عن عقد معاهدة القطيف في سنة ١٩١٥ م (١٣٣٣ هـ)، تلك المعاهدة التي اعترفت فيها بريطانيا بسلطة الإمام عبد العزيز واستقلاله في نجد وملحقاتها[2]، وذلك مقابل تعهد ابن سعود بعدم انضمامه إلى جانب الأتراك، ومحاربة ابن

---

(١) كان السير برسي كوكس هو السياسي البريطاني الوحيد الذي رأى أن عبد العزيز سيلعب دوراً هاماً، وكان يسعى إلى ربط بلاده بعلاقات ودية مع ابن سعود. وظل كوكس وراء حكومة الهند البريطانية حتى اعتنقت وجهة نظره. ومن الجدير بالذكر أن كوكس لم يقابل ابن سعود لأول مرة إلا في ديسمبر ١٩١٥ م (صفر ١٣٣٤ هـ).

(٢) انظر حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٥٠- ٢٥٣.

الرشيد حليفهم، وعدم التعرض لحلفاء بريطانيا في شبه الجزيرة.

أما مع الشريف الحسين، فإن المفاوضات معه أدت إلى قيام الثورة العربية في ١٠ يونيو سنة ١٩١٦ (٦ رجب ١٣٣٤ هـ) بقيادة الحسين ضد الأتراك في شبه الجزيرة. وكان الحسين يأمل في تكوين دولة عربية مستقلة يكون هو ملكاً عليها، وتكوين خلافة عربية تحت زعامته[٣].

ولقد اطمأن الإمام عبد العزيز إلى تأكيد وحماية الانجليز لاستقلال مناطق نفوذه في نجد وملحقاتها، ذلك أن أهداف عبد العزيز في ذلك الوقت كانت تتركز في حماية أراضيه من عدوان تركيا أو أحد حلفائها عليها. غير أن الإمام عبد العزيز كان يجهل مدى ارتباط الشريف حسين بالفلك البريطاني ومدى الوعود المبذولة له. لذلك فوجىء الإمام عبد العزيز بإعلان الشريف الحسين نفسه ملكاً على العرب في عام ١٩١٦ (١٣٣٤ هـ)، كما أن الشريف حسين أخذ في معاملة الأمراء العرب الآخرين في أنحاء شبه الجزيرة معاملة الأتباع ولم يستثن الإمام عبد العزيز من تلك المعاملة. وقد أدى هذا إلى قيام صراع مرير بين ابن سعود والشريف حسين، انتهى باستيلاء الإمام عبد العزيز على الحجاز.

---

(٣) لقد تولى الشريف حسين الحكم (أو الشرافة) في مكة سنة ١٩٠٨، وقد سعى جاهداً للعمل على تقوية نفوذه والاستقلال بالسلطة في الحجاز، مما دعا بالضرورة إلى الاصطدام بالسلطة العثمانية المثلة في حكومة الاتحاد والترقي. وقد استغلت بريطانيا سوء العلاقات بين الزعماء العرب والشريف حسين من جهة وبين تركيا من جهة أخرى، فعملت على استرضاء الحسين واغرائه بوعود كاذبة حتى ينحاز إلى صفوف الحلفاء ويقود ثورة عربية ضد الدولة العثمانية، وذلك مقابل الوعد بضمان استقلال البلاد العربية تحت زعامته بل ولوحت له بإنشاء خلافة عربية. وفي يوليو ١٩١٥ - رمضان ١٣٣٣ هـ بدأت المفاوضات الرسمية بين الشريف حسين المتحدث باسم العرب، وبين بريطانيا عن طريق معتمدها في مصر سير هنري مكماهون. أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى.

إن الدراسة الدقيقة لمراحل الصراع بين الإمام عبد العزيز والشريف حسين، تظهر في ثلاث صور ذات أبعاد متباينة:

١- المرحلة الأولى تغلب فيها البعد السياسي دون الدخول في تحرش وصدام فعلي.

٢- المرحلة الثانية تغلب فيها البعد المكاني على البعد السياسي الذي ساد المرحلة الأولى.

٣- المرحلة الثالثة والأخيرة التي سيطر فيها البعد العسكري واستخدمت القوة لتضع نهاية للصراع.

أ - البعد السياسي:

ونعني بهذا البعد دور السياسة التي انتهجها كل من الإمام عبد العزيز والشريف حسين في تشكيل المرحلة الأولى من مراحل النزاع. وقد بدأت هذه المرحلة بعقد المعاهدة الانجليزية السعودية الأولى في القطيف، والتي اطمأن بها الإمام عبد العزيز إلى مساعدة الانجليز ومساندتهم له في صراعه المرتقب مع آل الرشيد، ذلك الصراع الذي كانت تؤيده بريطانيا وتشجع عليه، خاصة وأن آل الرشيد كانوا تابعين للسياسة العثمانية في أرض الجزيرة. وعدا صراعه مع آل الرشيد، فإن الإمام عبد العزيز كان يرى أنه من الخير له انتهاج سياسة الود تجاه جيرانه ومن أهمهم الشريف حسين بمكة، حتى يأمن جانبهم وحتى لا ينضم أحد منهم إلى عدوه وبالتالي يتمكن الإمام عبد العزيز من القضاء على آل الرشيد وتوطيد نفوذه في المنطقة(٤).

---

(٤) بنوا ميشان: عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة (ترجمة عبد الفتاح ياسين، ص ١٤٩).

وانطلاقاً من هذه السياسة نحو الأمراء العرب- باستثناء ابن رشيد- فإن عبد العزيز بمجرد أن عقد الاتفاقية بينه وبين الانجليز، أرسل رسولاً إلى الشريف حسين يخبره بما جرى بينه وبين الانجليز. وكان الحسين لا يزال في الطور الأول للمفاوضات مع الانجليز، فخشي عندما علم بعقد المعاهدة مع الإمام عبد العزيز أن يتقدمه هذا الأخير في الزعامة والنفوذ لدى الحلفاء، ومن ثم سارع في الانتهاء من المفاوضات والقيام بالثورة[٥].

وبالرغم من صراحة الإمام عبد العزيز مع الشريف، فإن الأخير فضل التكتم وعدم الافصاح عما يجري بينه وبين الانجليز. غير أن الأتراك قد أحسوا بطريقة ما باتصال الشريف بالانجليز فعرضوا على عبد العزيز إمارة مكة، ولكنه رفض هذا العرض، لأن الأتراك لم يكونوا من القوة بحيث يستطيعون وضع هذا الوعد موضع التنفيذ. هذا في الوقت الذي أدرك فيه الإمام عبد العزيز أن موافقته على هذا العرض ستجر عليه عداء الانجليز ويعتبر نقضاً لمعاهدة القطيف الموقعة بينه وبينهم ولذلك لا نعجب أن يكون رد الإمام عبد العزيز على الوالي التركي بجدة بأنه والشريف الحسين يد واحدة[٦].

وبمجرد أن أعلن الشريف حسين قيام الثورة العربية ضد الأتراك في الحجاز، دعمها الانجليز بالمال والعتاد عن طريق ميناء بور سودان. وطالب الانجليز الإمام عبد العزيز بضرورة التعاون مع الشريف في ثورته[٧]. وكرر هذا الطلب نفسه الشريف حسين. وأبدى ابن سعود ترحيباً بهذا التعاون

---

(٥) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ص ٢٣٤ وما بعدها.

(٦) F. O. 371/ 2769.

SSI to Viceroy, Sept., 1916.

(٧) Troeller, G.: op. Cit., P. P. 96-99.

بعد أن رأى بوادر انتصارات الثورة على الترك، وهو الذي فضل في البداية أن يقف موقف الحياد في الحرب، لكن ابن سعود اشترط عدم تعدي الشريف حسين على حدوده، أو التدخل في أمور شعبه(٨).

ولكن المخاوف بدأت تتوارد في نفس ابن سعود من احتمال تعدي الشريف عليه بنجاح ثورته وازدياد قوته ولم تلبث تلك الشكوك أن أصبحت حقيقة واقعة بانتحال الشريف حسين لنفسه لقب ملك العرب(٩)، بكل ما يتضمنه هذا اللقب من معاني السيادة الشاملة، فجدد بذلك المخاوف القديمة وبعثها من الرقاد(١٠).

ولقد كان هذا العمل من جانب الشريف مفاجأة لكل من بريطانيا وفرنسا والعرب. وخشيت الدوائر البريطانية ما قد يترتب على هذا القرار

---

(٨) Ibid, p. 96.

(٩) وفي ديسمبر ١٩١٦ م- محرم ١٣٣٥ هـ والحرب ما زالت قائمة، اجتمع أهل مكة ورجال الدين وبايعوا الشريف حسين ملكاً على العرب. ويبدو أن هذه الخطوة كانت بإيعاز الحسين نفسه.

(١٠) لم يكن العداء بين السعوديين والأشراف حديث العهد، بل يمكن أن يقال إنه نشأ مع بزوغ الدعوة السلفية النجدية وتكوين الدولة السعودية الأولى. ولم ينس آل سعود أن حكام مكة من الأشراف ساعدوا محمد علي في حملاته ضد نجد، كذلك لم يكن الأشراف يخفون أطماعهم في اقتطاع بعض الأطراف من نجد المتاخمة للحجاز وزاد ذلك في العداء بينهما. وما كاد الحسين بن علي يدخل مكة سنة ١٩١٨ م (١٣٢٦ هـ) أميراً وشريفاً عليها حتى أرسل بصره إلى نجد. وكان الحسين خائفاً من انتصارات عبد العزيز المتتالية على أعدائه، مما جعل الحسين يمد يد المعونة لابن الرشيد، وكان أول صدام على الحدود في سنة ١٩١١ (١١٣٢ هـ) عندما جهز الحسين أول حملة إلى تربة وقادها بنفسه، واصطحب معه ابنيه عبد الله وفيصل، وسار إلى تربة لتأديبها حتى يقضي على نفوذ عاهل نجد على الحدود. وانتصر الحسين على الخرمة حيث قبيلة قحطان وأسر الأمير سعد- أخ الإمام عبد العزيز الذي أرسله على رأس نجدة لمساعدة قحطان- قائد الجيش السعودي. ونتيجة لانتصار خرمة خضعت قبائل عتيبة والبقوم ومطير لسيطرة الحسين. وقد توسط البعض في الصلح على أساس الافراج عن الأمير سعد وإبقاء الحال على ما هو عليه. انظر أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٠١- ٢٠٣.

من مشاكل عديدة يمكن أن تؤدي إلى انقسام العرب أنفسهم وإلى فشل الثورة، ولكنها خافت في الوقت نفسه من رد فعل الشريف حسين، لذلك اكتفت حلاً للإشكال بالموافقة على الاعتراف به ملكاً على الحجاز فقط. وأبلغ بذلك رسمياً من قبل الحكومة البريطانية والفرنسية في ٣ يناير ١٩١٧ (١ صفر ١٣٣٥ هـ)(١١).

وابتداء من هذا التاريخ، أصبح الشريف حسين عبئاً على بريطانيا، بسبب تنديده بها لعدم وفائها له بوعودها. وفي ذات الوقت أخذ الشريف حسين يشك في كل نوايا وأهداف بريطانيا الحقيقية نحوه.

ولقد رأى عبد العزيز أن لا حق للحسين في التحدث باسم العرب جميعاً دون أن يحصل على البيعة. وكان هذا بداية للشقاق السياسي بين القوتين السعودية في نجد والهاشمية في الحجاز.

وقد بدأت نية الشريف تتضح في السيطرة على أمراء شبه الجزيرة، ومنهم عبد العزيز. وظهرت هذه النية في ١٩١٦ م (١٣٣٤ هـ) حيث بعث الحسين إلى عبد العزيز بصرة بها خمسة آلاف جنيه وهو المبلغ الذي كانت بريطانيا قد قررته لمعونة ابن سعود. وأعقبها في العام الذي يليه بثلاث تحوي الواحدة منها خمسة آلاف جنيه أيضاً. ولم يرسل الحسين معها أي رسالة سوى كلمة واحدة مع حاملها: «إنها من جلالة الملك». وقد جعل ذلك ابن سعود يحس بالحيرة ويشعر أنه في مركز التابع للحسين، وهو مركز لا يرضى عنه عبد العزيز بن سعود(١٢).

---

(١١) مديحة درويش: العلاقات السعودية المصرية (١٩٢٤- ١٩٣٦)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٣٨؛ Antonious, G.: op. cit, pp. 213-214.

(١٢) جلال الدين يحيى: العالم العربي الحديث، ص ٣٤ وما بعدها، أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٥، سعود ابن هزلول: ملوك آل سعود، ص ١٠٩ - ١١٠.

وبناء على ذلك، واستيضاحاً للموقف، أخذ الإمام عبد العزيز يتحرك في اتجاهين: الاتجاه الأول داخلي، حيث عمد إلى جمع مجلس من كبار قومه ضم والده الإمام عبد الرحمن ورئيس قضاته الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، وأوضح لهم الأمر. وانتهى الاجتماع إلى قرار بأن يكتب ابن سعود خطاباً إلى الشريف جاء فيه:

« قد يكون قد حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي، فلا بد إذن من التفاهم والتأمينات، وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتتضاعف من أهل نجد المساعدة »[١٣]. كما سأله عن سر إرسال « صرات » الذهب الأربع. ولكن الحسين تعجب من خطاب الإمام عبد العزيز إليه وعده تطاولاً وحماقة منه، وكان أن أعلن غضبه عليه وسخطه وهدده وأخذ يسخر منه، ورد على الإمام عبد العزيز في خطاب شديد اللهجة، ويذكر الملك عبد العزيز نفسه أن الحسين قال له:

« إما أنك سكران يا بن سعود، وإما أنك مجنون، أفلا تعلم لأي أمر

---

(١٣) كان الإمام عبد العزيز يشعر أن الصدام حتى بينه وبين الحسين، خاصة بعد معركة « الخرمة » السابق الحديث عنها، ولذلك انتهز فرصة الحرب العالمية الأولى وآخذ يرسل دعاته للقبائل ليضمن له الأنصار في صراع المستقبل. كما أرسل وفداً إلى الحسين يرجوه تحديد الحدود بين ممتلكاتها ويطلب إليه الاعتراف بنجد وحقوقها ومصالحها، إلا أن الحسين أجابه بأن ما هو عليه فهو له، وأدرك الإمام عبد العزيز أن ذلك لم يكن إلا اعترافاً غامضاً لا يكاد يتبين منه شيء. ورغم إعلان ابن سعود أنه يفضل الحياد، إلا أنه أعلن في ذات الوقت أنه لن يقف أمام قيام الثورة، بل لقد أمر أهل نجد خصوصاً قصيم وعتيبة وحرب أن يساعدوا الشريف، وأمرهم كذلك ألا يتعدى أحد منهم على من أراد أن ينضم إلى جيش الحجاز. وقد أدى ذلك إلى تحسن الموقف مؤقتاً بين الحسين الإمام عبد العزيز وعادت طرق التجارة بينهما، وسمح الحسين للنجديين بالحج. إلا أنه حدث فور إعلان الحسين نفسه ملكاً على العرب وعند بداية معاملته للإمام عبد العزيز كتابع له (من خلال إرساله الذهب) أن توتر الجو بينهما من جديد.
انظر أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٢٠٣، ابراهيم عبدة: إنسان الجزيرة، ص ١٠٤ - ١٠٦.

قمنا وأي غرض نبغي... »[١٤].

أما الاتجاه الثاني الذي تحرك فيه الإمام عبد العزيز فكان خارجياً، فبعد أن أحس بالخطر المحدق به من جراء غرور الحسين وأطماعه، كتب إلى المعتمد البريطاني في البصرة السير برسي كوكس طالباً منه الاجتماع به في القريب العاجل لأمر خطير، وفعلاً اجتمع الاثنان في العقير. وبعد أن أطلع ابن سعود كوكس على رسالة الحسين إليه، طمأنه كوكس قائلاً:

« لا تكترث به، نحن ضامنون استقلالك، ونتعهد بألا يعتدي عليك الشريف أو غيره، وأنت تعلم أن أي حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة لأعدائنا وأعدائك »[١٥].

ولكن عبد العزيز لم يوافق على ذلك الموقف وعلى عدم التحرك إلا بشرطين، هما:

أولاً: أن تضمن بريطانيا وتتعهد بعدم تدخل الحسين في شئون نجد.

ثانياً: ألا يتكلم الحسين باسم العرب كلهم، لأنه ليس المسئول عنهم جميعاً[١٦].

ووافق برسي كوكس على ذلك، وأخبره أن بريطانيا قد أعلمت الشريف حسين باعترافها به ملكاً على الحجاز فقط، وبأنه ليست له أية

---

(١٤) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٢٣٥ - ٢٣٦، ابراهيم عبدة: المرجع السابق، ص ١٠٦.
F. O. 371-2781.
Hussin to Ibn Saud, Sept. 5, 1916.

(١٥) أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(١٦) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٢٣٦،
Troeller, G. op. Cit, P. 99

سلطة على غيره من زعماء العرب في المنطقة[١٧]. كما أفاد كوكس الإمام عبد العزيز بأن بريطانيا أخبرت الشريف حسين بأنها متحالفة مع عبد العزيز، وبالتالي لن تسمح بأي مساس بحدوده أو ممتلكاته.

ومع ذلك، فقد كان ابن سعود متشككاً في السياسة البريطانية المزدوجة نحوه ونحو الحسين، وأدرك بالتالي أنه قد يقف وحده في الصراع المقبل، والذي كان يؤمن بحتميته، خاصة وأنه لم ينس ما فعله الشريف حسين من قبل في واحتي تربة والخرمة[١٨]. ولذلك بدأ التفكير في الاعتماد على نفسه فقط.

ويمكننا أن نحدد الفترة الزمنية للمرحلة الأولى بثلاث سنوات، بدأت بالحرب العالمية الأولى وانتهت ببداية المناوشات على الحدود. وقد انتهج الحاكم السعودي في هذه المرحلة سياسة الوفاق والصراحة والوضوح، سواء مع الانجليز أو مع الشريف حسين، ولكن في نفس الوقت لا يجب أن ننكر أن الإمام عبد العزيز كان في داخله يحس بمرارة ويدرك خطورة الموقف نتيجة أطماع الحسين، ولم يلبث أن خرج عبد العزيز عن موقفه السلبي لمواجهة قدره في الصراع المفروض عليه.

ويجب أن نذكر في نفس الوقت أن الشريف الحسين كانت تداعبه

---

(١٧) اعترفت كل من فرنسا وإيطاليا بالحسين ملكاً على الحجاز فقط أسوة بما فعلته بريطانيا.
Troeller, G. op. cit., P. 99.

(١٨) تقع هاتان الواحتان على الحدود الحجازية النجدية بالقرب من جبل حضن شرقي الطائف، وبينما تقع الخرمة في الشمال، فإن تربة تقع في الجنوب. والأولى على الطريق الذاهبة من الطائف إلى الرياض، والثانية على الطريق الذاهبة من نجد إلى اليمن، وتسكنها قبائل سبيع وعتيبة والبقوم وبعض الأشراف. انظر محمد عبد الله ماضي: النهضات الحديثة في جزيرة العرب، ص ١٤٥.

الآمال العراض في السيطرة على كل شبه الجزيرة، وربما على العرب جميعاً. وكان يشعر أن خصمه اللدود الذي يقف حجر عثرة أمام تحقيق هذا الأمل هو حاكم نجد، بل لا نبالغ إذا قلنا إن شعور الحسين بأن علاقات حاكم نجد مع بريطانيا قد استقرت، قد جعله يحاول إرضاء بريطانيا حتى يصبح الأثير لديها. كما أن الانجليز رأوا في الصراع المستتر بين الاثنين- الشريف حسين والإمام عبد العزيز- فرصة لتضمن ولاءهما معاً لتحقيق أكبر مكاسب لها من كلا الطرفين.

وهكذا لا نستغرب حرص الانجليز على تغذية أسباب الصراع بينهما لصالح السياسة الانجليزية التي تركزت في تلك المرحلة في القضاء على النفوذ العثماني في شبه الجزيرة. وشعر كل من العاهلين أنه يتمتع بتأييد بريطانيا في مواجهة الآخر لتثبيت ملكه. إلاّ أن الإمام عبد العزيز كان يدرك جيداً أن احتمالات الغد قد تحمل له مفاجأة، ومن ثم كان يعد العدة للعمل منفرداً، وفي ذات الوقت وجد الحسين أن الاسراع بالقضاء على قوة الإمام عبد العزيز كفيل بأن يضع الانجليز أمام الأمر الواقع.

ومن ثم، لم يرض الشريف حسين عن إصرار الإمام عبد العزيز على إعلان استقلاله في نجد وملحقاتها، فبدأ التحرش به بالمناوشات. وهكذا انتقل الصراع من مرحلة البعد السياسي إلى مرحلة البعد المكاني.

ب- البعد المكاني:

ونعني بهذه التسمية أن الصراع الهاشمي السعودي قد اتجه إلى المواجهة والصدام بسبب مسألة تحديد الحدود بين نجد والحجاز.

وبدأت تلك المرحلة بتفجر الموقف بين الإمام عبد العزيز والحسين بسبب قريتي تربة والخرمة. وكان ذلك في ربيع عام ١٩١٨ (١٣٢٦ هـ)

بسبب انضمام بلدة الخرمة إلى « الاخوان »[١٩]، فوضعت نفسها بذلك تلقائياً في حماية الإمام عبد العزيز[٢٠].

وقد قامت قوات الحسين بثلاث غارات متوالية على الخرمة، الأولى كان قوامها ٥٠٠ جندي تحت قيادة أحد أتباعه وزوده برشاشين ومدفعين جبليين، ولكن خالد بن لؤي أمير الخرمة انتصر عليها. أما الغارة الثانية فقد كان قوامها ألف رجل مزودين بأربعة رشاشات ومدفعين جبليين، فانتصر عليها خالد أيضاً.

وقد ترامت أنباء النصر في المرتين السابقتين إلى القبائل المجاورة المحيطة بتربة والخرمة، فانضمت إلى خالد وقويت شوكته. وشعر خالد بقوته، ولكنه لم يستهن بالخطر المحدق به، فأرسل إلى عبد العزيز بطلب مساعدته مقابل أن يضع نفسه تحت حمايته.

وسير الحسين حملة ثالثة قوية بلغ تعداد رجالها ٢٥٠٠ رجل، ولكن خالد بدد شملها وانتصر عليها[٢١]. وعندما انتهت الغارة الثالثة بنصر خالد، قطع له عبد العزيز عهداً أن يخف إلى مساعدتهم إذا ما وقع عليه

---

(١٩) الإخوان هم أشد أتباع ابن سعود تعصباً للدعوة السلفية من أهل نجد، وقد اصطفاهم ليكونوا بمثابة الجند الخاص له وكان يعتمد عليهم بصفة أساسية في فتوحاته.

(٢٠) كانت الإمارة في الخرمة وتوابعها من القرى لآل لؤي من الأشراف العبادلة- قبيلة الحسين- وكان الأمير عليها في عهد الحسين هو خالد بن لؤي وذلك في سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ). وكان ممن يثق به ويعتمد عليه وكانت الصلة بين الملك وعامله قوية لا تنفصم عراها، ولكن حدث أن أهين خالد خلال تواجده مع عبد الله بن الحسين في حصار الطائف، وأحس خالد أن عبد الله لم يأخذ له كامل حقه من هذه الإهانة، ومن ثم أحس بالضغينة وبدأ يتحول إلى الجانب الآخر- أي جانب ابن سعود. انظر أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٠٨ - ٢٠٩، سعود بن هنزلول: المرجع السابق، ص ١١٣ وما بعدها.

(٢١) أحمد عسة: المرجع السابق، ص ٧٤، أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٠٩.

اعتداء جديد. وكتب إلى الشريف حسين وابنه عبد الله محذراً المرة تلو المرة وتلقى سلسلة من التأكيدات الخطية بأن الشريف وأولاده لا يكنون له إلا الخير والرغبة الأكيدة في العيش متجاورين بسلام(٢٢).

وفي ذلك الوقت لعبت العوامل الاقتصادية دوراً هاماً في وقوف الإمام عبد العزيز مع إمارة الخرمة إلى جانب العوامل الروحية والاستراتيجية. فمن حيث العوامل الاقتصادية، كانت الخرمة وتربة سوقاً هاماً لبيع منتجات إقليم نجد ومواشيها في الحجاز. ومن ناحية العوامل الروحية، فقد كان أهلها من أشد المؤيدين للدعوة السلفية. أما من ناحية الموقع الاستراتيجي، فهي تمثل خط دفاع أول على الحدود بين نجد والحجاز وتركها للحسين معناه تعريض ممتلكات ابن سعود للخطر.

وإذا كانت نفس العوامل هامة بالنسبة للإمام عبد العزيز فهي أيضاً هامة بالنسبة للشريف حسين، الذي كان يشعر بقيمة الموقع التجاري للخرمة، كما أن الشريف حسين لم يستطع اغضاء الطرف عن انتقال هذا الموقع الهام إلى منطقة نفوذ الإمام ابن سعود.

وفي ظل هذه الأوضاع، وبعد الهزائم المتتالية المتلاحقة التي منيت بها قوات الشريف حسين، كان لا بد أن يتحرك على نطاق واسع، فأرسل إلى الخرمة حملة ضخمة قوامها سبعة آلاف مقاتل (نصفهم من البدو) وزودهم بكل التجهيزات. وعقد قيادة هذه الحملة لابنه عبد الله. ودخلت الحملة تربة من غير قتال يذكر، وأعلن عبد الله أن تربة ضمت للحجاز، وأن الملك فيها لأبيه الشريف حسين. ووزع قواته جوار المدينة وحولها، وبدأ ينذر العشائر المجاورة بالويل، إن لم ترفع راية والده وتدين له بالولاء، معلناً أنه

---

(٢٢) أمين الريحاني المرجع السابق، ص ٢٤٤ وما بعدها.

سوف يواصل زحفه نحو الخرمة قريباً لاحتلالها[٢٣].

وفي ذلك الوقت كان المكتب العربي Arab Bureau في القاهرة له رأي في الصراع الدائر على الحدود بين نجد والحجاز. فقد كان هذا المكتب يؤيد وجهة نظر الحسين، خاصة وأن الحرب لم تنته بعد والحاجة ما زالت ماسة إليه، في حين كانت السلطات البريطانية في البصرة تؤيد أحقية ابن سعود في الخرمة وتربة[٢٤].

وقد أظهر النجديون نوعاً من الاحتجاج لما لاقاه إخوانهم في الخرمة إلا أن الإمام عبد العزيز لم يستطع الرد على الشريف عسكرياً لتواجد الجنرال فيلبي[٢٥] في الرياض، وكان هذا يذكره دائماً باتفاقية القطيف سنة ١٩١٥، ويردد على مسامع الإمام عبد العزيز: «لا تنسَ أن الحسين حليف بريطانيا، وأن في مهاجمته خرقاً لبنود الاتفاقية». ولذلك اكتفى ابن سعود بإرسال كتاب احتجاج إلى الحسين طالباً منه سحب قواته من المدينة.

---

(٢٣) بنوا ميشان: المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٢٤) يحسن بنا أن نذكر أن الحكومة البريطانية كانت تشعر بالقلق بسبب نشوب أزمة الخرمة وتربة بين ابن سعود والحسين، ورأت أن هذه الأزمة يمكن أن تضر بصالحها. ومن ثم دعت خبراءها في البلاد العربية لعقد مؤتمر لدراسة المشكلة. فكان من رأيهم الوقوف إلى جانب الحسين ضد عبد العزيز بحجة أن قوات الحسين العسكرية منظمة ومسلحة تسليحاً حديثاً، في حين أن قوات عبد العزيز ليست منظمة، كما أن أسلحته بدائية. لذلك نصحت الحكومة البريطانية عبد العزيز بالتخلي عن تأييده لحاكم الخرمة خالد بن لؤي. وكان من أثر ذلك الموقف أن تشجع الحسين وأرسل الحملة السابقة الذكر التي احتلت تربة.
انظر أحمد عسة: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢٥) كان فيلبي أحد موظفي وزارة الهند India Office وكان رسول الانجليز لحكومة الإمام عبد العزيز لاقناعه بمحاربة ابن الرشيد، كما أن فيلبي كان رئيس البعثة الانجليزية التي قامت بدور الوساطة للتوفيق بين الإمام عبد العزيز والشريف حسين.
أنظر: خيري حماد: أعمدة الاستعمار البريطاني في الوطن العربي، ص ١١٥،
Troeller, G.: op. cit., chap. III, IV.

ولم يأبه الحسين لخطاب الإمام عبد العزيز ورده إليه دون قراءته، لثقته البالغة في تأييد بريطانيا له. وقال لرسول الإمام عبد العزيز «عد إلى الرياض وقل لعبد العزيز بأن الوقت لن يطول حتى أزحف أنا الحسين إلى نجد لأطرده وأطرد أسرته وأقضي على جميع الوهابيين»(٢٦).

لم تلبث أن تجددت الاضطرابات في خرمة مرة أخرى، بطرد السكان لحامية الحسين ومطالبتهم لابن سعود بأن يسارع إلى نجدتهم، غير أن ابن سعود لم يكن يملك حرية الحركة بسبب قيود الانجليز عليه(٢٧).

ورأى الإمام عبد العزيز أنه لا بد من تأمين ظهره قبل الاستجابة لرغبة الإخوان في التحرك لانقاذ الخرمة ومساعدتها ضد الحسين. ومن ثم وجه «الإخوان» نحو محمد بن الرشيد، العدو التقليدي للأسرة السعودية(٢٨). وقاد «الإخوان» إلى إقليم حائل، فانتصر على ابن الرشيد وضم إقليم حائل إلى مناطق نفوذه. وبذلك أصبح متفرغاً تماماً لصراعه مع الشريف حسين. ولم يلبث أن قام أهل الخرمة عام ١٩١٩ (١٣٣٧ هـ) بالثورة للمرة الثالثة ضد الحسين، تلك الثورة التي وجدها الشريف فرصة لإثارة المزيد من المتاعب للإمام عبد العزيز. لذلك أصدر أوامره إلى ابنه عبد الله بالزحف على خرمة وابادة الثوار. ولم يجد ابن سعود بداً من مواجهة هذا التحرش، وذلك رغم أن الانجليز فرضوا وساطتهم، لدرجة أنهم حاولوا توجيه الدعوة للإمام عبد العزيز لزيارة القاهرة ونصحه

---

(٢٦) بنوا ميشان: المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٢٧) Troeller, G.: op. cit., p. p. 133-137.

(٢٨) كان آل الرشيد من حلفاء الأتراك، إلا أن محمد بن الرشيد بعدما تأكد من هزيمة الأتراك تحول إلى معسكر الحلفاء وتحالف معهم على الأقل بسحب تأييده لتركيا، ولكن ذلك لم ينقذه من قدرة المحتوم في ضياع إمارته على يد الإمام عبد العزيز.
انظر بنوا ميشان: المرجع السابق، ص ١٤٩.

بالتخلي عن أطماعه في الخرمة. وهددوه بقطع المعونة والمساعدة المالية عنه إن لم يرضخ لنصحهم، وانهم سيدعمون الحسين بكل ما يملكون من قوة[٢٩].

غير أن الإمام عبد العزيز لم يأبه لتحذيرات الانجليز، ولا بالمحاولات التي قام بها فيلبي لإثنائه عن عزمه، بل شعر بأنه قد حان الوقت لاظهار قوته للسياسة البريطانية ووضعها أمام الأمر الواقع، وإقناعها بأن له من المقومات ما يسمح له بالسيطرة ليس فقط على مملكة نجد، بل على أبعد من ذلك بكثير، مما لا يتوافر للهاشميين. وفي ظل هذه الظروف حدثت المواجهة بين الطرفين.

وقد عسكرت قوات عبد الله بن الحسين في واحة مجاورة لتربة، وكان عبد الله مطمئناً تماماً لفاعلية وقدرات قواته النظامية إلى جانب شعوره بالتأييد البريطاني له، في نفس الوقت الذي كان يستهين فيه بالقوات السعودية. ومن ثم لم يجد ضرورة لإقامة الحراسة حول معسكره، في الوقت الذي كان فيه الجيش السعودي يقترب من تربة.

وفي منتصف ليلة ٢٥ مايو سنة ١٩١٩ م (٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ) زحفت قوة سعودية قوامها «الإخوان» مع قوات خالد بن لؤي حاكم خرمة الذي أخذ على عاتقه زمام المبادرة. وكانت قوات خالد تضم قوة من قبائل عتيبة وسبيع. ووصلت القوات السعودية وقوات خالد إلى معسكر عبد الله بينما كان جنوده نياماً. ونجحت القوات السعودية وقوات خالد في أن تسيطر على المعسكر المعادي سيطرة كاملة، وأوقعت الفوضى بين ضباط عبد الله وجنوده، مما جعل زمام الموقف العسكري يفلت تماماً من قيادته، وأجبر عبد الله على الفرار مع عشرات من ضباطه للنجاة من الموت، وسقط على أرض

---

(٢٩) انظر شرحاً وافياً لحقيقة الصراع بين السعوديين والشريف الحسين حول الخرمة وموقف بريطانيا منه في كتاب. Troeller, G.: op. cit., p.p. 130-150.

المعركة خمسة آلاف قتيل معظمهم من جنود وضباط عبد الله، واستولت القوات السعودية على غنائم حربية، وبذلك كسر الإمام عبد العزيز قوة الجيش الرئيسي، وأصبح الطريق أمامه إلى الطائف مفتوحاً، إلا أن ابن سعود رأى أن الظروف غير مواتية بعد[٣٠].

وكانت النتيجة الرئيسية لهذه المعركة أن أصبحت قوات الإمام عبد العزيز القوة الأساسية في شبه الجزيرة، مما ترتب عليه ارتفاع سمعة الإمام عبد العزيز بين القبائل، بينما شعر الحسين بالتخاذل بعد هزيمة قواته. وهناك نتيجة أخرى، هي أن الانجليز بدأوا يدركون حقيقة قوة الإمام عبد العزيز، ومن ثم بدأت تتغير نظرتهم للسعوديين تدريجياً، كما أنهم أدركوا أن التأييد المطلق للحسين يجب أن يقف عند حد. أما النتيجة الأخيرة، فتعني أن الطريق أصبح مفتوحاً أمام القوات السعودية نحو مكة والمدينة[٣١].

وعقب ذلك الانتصار الساحق على قوات الشريف حسين، دخل الإمام عبد العزيز مع جيشه تربة، حيث كان على مقربة من المدينة بجيشه انتظاراً لمفاجئات المعركة للتدخل، فلما جاءته بشائر الانتصار سارع بدخول تربة. وفي غمرة الفرحة بهذا الانتصار الرائع على يد قلة من « الإخوان »، تلقى الإمام عبد العزيز انذاراً من بريطانيا بتاريخ ٤ يونيو ١٩١٩ (٥ رمضان ١٣٣٧ هـ) تمهله فيه وقتاً قصيراً لجمع جيشه والعودة إلى نجد، وحذرته من التوغل في الأراضي الحجازية، متذرعة بوفائها بتعهداتها الدولية[٣٢]، على

(٣٠) أحمد عسة: المرجع السابق، ص ٧٥.

(٣١) جلال يحيى: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣٢) (I. O. R.) L/P& S/ 10/ 2128.
Allenby to F. O., June 9, 1919.

أن تترك تربة والخرمة أرضاً خلاء حتى تتم تسوية مشكلات ما بعد الحرب[٣٣].

ولم يسع الإمام عبد العزيز إلاّ الخضوع للانذار البريطاني، بعد أن تفاقمت الأزمة بينه وبين الانجليز، وكادت بريطانيا أن تقطع الاعانة المالية التي ترسلها له، وأن ترسل طائرات للحسين لتعضد قواته العسكرية، بل أكثر من ذلك فكرت بريطانيا في غزو نجد عن طريق الخليج[٣٤]. ولولا تدخل فيلبي لكان ذلك قد حدث. وقد قام فيلبي بإرسال مجموعة من التقارير إلى ويلسون (نائب المندوب السابق بالعراق) شارحاً فيها أن الأشراف هم الذين تحدوا الإمام عبد العزيز، وأن هذا الأخير لم يكن إلا مدافعاً عن نفسه.

وعلى العموم، فقد استمرت المرحلة الثانية طوال عامي ١٩١٨ م و١٩١٩ م (١٣٣٦ و١٣٣٧ هـ) وتغلبت فيها الصفة المكانية الخاصة بتحديد الحدود على ما عداها من الصفات الأخرى. وقد تجلى في هذه المرحلة تذرع الإمام عبد العزيز بالصبر والتنازل عن انتصار كان يقبض عليه بيديه، لإدراكه أن التهور ربما يؤدي إلى مواجهة امبراطورية بأكملها ستقضي بالضرورة على شعبه وملكه، بينما كان سلوك الشريف عدائياً للغاية لثقته البالغة في تأييد الانجليز له.

---

(٣٣) محمد عبدالله ماضي: المرجع السابق، ص ١٤٨، حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢١٠ وما بعدها، أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٢٥٧،

Nutting, A.: The Arabs, p. 311.

(٣٤) أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، جـ ٣، ص ١٤٠،

Troeller, G.: op. cit., p. p. 142-143.

جـ- البعد العسكري:

لم يدم تأييد بريطانيا للحسين طويلاً، إذ أن تطور الأحداث السياسية وتخلي بريطانيا عن بعض الوعود المبذولة للحسين، أوجد نوعاً من سوء التفاهم بينهما، زاده إصرار الحسين على تنفيذ تلك الوعود، مما أشعر بريطانيا بالضجر من كثرة مطالب الهاشميين، فبدأت في اهمال الحسين وعدم تأييدها له.

وفي الوقت الذي كان فيه الحسين منشغلاً بمطالبه مع الانجليز، كان ابن سعود يعد ضربته الكبرى للقضاء على الهاشميين في الحجاز، منتهزاً فرصة تخلي الانجليز عن تأييدهم التقليدي للحسين، الذي كان متأكداً من قواته العسكرية. وهكذا جاءت المرحلة الأخيرة من مراحل النزاع الهاشمي السعودي وهي تحمل في طياتها الطابع العسكري الذي حدد ملامح تلك المرحلة الثالثة.

حقيقة أن المجابهة العسكرية بين القوات السعودية والجيش الهاشمي لم تحدث إلا عام ١٩٢٤ (١٣٤٣ هـ)، ولكن المرحلة نفسها تبدأ بعام ١٩٢١ (١٣٣٩ هـ) بعد أن مر عاما ١٩١٩ و١٩٢٠ (١٣٣٧- ١٣٣٨ هـ) في هدوء نسبي بين ابن سعود والشريف حسين بفضل وساطات انجلترا للتوفيق بين الطرفين.

تبدأ تلك المرحلة باعتداء أتباع الإمام عبد العزيز على الحدود الحجازية في عام ١٩٢١ (١٣٣٩ هـ)، إيماناً منهم بضرورة مجابهة الشريف الحسين. ورداً على ذلك، حرم الشريف النجديين من أداء فريضة الحج في ذلك العام، ثم أذن لهم بالحج في العام التالي تحت ضغط الانجليز بناء على

إلحاح سلطان نجد[٣٥]. ولكنه عاد فحرمهم مرة أخرى بحجة أنهم مشاغبون ويعملون على إثارة القلاقل في الحجاز مع ازدياد نفوذهم فيه، واشترط للاذن لهم بالحج شروطاً قاسية، منها أن يخلي ابن سعود الجوف وتربة وخيبر وكل الجهات التي يعتبرها الحسين تابعة للحجاز. وكان من الطبيعي أن يرفض ابن سعود هذه الشروط، وبالتالي أن يتمسك الشريف بمنع النجديين من الحج. فتحرج الموقف وشرع الانجليز يعدون لمؤتمر الكويت لحل مشاكل الحدود بين نجد والعراق والأردن ولحسم النزاع بين سلطان نجد والشريف حسين[٣٦].

ففي عام ١٩٢١ (١٣٣٩ هـ) أنشئت المملكة العراقية تحت حكم فيصل ابن الشريف حسين، وإمارة شرق الأردن تحت حكم ابنه الآخر عبد الله. وهكذا أصبح السلطان عبد العزيز محاطاً بالشريف حسين وأبنائه من ثلاث جهات، وكثرت المشاكل على الحدود العراقية النجدية[٣٧]. فتدخل الانجليز لوضع حد لهذه المشاكل حتى يكون الأمن والاستقرار سائدين في تلك البلاد الخاضعة لنفوذهم.

لذلك عقد مؤتمر المحمرة[٣٨]. ووضعت معاهدة المحمرة في مايو ١٩٢٢

---

(٣٥) في صيف عام ١٩٢١ عقد مؤتمر في الرياض تقرر فيه أن يتخذ حاكم نجد عبد العزيز لقب سلطان نجد، واعترفت له بريطانيا بذلك.
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٢٧٧،
Troeller, G.: op. Cit., p. p. 176-178; Parl. Debates, London, House of commons, vol. 184, 27 th May 1925, Columm 1360.
(٣٦) محمد عبد الله ماضي: المرجع السابق، ص ١٥٠.
(٣٧) حافظ وهبة: المرجع السابق، ص ٢٥٨ وما بعدها.
(٣٨) تقع المحمرة على شط العرب شمال الخليج العربي، وللمزيد من تفاصيل بنود تلك المعاهدة أرجع إلى:
محمد عبد الله ماضي: المرجع السابق، ص ١٥١، Iraq- Report on Iraq Administration, April 1922, March 1923, London 1923.

(١٣٤٠ هـ) (ثم عدلت ببروتوكول العقير في ديسمبر من نفس العام) وفيها عينت الحدود بين نجد والعراق. غير أن العراق لم يحترم بنود تلك المعاهدة، مما أرجع الخلاف مرة أخرى بين ابن سعود والعراق والحجاز وشرق الأردن، الأمر الذي حتم عقد مؤتمر الكويت[٣٩] في عام ١٩٢٣ (١٣٤١ هـ) لتسوية الخلاف نهائياً بين السلطان عبد العزيز والأشراف. غير أن هذا المؤتمر فشل بسبب عدم حضور وفد الحجاز، وإصرار وفد الاردن على أن يتخلى ابن سعود عن الجوف ووادي السرحان إلى شرق الأردن، وأن يتنازل عن شماء وخيبر وتربة والخرمة إلى الحجاز، ويعيد حائل إلى آل الرشيد. وهي مطالب لم يكن من المعقول أن يقبلها سلطان نجد، مما تسبب في فشل المؤتمر وغضب الانجليز على الشريف حسين.

وبفشل مؤتمر الكويت، تجددت اغارات الإخوان النجديين على حدود العراق، بينما تقدمت بعض فصائل من الجيش الحجازي نحو الخرمة وتربة لمحاولة احتلالها، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل.

وفي تلك الأثناء ساءت صلات الشريف حسين بالعالم الإسلامي بعد أن عامل الحجاج المسلمين معاملة سيئة واشتط معهم في فرض الضرائب مع عدم العناية اللازمة براحتهم وأمنهم. كذلك اختلف معهم في شأن البعثات الطبية وغيرها، فكان ذلك سبباً في عودة المحمل المصري في سنة ١٩٢٣ (١٣٤١ هـ) وذلك نتيجة لرفض الحسين قبول البعثة الطبية المصرية بصفة رسمية مستقلة عن بعثة الحج المصرية[٤٠]. وزاد من سوء العلاقات بين مصر والحجاز تعمد الحسين في حج ١٩٢٤ م (١٣٤٢ هـ) إلى نزع اسم الملك فؤاد

---

(٣٩) لمزيد من التفاصيل عن مؤتمر الكويت ارجع إلى: حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٦١ - ٢٦٥، Al.-jazairi, M. Z., op. cit., p. p. 34-35.

(٤٠) عبد العزيز صبري: تذكار الحجاز، ص ١٠٠ وما بعدها.

من فوق كسوة الكعبة المشرفة مما عدّ إهانة لمصر ومليكها[٤١]. أضف إلى ذلك اشتداد الخلاف بين الحسين وبين الحجاج الهنود ثم بينه وبين الإنجليز من أجلهم.

هذا بينما حرص السلطان عبد العزيز على تحسين العلاقات بينه وبين العالم الإسلامي، بتودده إلى المسلمين وشرح مراحل الخلاف بينه وبين الشريف حسين متظلماً من منع الشريف للنجديين من أداء فريضة الحج[٤٢]. كما سعى عبد العزيز لإنشاء علاقات ودية مع مصر حتى لا تتعرض دولته الجديدة لما تعرضت له الدولة السعودية الأولى عند غزوها للحجاز. لذلك أرسل السلطان عبد العزيز في عام ١٩٢٤ م (١٣٢٣ هـ) برقية تهنئة إلى الملك فؤاد بمناسبة افتتاح أول برلمان مصري[٤٣]. كذلك أوضح فيصل بن عبد العزيز في بيان نشره، عن موقف نجد إزاء الخلافة ومشاركة عبد العزيز الرأي لعلماء مصر في موقفهم من ضرورة حل مسألة الخلافة في مؤتمر يعقد بالقاهرة[٤٤]، كما عمد إلى تأكيد عدم طمع السلطان عبد العزيز في الخلافة، مما أزال الشك من نفس الملك فؤاد الذي كان يتمناها.

ومن داخل الحجاز، كان الحسين قد فقد كثيراً من سمعته وعطف أبناء الحجاز عليه[٤٥]. وكانت السياسة الاقتصادية والإدارية والمالية التي اتبعها

---

(٤١) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء المصري: تقرير أعمال إمارة الحج الشريف ١٣٤٢ – ١٩٢٤ م.
(٤٢) حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ١٣١.
(٤٣) مديحة دوريش: المرجع السابق، ص ٧٦.
(٤٤) المنار: مجلد ٢٥، جـ ٦ ص ٤٥٦.
(٤٥) F. O. 371/51 44 :
Confid. Appreciation of the situation in Hijaz, January 1920.
مديحة درويش: المرجع السابق، ص ٧٦.

في الحجاز قد أضرت بسلطانه ضرراً كبير، وجعلت عدد الحجاج يقل، بحيث أصبح مورد موسم الحج لا يكفي لإعالة سكان مكة الذين كانوا لا يعيشون إلاّ منه. وأدى انقطاع المساعدات الإنجليزية المادية عن الحسين إلى عجزه عن دفع الأموال للقبائل الحجازية القوية[٤٦]، التي كان من الممكن أن تقوم بدور إيجابي في حالة تعرض الحجاز لهجوم نجدي، بالإضافة إلى زيادة غضب النجديين عليه لاتفاق أبنائه على المناداة به خليفة على المسلمين في سنة ١٩٢٤[٤٧].

وهكذا كانت الظروف كلها مواتية لابن سعود للقضاء على الهاشميين في الحجاز، خاصة وأن القوات الحجازية المحاربة لم تكن لتقارن الإخوان النجديين في شدتهم وبأسهم وقوة إيمانهم. فعقد سلطان نجد لهذا الغرض مؤتمراً في الرياض في عيد الأضحى يوليو سنة ١٩٢٤ (١٣٤٢ هـ)، حضرته معظم زعامات الاخوان وزعماء نجد[٤٨].

وأعرب النجديون في هذا المؤتمر عن رغبتهم في الحج هذا العام، حتى لو أدى ذلك إلى استيلائهم على الحجاز بالقوة. غير أن السلطان عبد العزيز فضل التريث وتأجيل الغزو حتى يرجع الحجاج المسلمون إلى بلادهم، وذلك

---

(٤٦) بالنسبة للمساعدات المالية البريطانية سواء لسلطان نجد أو للشريف حسين وما مرت به هذه المساعدة من مراحل، إرجع إلى: Troeller, G. : op. cit., P. P. 159 – 167

(٤٧) عمر أبو النصر: شبه الجزيرة العربية، ص ١٣٢ ، المنار: مجلد ٢٥ ، جـ ٨ ، ص ٦٠٧ وما بعدها، ولمزيد من التفاصيل عن مبايعة الحسين بالخلافة، أنظر بنوا ميشان: المرجع السابق، ص١٦٩ ، المنار: مجلد ٢٥ ، جـ ٤ ، ص ١٦٠ – ٢٦٨ و جـ ٦ ، ص ٤٦٤ – ٤٧٤ .

Antonious, G.: op. cit., p. 448.

(٤٨) أنظر نص الخلاصة التي أرسلها عبد العزيز إلى جميع الصحف العربية والهندية، والتي حوت ما دار في المؤتمر من أحاديث، منشوراً في مجلة المنار، مجلد ٢٥ ، جـ ٦ ، ص ٤٥٧ – ٤٦٠ .

خوفاً من تعرضهم لمخاطر الحرب بينه وبين الشريف حسين، مما قد يؤدي بالضرورة إلى استياء الرأي العام الإسلامي(٤٩).

وفي تلك الأثناء كان العالم الإسلامي كله يغلي نتيجة لإعلان كمال اتاتورك إلغاء منصب الخلافة(٥٠) في تركيا، وكان أن بدأت تشكل في الأقطار الإسلامية لجان للنظر في أمر الخلافة، وكانت أكثر الأصوات ارتفاعاً في هذا المجال لجنة الخلافة بالهند، التي أعلنت عندما وصلتها أنباء مؤتمر الرياض تأييدها المطلق لسلطان نجد وأرسلت إليه تشجعه على ما انتواه في حربه للشريف وإخراجه من الحجاز(٥١). وكانت الهند متأثرة بموقف الحسين من الحجاج الهنود والمعاملة السيئة التي كانوا يلقونها في الحجاز.

وكان السلطان عبد العزيز قد استعد وقتئذ لهدفه الرئيسي، ولكي يشغل أعداءه المحيطين به ويبعدهم عن هدفه الرئيسي، فإنه وجه في مطلع عام ١٣٤٣ هـ (أغسطس ١٩٢٤) جزءاً صغيراً من قواته ليهاجم حدود شرق الأردن والعراق. غير أن هذه الهجمات باءت بالفشل، وتدخلت القوات البريطانية بالطيران، فردت السعوديين وأبعدتهم عن الحدود، بعد أن تحملوا خسائر فادحة. أما الجيش السعودي الأساسي، فقد تحرك من تربة إلى الطائف واستولى عليها بسهولة في ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ (٦ صفر ١٣٤٣)(٥٢). وصحب ذلك الغزو كثير من حوادث السلب والنهب والقتل

---

(٤٩) المرجع السابق، جـ ٨، ص ٦١٥ وما بعدها.

(٥٠) سيأتي بالتفصيل في الفصل القادم شرح لوضع الخلافة وكيفية الغائها والآثار التي ترتبت على ذلك في العالم الإسلامي.

(٥١) المنار: مجلد ٢٥، جـ ٦، ص ٤٥٧ – ٤٦٠، صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٨٩ – ٢٩١،

(٥٢) Toynbee, A. : Survey of International Affairs, 1925, P. 297.
Ibid. P. P. 297 – 300;

التي أثارت الرعب في قلوب أهل مكة[٥٣]. وقد استغل الشريف حسين مذبحة الطائف وأخذ يهول من أمرها حتى يكسب عطف العالم الإسلامي، بينما أخذ السلطان عبد العزيز في التودد إلى المسلمين بإعلانه أنه يرغب فقط في تطهير بلد الله الحرام من ظلم حاكميه، وأن مكة ستكون بعد ذلك للمسلمين كافة، وأنه سيترك مصير الحجاز للمسلمين في مؤتمر إسلامي عام يدعون إليه[٥٤].

واشتبكت بعد ذلك القوات السعودية مع الحجازية في معركة الهدى بالقرب من الطائف، وانتصرت فيها قوات ابن سعود في ٢٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤، وانسحبت القوات الحجازية إلى بازان في أعالي مكة. وبانسحابها أصبح الطريق مفتوحاً إلى أم القرى. وهنا توقف الجيش النجدي عن مهاجمة مكة، امتثالاً لأوامر الإمام عبد العزيز ابن سعود[٥٥].

واضطربت الحالة في الحجاز بعد ظهور عجز جيشها، ورأى الملك حسين وكبار الأشراف في مكة ضرورة الانسحاب إلى جدة والتحصن بها. إلاّ أن هذا الإجراء لم يحسن من الحالة السيئة التي وصلت إليها الحجاز، كما أنه لم يبعد الخطر السعودي عنها. ولذا رأى أعيان أهل الحجاز ضرورة تنازل

---

(٥٣) عندما علم سلطان نجد بما حدث في الطائف تأثر كثيراً، فهو لم يكن من محبي سفك الدماء ولذلك سارع بالكتابة إلى قائدي الجيش المهاجم، خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد، يؤنبهما ويهددهما بأشد العقاب إذا حدث أي اعتداء على الأبرياء بعد ذلك، كما حظر عليهما دخول مكة حتى يأتي إليهما. أنظر: أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٣٣٢- ٣٣٣، عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل، جـ ١، ص ٤٥- ٤٦.

(٥٤) أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٨٣ وما بعدها.

Toynbee, A. : Survey, 1925, P. 298. Troeller. G. O. P. Cit. , p. 218.

(٥٥) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٣٣١- ٣٣٥، فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص. ٣٩.

الملك حسين عن العرش لابنه الأمير علي، ظناً منهم أن هذا سيضع نهاية للحرب، بجلاء الجيش النجدي وعودته إلى بلاده. وبالفعل بويع الأمير علي ملكاً على الحجاز في ٤ أكتوبر سنة ١٩٢٤ (٥ ربيع أول ١٣٤٣ هـ)(٥٦). واضطر الملك حسين الذي أجبر على التنازل عن العرش إلى مغادرة جدة إلى العقبة في ٢٤ أكتوبر من نفس السنة(٥٧).

ومن الجدير بالذكر أن الأمير علي قد سمى نفسه ملكاً للحجاز فقط لا ملكاً للعرب كما كان والده يلح على أن يسمي نفسه، وتمت مبايعته ملكاً دستورياً على أن تعاونه هيئة مؤقتة لمراقبة أعمال الحكومة(٥٨).

---

(٥٦) أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٩٣ وما بعدها.
لم يتنازل الحسين عن العرش بسهولة لابنه علي، بل إنه اقترح على أهل الحجاز أن ينصبوا بدلاً عنه من يشاؤون، وضرب مثلاً على ذلك بأخيه ناصر وحتى بالخديوي عباس حلمي الثاني خديوي مصر السابق، وعلل رفضه لابنه بقوله «أنا وهو شيء واحد... خيره وشره عائدان لي»، ولكن هيئة ممثلي الحجاز قالت له بأن الحالة حرجة للغاية، وأن ذلك ليس وقت المفاوضات. أنظر أحمد عسة: المرجع السابق، ص ٩٢. Troeller, G. : o. p. cit, p. 299.

(٥٧) اضطر الشريف حسين إلى مغادرة العقبة بناء على أوامر الحكومة البريطانية، خوفاً من أن يتعرض ذلك الميناء - الذي كانت تعمل بريطانيا على ضمه إلى إمارة شرق الأردن - لهجوم سعودي، ويتضح ذلك من خطاب رئيس الوزراء البريطاني آنئذ إلى الملك حسين. أنظر:
«The Hostilities In The Hejaz»,The Near East and India, XXVIII, 339. Nov, 1925, P. 647.
وقد توجه الحسين إلى قبرص، ولم يزل بها حتى مرض، فسمح له بالذهاب إلى عمان، فبقي عند ابنه الأمير عبد الله حتى توفي في يونيه ١٩٣١.

(٥٨) كان قوام هذه الهيئة أعضاء الحزب الوطني الحجازي، الذي تشكل على أثر دخول النجديين الطائف وتوجههم نحو مكة، من وجهاء الأمة من ذوي الحل والعقد بالحجاز، الذين رأوا في تنحية الحسين عن العرش ومبايعة ابنه علي ملكاً على الحجاز في ظل حكومة دستورية الحل الوحيد لتفادي الصدام مع النجديين وحل الخلاف معهم. أنظر: عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل، ص ٤٩ - ٦٦. أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ص ٢٩٢ وما بعدها.

وقد عمد الملك علي- الذي انتقل إلى جدة وتحصن بها- إلى مواصلة الاستعداد للحرب، بينما كان الجيش النجدي يواصل زحفه إلى مكة. وفي ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤ (١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣) دخل النجديون مكة بدون قتال تحت قيادة خالد بن لوعى[٥٩].

وهكذا استطاع السلطان عبد العزيز الاستيلاء على مكة بدون إراقة دماء، مما ترك أثراً حسناً في نفوس العالم الإسلامي، الذي أمل أن تتحسن الأحوال على يد أصحاب الدعوة السلفية. وفي نفس الوقت أعلنت الدول التي لها ممثلون في جدة عن حيادها تجاه هذا الصراع، على أن تعمل القوى المتحاربة على حماية رعاياهم وتتحمل تبعة ما يقع على هؤلاء الرعايا من أضرار. وقد أدخل هذا الموقف الحيادي الطمأنينة إلى نفس سلطان نجد، الذي سارع بالذهاب إلى مكة، حيث دخلها محرماً في ٥ ديسمبر ١٩٢٤ (٨ جمادي الأولى ١٣٤٣)[٦٠].

وحاول الملك علي الصلح مع السلطان عبد العزيز مرسلاً إليه الوسطاء لحل الخلاف، فوسط أمين الريحاني ومستر فيلبي وغيرهما. كما وسط الملك علي[٦١] مصر وملكيها فؤاد باعتبار مصر أكبر دولة إسلامية وعربية ذات

---

(٥٩) عبد الحميد الخطيب: المرجع السابق ص ٦٩، محمد عبد الله ماضي: المرجع السابق ص ١٦٠.

(٦٠) أحمد السباعي: تاريخ مكة، جـ ٢، ص ٢٥٤. حافظ وهبه: المرجع السابق ص ٦٧٠.

(٦١) أخذ الملك علي يؤكد للملك فؤاد طاعته وولاءه لعرش مصر، ويقدم الكثير من التنازلات والامتيازات لمصر في الحجاز، إلى درجة وضع نفسه تحت الحماية المصرية وأن يكون تابعاً وداعياً لرأي الملك فؤاد في مسألة الخلافة، وكل ذلك في سبيل الحفاظ على عرشه. أنظر، رئاسة الجمهورية- قصر القبة: ملف رقم ١٤٨٠ جـ ١ (خطاب من الملك علي إلى الملك فؤاد). كذلك: مديحة دوريش، المرجع السابق، ص ١٠٧ وما بعدها.

ارتباط وثيق بالحجاز على مر العصور، مما دفع الملك فؤاد إلى إرسال وفد للمصالحة بين الطرفين برئاسة فضيلة الشيخ الأكبر المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا بمصر(٦٢). إلاّ أن سلطان نجد رفض الوساطة مصراً على ضرورة رحيل الحسين وأولاده عن الحجاز، على أن يجتمع مؤتمر إسلامي بمكة للنظر من مسائل الحجاز وغيره(٦٣).

وبعد سقوط مكة في أيدي السعوديين، استولوا على القنفذة في شمال عسير وجنوب جدة، ثم استولوا على رابغ شمال جدة وجعلوها ميناء للتجارة واستقبال الحجاج في عام ١٩٢٥م (١٣٤٣ هـ).

وفي يناير ١٩٢٥ (جمادى الثانية ١٣٤٣) حاصرت الجيوش السعودية جدة، وبعد ذلك بقليل حاصرت المدينة المنورة. وبقي الحصار مضروباً حتى سقطت المدينة في يد الجيش النجدي في ٥ ديسمبر ١٩٢٥ (١٥ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ)(٦٤).

ولم يلبث أن عجز الملك علي عن مواصلة الدفاع عن جدة، فوسط المعتمد البريطاني هناك المستر غوردون، الذي اتفق مع السلطان عبد العزيز على الشروط التي تنازل بمقتضاها الملك علي عن الملك(٦٥). وغادر علي

---

(٦٢) أراد الملك فؤاد إذا ما نجح الوفد في مهمته أن يكسب إعجاب المسلمين كأكبر زعيم إسلامي في المنطقة، وهو أمر له وزن في تحقيق حلمه بالحصول على الخلافة. وفي نفس الوقت يستطيع عن طريق الوفد جس نبض عبد العزيز من مسألة الخلافة التي لوح له بها الملك علي.

(٦٣) حافظ وهبه: جزيرة العرب، ص ٥٧١.

(٦٤) أم القرى: ٢ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ (١٨ ديسمبر ١٩٢٥)، عبد الله ماضي: المرجع السابق، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٦٥) أم القرى: ١١ جمادى الثانية ١٣٤٤ (٢٧ ديسمبر ١٩٢٥).
محمد عبد الله ماضي: المرجع السابق ص ١٦٣.

الحجاز في ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥ (٩ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ). وبهذا انتهى حكم الأشراف في الحجاز.

وهكذا انتهت هذه المرحلة بنهاية سنة ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ). وكان للمجابهة العسكرية الدور الرئيسي في إنهاء المرحلة الأخيرة من النزاع الهاشمي السعودي لصالح سلطان نجد.

موقف بريطانيا من النزاع السعودي الهاشمي

رأينا من قبل، كيف ازدوجت السياسة البريطانية قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها تجاه كل من ابن سعود في نجد والشريف حسين في الحجاز، وهي ازدواجية نبعت من اختلاف اهتمامات كل من حكومة الهند ووزارة الهند India Office من جهة، ووزارة الخارجية البريطانية من جهة أخرى. فقد كان اهتمام حكومة الهند ووزارة الهند البريطانية ينحصر حول بلاد ما بين النهرين والطرق البرية والبحرية الموصلة للهند. لذلك عمل المشرفون على هذا المكتب على التفاهم مع الحكام المسيطرين على ساحل الخليج العربي. فاتصلوا منذ البداية مع الإمام عبد العزيز وداوموا على الاتصال به أثناء الحرب العالمية الأولى لضمان حياده، وعقدوا معه معاهدة القطيف. في حين كان اهتمام المكتب العربي Arab Bureau في القاهرة، المرتبط بوزارة الخارجية بلندن، ينصب قبل كل شيء على السويس وعدن والبحر الأحمر. وكان المسئولون عن هذا المكتب يجدون مصلحة بريطانيا في الاتفاق مع الأمراء المسيطرين على ساحل البحر الأحمر، وهذا هو الذي دفع هذا المكتب إلى مناشدة وزارة الخارجية البريطانية الاتفاق مع الشريف حسين لحمله على الثورة ضد الأتراك.

وانعكست هذه السياسة على تطور أحداث العلاقات بين السعوديين والهاشميين، وبالتالي كان ذلك سبباً في تناقض وازدواج السياسة البريطانية نحو كل من الشريف حسين والسلطان عبد العزيز.

وبتجدد النزاع العسكري على الحدود، انحازت بريطانيا في البداية إلى الشريف حسين تحت تأثير مصالحها، واتضح ذلك عنـدما أمرت بريطانيا الإمام عبد العزيز بالتخلي عن الخرمة للملك الحجاز[١]. مهددة إياه بقطع المساعدة عنه. ولقد ترك الموقف البريطاني هذا أثراً سيئاً في نفس الإمام عبد العزيز الذي صمم على تنفيذ ما اعتزمه، ولكن حينما تسنح له الظروف.

حقيقة أن حكومة الهند كانت تؤيد موقف الإمام عبد العزيز على أساس اعتناق خرمة للدعوة السلفية، وأن معظم أهلها من قبيلة سبيع، وهي من القبائل النجدية[٢]. غير أن المكتب العربي كان يؤمن بأن الحسين أكثر أحقية بالخرمة، فهي لا تبعد عن الطائف إلاّ ٨٠ ميلاً فقط، كما أن حاكم الخرمة خالد بن لؤي كان من الأشراف ومعيناً من قبل الشريف حسين، وكانت مسألة هذا الحاكم تتم أمام الشريف دون أي اعتراض من جانب الإمام عبد العزيز[٣].

وظهر واضحاً في بداية الصراع الهاشمي السعودي أن كفة وجهة نظر وزارة الخارجية البريطانية، قد رجحت كفة وزارة الهند وحكومتها، لدرجة أن بريطانيا وصلت في تهديدها الإمام عبد العزيز، إلى حد حرمانه من الامتيازات التي منحت له بمقتضى معاهدة القطيف، والتي تتضمن بنودها اعتراف بريطانيا، باستقلال الإمام عبد العزيز في نجد وملحقاتها[٤] بل لقد فكر المكتب العربي أيضاً في إرسال طائرات وبوارج لحماية الحجاز،

---

(١) Troeller, G.: op. cit., P. 132

(٢) Ibid, P. 133.

(٣) Ibid.

(٤) (I. O. R.) L/P & S/10/2182, op. cit.

في حالة تفكير ابن سعود في العودة لمهاجمة الحدود الحجازية. وكان رد الإمام عبد العزيز دائماً أنه على استعداد للمسالمة، إذا ما ضمنت له بريطانيا إيقاف اعتداء الحسين على الحدود النجدية، والاتفاق على حل مشكلة الحدود نهائياً(٥).

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى، تمزقت أوصال المشرق العربي، وذلك عقب هزيمة تركيا. وأصبح الوجود البريطاني قائماً في معظم أقطار المشرق العربي. إذ كان للإنجليز حامياتهم العسكرية في القاهرة وبغداد والموصل والقدس والبصرة، ولكن كان حتماً على بريطانيا أن تغير من سياستها التي كانت قائمة على التواجد العسكري فقط، إلى نوع آخر يفيدها اقتصادياً وبصورة أكبر.

وفي العاصمة البريطانية، احتضن لورنس الدفاع عن أحقية الهاشميين في تحقيق الوعود التي كانت قد بذلت لهم لقيامهم بالثورة العربية ضد الأتراك. لذلك نادى لورنس بضرورة تنصيب عبد الله بن الحسين ملكاً على العراق وفيصل على سوريا، فتؤلف هذه الأقطار مع الحجاز اتحاداً عربياً يرأسه الوالد الملك حسين في الحجاز، والذي كان دوماً- من وجهة نظر لورنس- متفهماً أو مرناً مع السلطات الإنجليزية، وبالتالي سيكون في وسع بريطانيا الهيمنة بنفوذها على قراراته.

وفي تلك الأثناء كان فيلبي يسعى بدوره لدى السلطات البريطانية في لندن لإقناعها بمستقبل الإمام عبد العزيز في شبه الجزيرة. وكان فيلبي يذكر دائماً أن الهاشميين، كانوا لا يتحلون بأية ميزة، ولا يتمتعون بحب شعب الجزيرة، ولذلك فإنهم سينهارون بسرعة إذا ما أوقفت بريطانيا

---

(٥) Troeller, G. : op. cit., P.P. 143 – 144.

مساندتها لهم. وقد صدق تنبؤ فيلبي، ذلك أنه ما إن تخلت بريطانيا عن الهاشميين في الحجاز حتى سقط الحجاز في يد السلطان عبد العزيز بسرعة لم يكن يتوقعها أحد.

ونتيجة لتطور الأوضاع في المنطقة العربية، أصبح الإمام عبد العزيز محاصراً بالأعداء من كل جانب، حيث نصبت انجلترا الأمير عبد الله بن الحسين ملكاً على شرق الأردن، والأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، في الوقت الذي كان الحسين فيه ملكاً معترفاً به على الحجاز فقط. أما الإمام عبد العزيز فقد احتفظ بما كان يملكه في نجد والإحساء وحائل. ولكن زاد الوضع صعوبة، أن الكويت أيضاً كانت في علاقة حذر مع عبد العزيز، لأن الشيخ مبارك آل الصباح كان قد توفي، وأوصى قبل وفاته ابنه محمد بالحذر من السعوديين. وفي ظل هذا كله، كان لزاماً على الإمام عبد العزيز أن يتحرك بسرعة قبل أن تتخذ هذه الأوضاع شكلاً نهائياً[٦].

وكانت الحكومة البريطانية أثناء ذلك حريصة على قرار علاقتها بالملك حسين والوصول إلى اتفاق معه على أساس الأمر الواقع طبقاً لما حدث بينها وبين فرنسا من ناحية، وعلى أساس وعد بلفور من ناحية أخرى[٧]. ولكن حسين كان يعارض قيام الانتداب في البلاد العربية، كما كان يعارض أي

(٦) صلاح الدين المختار: المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٧) في الوقت الذي كانت تتفق فيه بريطانيا مع الشريف حسين لقيادة ثورة عربية، كانت تقوم بعقد اتفاقية أخرى مع كل من فرنسا وروسيا عرفت باسم اتفاقية (سايكس- بيكو) وكان من أهم بنودها تقسيم المشرق العربي إلى مناطق نفوذ لكل من بريطانيا وفرنسا، وكان يدخل فيها أراضي الدولة العربية المستقلة التي كانت بريطانيا قد وعدت بها الشريف حسين عند تفاوضها معه. وتلا ذلك وعد بلفور في نوفمبر ١٩١٧، والذي نص على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. ورأى زعماء العرب والشريف حسين في كل من اتفاقية سايكس- بيكو ووعد بلفور، نكثاً من بريطانيا لعهودها، وكان في هذا دافع قوي لإثارة حفيظة الحسين والعرب وشن حملة شديدة ضدهم فيما بعد الحرب.

ادعاء لليهود في فلسطين، وبالتالي كان يرفض وعد بلفور. وفضلاً عن ذلك، إن اصرار الملك حسين على تحقيق مطالبه في مملكة عربية سبق أن وعده بها الإنجليز، جعل المفاوضات بينهما تفشل، ولم يمكن التوصل إلى نتيجة حتى سنة ١٩٢٣ (١٣٢٤ هـ)، فنفد صبر السياسة البريطانية لإصرار الحسين على موقفه. وبدأت بريطانيا تتخلى عنه تدريجياً ولا تعيرا حتجاجاته أي التفات[٨].

وفي موجة هذا الجفاء، غفل الحسين عن خطر السعوديين الذين هاجموا الحجاز وشرق الأردن في سنة ١٩٢٤ للقضاء على الهاشميين، ولكن بينما فشل ابن سعود في مناوشاته مع الأردن، نجد قواته الرئيسية الموجهة للحجاز تنجح، وأجبر أعيان الحجاز الملك حسين على التنازل لابنه علي. ولكن الأحداث أخذت تتتابع على نحو ما عرضنا، إلى أن انتهى الموقف بابن سعود بعد استيلائه على الطائف إلى تعمد الإبطاء قبل دخوله مكة وذلك لجس نبض بريطانيا، إلاّ أن هذه كانت قد اتخذت قرارها بالوقوف على الحياد والبعد عن الصراع[٩]، بل لقد رفضت بريطانيا أية وساطة لإثناء السلطان عبد العزيز عن تحقيق هدفه[١٠].

وقد حاول الملك علي طلب مساعدة انجلترا، فأسرع مبرقاً إلى لندن بواسطة القنصل البريطاني في جدة يقول: «أرسلوا الطائرات والمال وخصوصاً السلاح»[١١]. ولكن الإنجليز الذين كانوا متبرمين من مواقف الحسين والهاشميين ومن مطالبهم، رفضوا التدخل تماماً. وأجابوا الملك علي

---

(٨) حسين فوزي النجار: السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط ص ٤٣٦ - ٤٣٩، المقطم: ٨ يناير ١٩٢٤.

(٩) Troeller, G.: op. cit., P. P. 218 - 220.

(١٠) بعد وصول الحسين إلى العقبة أرسل معاتباً الحكومة البريطانية على تخليها عنه، فرد عليه رئيس الوزراء بالدوين Boldwin بأنه لم يكن بالإمكان التدخل دون موافقة ابن سعود الذي رفض الوساطة. «The Hostilities in the Hejaz, op. cit., p. 647.

(١١) بنوا ميشان: المرجع السابق، ص ١٧٣.

بأن النزاع بين آل الحسين وآل سعود يدور حول قضية مذهبية دينية، وأنهم عملاً بالتقاليد البريطانية لا يسعهم التدخل في نزاع من هذا النوع[١٢].

وعندئذ أدرك الملك علي عدم جدوى المقاومة، فانسحب من مكة إلى جدة ودخل النجديون مكة في ١٩٢٤.

وقد فوجىء الإنجليز بانهيار الحسين وخروجه، إذ لم تدم مقاومته سوى بضع ساعات. ورأى المسئولون في وزارة الخارجية البريطانية أنه لا مجال للاعتراض على الأمر الواقع، خاصة وأن انتصار الإمام عبد العزيز سيشجعه على تحويل نشاطه بعيداً عن شرق الأردن. لذا بادرت بإرسال بعثة دبلوماسية[١٣] برئاسة الجنرال جيلبرت كلايتون Gilbert Clayton الرئيس السابق للكولونيل لورانس في المكتب العربي لمقابلة السلطان عبد العزيز والتفاهم معه حول الحدود النجدية العراقية والحدود النجدية مع شرق الأردن. وتقابل السلطان عبد العزيز مع البعثة البريطانية، وظن عبد العزيز في بادىء الأمر أن البعثة قد جاءت لمفاوضته في أمر الحجاز والجلاء

---

(١٢) حسين فوزي النجار: المرجع السابق، ص ٤٤٠،

«The Hostilities in the Hejaz», op. cit, P. 647.

جاء في مضابط مجلس النواب البريطاني أن المستر ماكدونالد أجاب بجلاء وصراحة على سؤال طرح في أول أكتوبر ١٩٢٤ بمجلس النواب والخاص بموقف بريطانيا من النزاع السعودي الهاشمي، فأكد تمسك بريطانيا بسياستها التقليدية وهي عدم التدخل في المسائل الدينية. وليس في وسعها أن تشتبك في أي قتال ينشب بين حكام مستقلين في جزيرة العرب في سبيل الاستيلاء على الأماكن المقدسة. كما أضاف المستر ماكدونالد أن الحكومة البريطانية لا تمانع في التوسط لتسوية أوجه الخلاف إذا ما طلب منها الفريقان المتنازعان ذلك بمحض اختيارها. أنظر

Parl. Debats, House of Comons, London, Vol. 170, Oct. 1924, Coluumm 141 – 142.

كذلك أنظر المقطم: ٣ أكتوبر ١٩٢٤.

(١٣) Troeller, G. : op. cit., P.P. 227 – 231.

عنها، ولكن اتضح له أنها موفدة لتحقيق جلاء القوات السعودية عن وادي السرحان الداخل في حدود الأردن، وأكدت البعثة عدم رغبتها في إثارة مسألة الحجاز اطلاقاً[١٤]. ومن ثم، ازداد اطمئنان عبد العزيز وتابع فتح الحجاز وحاصر جدة التي تحصن بها الملك علي، ولما يئس الأخير من معاونة الإنجليز، حيث كان يسهل عليهم تموينه من البحر، إلاّ أنه لا الإنجليز ولا أخوه فيصل في العراق ولا أخوه عبد الله في شرق الأردن هبوا لمؤازرته. فقرر التسليم لينقذ المدينة من الدمار[١٥].

وهكذا كان لموقف الحياد الذي اتخذته بريطانيا من الصراع السعودي الهاشمي بعد طول تأييد للحسين، الأثر الكبير في نجاح سلطان نجد في الاستيلاء على الحجاز وإخراج الهاشميين منه.

---

(١٤) أم القرى: ٢٨ ربيع أول ١٣٤٣ (١٦ أكتوبر ١٩٢٥ م).

(١٥) بنوا ميشان: المرجع السابق، ص ١٨٥.



الفصل الثالث

عبد العزيز ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها

١ - موقف العالم الإسلامي من الفتح السعودي للحجاز
٢ - مبايعة عبد العزيز ملكاً على الحجاز
٣ - الدعوة للمؤتمر الإسلامي بمكة وأسبابها
٤ - أعمال المؤتمر ونتائجه
٥ - أعمال عبد العزيز الاجتماعية والاقتصادية



موقف العالم الإسلامي
من الفتح السعودي للحجاز

لقد شغلت الحرب الدعائية بين الهاشميين والنجديين حيزاً كبيراً من اهتمام الطرفين المتنازعين، وتعدى ذلك إلى العالم الإسلامي، خاصة وأن الحرب الحجازية النجدية لم تكن ذات دلالة محلية بقدر ما كانت تشغل ملايين المسلمين، بل إن بريطانيا نفسها لم تستطع أن تبعد نفسها كلية عن التأثير في ميدان القتال بشكل أو بآخر.

ولقد ساعد انقسام الرأي في العالم الإسلامي تجاه الصراع السعودي الهاشمي، الحاكم السعودي على تحقيق أهدافه وبصورة سريعة. ولعل أهم ما كان يشغل بال سلطان نجد، هو الموقف البريطاني، ولذلك تباطأ- كما سبقت الإشارة- في الزحف على مكة بعد أن استولى على الطائف، حتى يرى ردود الفعل المنتظرة. ولما وضح له الموقف المحايد الذي اتخذته بريطانيا، ورغبتها في عدم التدخل في النزاع القائم بينه وبين آل الحسين، باعتباره نزاعاً دينياً، واصل زحفه حتى يحقق هدفه في تحرير الحجاز وتخليصه من حكم الشريف حسين وأبنائه.

وقد عمدت حكومة الملك علي في جدة إلى إشاعة الكثير من الافتراءات على ما يفعله آل سعود في الأراضي المقدسة، وعن اضطراب الأمن وتعرض الحجاج لأخطار كبيرة. ولكن سلطان نجد نجح في إظهار

حنكة سياسية لا مثيل لها في محاولة تبديد كل تلك الإشاعات[١].

وفي تلك الأثناء كان الموقف قد اتضح لكافة القناصل في جدة، من حيث أن الصورة قاتمة بالنسبة للملك علي، وأن من مصلحته الاستسلام للقوات النجدية، ذلك أن الملك علي لم يكن يشعر بأي أمل في إمكانية التصدي للقوات الزاحفة. ولم تلبث القوات السعودية أن سيطرت حربياً على كل الحجاز عدا جدة، وأصبح بذلك ابن سعود سيد الموقف كله. ولا غرو فقد صار الحرمان الشريفان (المكي والنبوي) تحت يده، وغدت الطائف والكثير من المواني في قبضته، وفضلاً عن توفر الذخائر لديه وكثرة جنوده.

ولما وجد الملك علي نفسه وحيداً، وبناء على نصائح كبار موظفيه، صمم على وضع حد لهذه الحرب، فوسط المعتمد البريطاني في الموقف، وأعلن أنه سئم الحرب، وأنه يرغب في حقن الدماء. وأبرق المعتمد البريطاني لحكومته يستأذنها في الوساطة، فأذنت له، وانتهى الأمر بأن أرسل نائب المعتمد وقنصل بريطانيا بجدة مستر غوردون خطاباً إلى عبد العزيز يطلب منه مقابلته في الرغامة، فوافق عبد العزيز على ذلك.

ولم يلبث أن تم الاتفاق على خروج الملك علي في سلام من جدة، مقابل

---

(١) بعد دخول مكة وحصار جدة، سقطت في يد الجيوش السعودية موانىء الليث ورابغ والقنفذة وكان موسم حج ١٣٤٤ على الأبواب، لذا رأى السلطان عبد العزيز ضرورة توجيه نداء إلى كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يعلن فيه تشجيعه وترحيبه بحجاج بيت الله الحرام لهذا الموسم بعد أن ساد النظام في البلدة المطهرة واستتب الأمن فيها. وأنه يتكفل بتأمين راحتهم والمحافظة على أرواحهم وحقوقهم، وتسهيل سفرهم من تلك الموانىء الثلاثة إلى مكة المكرمة. ولقد نجح موسم الحج نجاحاً كبيراً. وعاد الحجاج إلى ديارهم سالمين وشاكرين لعبد العزيز حسن إدارته، كما كانوا خير دعاية لحكمه.

تنازله عن عرش الحجاز وتسليم أسرى الحرب السعوديين، وكذلك تسليم جميع الأسلحة والمهات الحربية والبواخر لسلطان نجد لتكون كلها ملكاً له. وفي مقابل ذلك، تعهد سلطان نجد بالعفو العام عن الموظفين المدنيين والعسكريين والأشراف وكل الأهالي، وضمان سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم، وتسهيل رحيل من يرغب منهم، كما تعهد أيضاً بأن يمنح آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية[٢].

وبذلك انتهت فصول الحرب السعودية الهاشمية بعد صراع استمر فترة طويلة. وبعد أن غادر الملك علي جدة بحراً قاصداً البصرة ومنها إلى بغداد[٣]، دخل السلطان عبد العزيز جدة في صباح ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥ (٨ جمادى الثانية ١٣٤٤) وتقدم إليه أهلها مهنئين. ووجد السلطان عبد العزيز نفسه لأول مرة في اتصال دبلوماسي مع عدد من الدول الكبرى والصغرى، وليواجه عدداً من المشكلات التي ورثها بوصفه فاتح الأراضي المقدسة، وهي مشكلات نابعة من نظام الامتيازات القديم[٤].

وعلى العموم، فبتنازل الملك علي عن عرش الحجاز وانتهاء تسليم جدة، سلمت ينبع، وبدأت مرحلة جديدة في حياة عبد العزيز. وكان لموقفه المتسامح الأثر الأكبر في نفوس الحجازيين، الذين لم يجدوا خيراً منه لحكم الحجاز، فقدموا إليه في ٧ يناير ١٩٢٦ (٢٢ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ) مبايعتهم له ملكاً على الحجاز. ووقع سلطان نجد بالموافقة على البيعة.

---

(٢) أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق، ص ٤٠١، سعود بن هزلول: المرجع السابق، ص ١٧٠ - ١٧٢.

(٣) Malone, J. H.: The Arab Lands of Western Asia, P. 154.

(٤) Philby, H; St. J., op. cit., p. 290.

ردود الفعل

لم يحدث فتح الإمام عبد العزيز من قبل لبعض مناطق في شبه جزيرة العرب (مثل إمارة حائل ومنطقة عسير)(٥) أي ردود فعل في أرجاء العالم الإسلامي، لا على المستوى الرسمي ولا على المستوى الشعبي. ولكن زحف الجيوش السعودية على المملكة العربية الهاشمية في الأراضي الحجازية واستيلاءها على الحجاز، أثار دوياً هائلاً في جميع أنحاء العالم الإسلامي. فالحجاز لم يكن منقطعاً عن العالم الخارجي كما كان الحال بالنسبة لحائل وعسير مثلاً، بل على العكس كان أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية ارتباطاً بالخارج بروابط مادية ومعنوية.

فالحجاز بما فيه من أماكن مقدسة هي قبلة العالم الإسلامي كله، ربطت به جميع المسلمين. ولقد كان في الحجاز كثير من الأراضي والعقارات المملوكة لأشخاص يقيمون خارج البلاد، كما كان في مختلف البلاد العربية والإسلامية أراض وعقارات موقوفة على الحرمين أو على مجاوري الحرمين(٦).

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الشريف حسين كان قد أحرز مكانة طيبة في

---

(٥) عندما نشبت الحرب العالمية الأولى ورحل الترك عن عسير، تولى حسن بن علي آل عائض إمارة عسير واستقل بها، وكان ظالماً ومستبداً مما نفر منه القبائل التي أرسلت وفودها إلى الإمام عبد العزيز شاكية إليه، فبعث عبد العزيز ببعض علماء نجد إلى أبها وكتب إلى أميرها يحضه على المسالمة والرجوع إلى ما كان عليه أجداده، إلا أن ابن عائض رفض ذلك وهدد عبد العزيز بعدم التدخل في شئون إمارته فما كان من عبد العزيز إلا أن أرسل جيشاً في شعبان ١٣٣٨ هـ (مارس ١٩٢٠) تمكن من هزيمة أمير عسير والاستيلاء عليها.

(٦) ساطع الحصري: العروبة أولاً، ص ٤١.

العالم الإسلامي لنسبه الشريف وللمنصب الذي شغله، سواء قبل توليه ملك الحجاز أو بعده. وقد استطاع الحسين بفضل جهاده السياسي وتوليه قضية الدفاع عن حقوق العرب وإقدامه على إعلان الثورة العربية، أن يحظى بمكانة سياسية إلى جانب مكانته الدينية. أضف إلى هذا أن الدولة الهاشمية في الحجاز كانت أول دولة عربية أعلنت استقلالها التام خلال الحرب العالمية الأولى. غير أن سياسة الحسين المتطرفة تجاه الحجاج وسوء معاملته للوفود، بالإضافة إلى انعدام الأمن وانتشار البدع والخرافات في ربوع الأراضي المقدسة، قد أبعد- إلى حد كبير- القلوب التي كانت متعاطفة معه(٧)..

وإذا أضفنا إلى ما تقدم أن شخصية عبد العزيز بن سعود التي جمعت شتات أجزاء شبه الجزيرة العربية والتي انضوى تحت لوائها جميع أجزاء المملكة لم تكن بعد، قد عرفت على حقيقتها لدى كثير من البلدان الإسلامية.

ولذلك فقد أحدثت سيطرة السلطان عبد العزيز على الحجاز وإخراجه لأسرة الشريف حسين ردود فعل عنيفة ومتباينة، فمثلاً في الهند أيدت كل من جمعية أهل الحديث والعلماء وجمعية الخلافة- التي تعتبر أكبر الجمعيات الإسلامية الهندية المناوئة للسياسة البريطانية- السلطان عبد العزيز في مناهضته للشريف حسين وأولاده، وذلك إيماناً منها بأن الدعوة السلفية النجدية سوف تقوم بتطهير الحجاز من البدع والخرافات التي انتشرت في ربوعه، وسوف تساعد عبد العزيز على استتباب الأمن، وحتى تعود للأمة الإسلامية والعربية قوتها ووحدتها(٨). وقد أرسل مسلمو الهند وفداً

---

(٧) ساطع الحصري: المرجع السابق، ص ٤١- ٤٣.

(٨) كانت تلك الهيئات قد اتصلت بسلطان نجد وتم التفاهم بينهم على الاستياء من وضع الحجاز وسوء النظام السائد فيه تحت حكم الحسين الذي شجع على تغلغل النفوذ الأجنبي في بلاده، ولم =

للحجاز لدراسة الموقف والاتصال بكل من سلطان نجد والملك علي بن الحسين، وحاول الملك علي عرقلة اتصالهم بالسلطان عبد العزيز[٩]، مما أثار حفيظة الهنود ودفعهم إلى الاعتقاد بأن الشريف ملتوي المقاصد. ونجح الوفد الهندي في لقاء السلطان عبد العزيز، وهناك أبدى لهم أنه لا مطمع عنده وأنه سوف يترك لأهل الحجاز تقرير مصيرهم بأنفسهم.

ولكن كانت هناك قلة من المسلمين الهنود تؤيد الملك علي بن الحسين وتناصره، وتمثلت في جمعية خدام الحرمين الشريفين الهندية. وقد قامت هذه الجمعية قبل موسم حج ١٩٢٥ بإرسال وفد يمثلها إلى السلطان عبد العزيز. وتظاهرت الجمعية بأن غرضها هو الوقوف على حقيقة الأمر في الحجاز، ولكن هدفها الحقيقي كان إشاعة البلبلة وإثارة الفتنة ودس الدسائس لسلطان نجد بين أهل مكة والمدينة، وذلك في محاولة لمناصرة الملك علي.

ولقد استقبل السلطان عبد العزيز وفد جمعية خدام الحرمين الشريفين استقبالاً حسناً بادىء ذي بدء وعاملهم بحلم وسعة صدر، ولما تأكد له سوء نواياهم وكشف دسائسهم، طردهم من الحجاز، فجاءوا مصر ونشروا في جريدة المقطم بياناً حاولوا فيه تشويه الحقائق والاساءة إلى سلطان نجد بكل طريقة ممكنة[١٠].

ولكن هذا البيان لم يمر كما توقع الكثيرون كشيء عارض دون أن يثير

= يكن مسلمو الهند ينظرون نظرة ارتياح لثورة الشريف حسين ضد الأتراك،. ولهذا قابلوا بالاستياء الشديد إعلان الملك حسين نفسه خليفة سنة ١٩٢٤.
انظر حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٦٦،

(٩) أم القرى: ٣٠ رمضان ١٣٤٣ (٢٤ ابريل ١٩٢٥).

(١٠) المقطم: ١٧ مارس ١٩٢٦.

الرأي العام، ذلك أنه سرعان ما طالعتنا المقطم[11] أيضاً بتحليل لدوافع هذا البيان، على أنه من باب الكيد للسلطان عبد العزيز، وأن السلطان لم يتخذ حيال وفد جمعية خدام الحرمين الشريفين الهندية ذلك الموقف المتشدد، إلاّ بعد أن كشف أنهم يحملون دراهم أخذوا يوزعونها بطريقة معينة تثير الشك والريبة. وأظهرت الصحيفة أنهم جماعة منشقة على الاجماع الهندي لتأييد الملك عبد العزيز، وأفادت بأنهم كانوا متآمرين، وأنهم خرجوا عن دائرة المنطق واللياقة في طلبهم من السلطان عبد العزيز أن يبادر إلى الرحيل عن الحجاز بجيوشه[12].

ويمكننا أن نقول إن اتجاه هذه الجمعية كان يمثل الخط العام الذي اتخذته بعض الجماعات الشيعية في العالم الإسلامي، خاصة في إيران والهند في ذلك الوقت[13]، وذلك لمناوأتهم الحركة السلفية، ولذلك لم تنظر هذه الجمعية إلى دخول الجيش النجدي إلى الحجاز بعين الارتياح.

ومن الطبيعي أن يتخذ العراق والأردن موقفاً ساخطاً على ما فعله سلطان نجد. ومن الطبيعي أيضاً أن يمتد هذا السخط إلى السياسة البريطانية أيضاً. فقد شعرت الأسرة الهاشمية بأن بريطانيا لم تقف موقف الحياد إلا ظاهرياً، وأنه كان لها دور هام في نجاح السلطان عبد العزيز في فتح الحجاز. يضاف إلى هذا أنه لم يكن من مصلحة العراق أو الأردن أن تجد قوة سياسية معادية على حدودها، خاصة وأن العداء بين الأسرة الهاشمية والأسرة السعودية كان تقليدياً يضرب بجذوره إلى الماضي.

أما بالنسبة لمصر فلم يكن دورها واضحاً في المراحل الأولى من النزاع

---

(١١) المقطم: ١٩ مارس ١٩٢٦.

(١٢) كان شكري القوتلي كاتب هذا التحليل.

(١٣) المنار: مجلد ٢٧، جـ ٨، ص ٦٣٤ - ٦٣٦.

السعودي الهاشمي وذلك لانشغالها بمشكلاتها الداخلية فقط، وعلى رأسها الحصول على استقلالها من الاحتلال البريطاني. غير أن عملية غزو الجيوش السعودية للحجاز غيرت من موقف مصر السلبي إلى دور إيجابي في هذا النزاع(١٤).

ويبدو أن حكومة مصر لم تكن متعاطفة مع الهاشميين في الحجاز، حيث أنها لم تنس الماضي القريب وما قام به الحسين ضدها نظراً لتدهور العلاقات بين الأشراف والحكومة المصرية، بالإضافة إلى سوء معاملته للحجاج المصريين. كما أن مصر كانت متأثرة من انضمام الحسين للحلفاء ومحاربته دولة الخلافة الإسلامية، أي الدولة العثمانية(١٥). ولقد دعا كل ذلك الملك فؤاد إلى أن يقف موقف الحياد المتسم بالترقب والحذر في الصراع الدائر بين النجديين والهاشميين، خاصة وأن فؤاد لم يكن حراً في تصرفاته لأن مصر لم تكن في ذلك الحين حرة في تصرفاتها، إذ كان استقلالها مقيداً بالنفوذ البريطاني، وبريطانيا نفسها كانت تقف موقف الحياد المشوب بالعطف تجاه السلطان عبد العزيز في صراعه مع الهاشميين في الحجاز. فكيف تستطيع مصر أن تقف غير موقف الحياد هي الأخرى(١٦).

وخلاصة القول إن استيلاء السلطان عبد العزيز على الأراضي المقدسة أوجد موجة من الخوف والتساؤل في العالم الإسلامي، وهذا ما توقعه عبد العزيز قبل ذهابه للحاق بجيشه في مكة، لذلك سارع في محاولة لتهدئة النفوس عن طريق بلاغ أذاعه على أهل الرياض وعلمائها قال فيه(١٧):

---

(١٤) لمزيد من التفاصيل عن موقف مصر ارجع إلى: مديحة درويش: المرجع السابق، ص.

(١٥) Toynbee, A: Survey, 1925, pp. 289-290.

(١٦) مديحة درويش: المرجع السابق، ص ١١١.

(١٧) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٦٩.

« إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله، إني مسافر إلى مهبط الوحي لنبسط أحكام الشريعة ونؤيد أحكامها، فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطىء للشريعة. إن مكة للمسلمين كافة، فأمر إدارتها وتنظيمها يجب أن يكون طبق رغائب العالم الإسلامي.

« إننا سنجتمع بوفود العالم الإسلامي هناك وسنتبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله ».

وفي نفس الوقت وجه سلطان نجد نداء إلى ملوك وأمراء وحكام العالم الإسلامي ورؤساء الجمعيات الإسلامية لإرسال مندوبيهم إلى مكة لعقد مؤتمر إسلامي ينظر في مستقبل الحجاز، وقال في هذا النداء:

« أنقذنا بيت الله، سنسافر قريباً إلى مكة.. نرجو أن ترسلوا مندوبين من قبلكم ليساعدونا مع باقي الشعوب في وضع إدارة منظمة تضمن راحة الحجيج وقاصدي بيت الله الحرام وتجعل الأماكن المقدسة حرة لكل من يقصدها من الأمة الإسلامية[١٨] ».

ولم يكتف السلطان عبد العزيز بذلك، بل عاد فأكد حسن نواياه نحو الحجاز في منشور ألقاه أعيان أهل الحجاز عندما دخل مكة، فقال:

« سنجعل الأمر في هذه الديار- بعد هذا- شورى بين المسلمين، وقد أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لانفاذ أحكام الله في

---

(١٨) رئاسة الجمهورية- قصر القبة: ملف رقم ١٤٨٠ جـ ١. أم القرى: ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣ (١٢ ديسمبر ١٩٢٤). حسين بن محمد نصيف: المرجع السابق، ص ١٧٢- ١٧٣.

هذه البلاد المطهرة »[١٩].

وهكذا بدأت تتبلور فكرة عقد مؤتمر إسلامي في مكة لتقرير مصير الحجاز، وقد أخذ عبد العزيز في تأكيد فكرة عقد هذا المؤتمر من خلال البلاغ العام الذي نشرته جريدة أم القرى[٢٠]، وأتبعه بدعوة رسمية إلى ملوك المسلمين والبلاد الإسلامية[٢١]، أوضح فيها حسن نواياه واعتباره الحجاز وديعة في يديه حتى يختار الحجازيون لبلادهم والياً منهم يكون خاضعاً للعالم الإسلامي تحت إشراف الأمم الإسلامية والشعوب التي أبدت غيرة على الحجاز. وفي هذه الدعوة، أوضح عبد العزيز خطته التي عاهد عليها العالم الإسلامي، وكان من بنودها:

أ- الحجاز للحجازيين من جهة الحكم، وللعالم الإسلامي من جهة الحقوق التي لهم من هذه البلاد.

ب- إجراء استفتاء لاختيار حاكم الحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الإسلامي، على أساس أن تكون الشريعة الإسلامية هي المرجع الأول لكافة الناس.

جـ- ضمان استقلال السياسة الداخلية للحجاز.

د- بالنسبة للسياسة الخارجية، فإن السلطان عبد العزيز كان يرى أنه لن يكون لحكومة الحجاز في المستقبل حق إعلان الحرب أو عقد اتفاقيات سياسية مع أي دولة كانت، أو عقد اتفاقيات اقتصادية مع أية دولة غير مسلمة.

---

(١٩) أم القرى: ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣ (١٢ ديسمبر ١٩٢٤).

(٢٠) أم القرى: ٢ محرم ١٣٤٤ (٢٤ يوليو ١٩٢٥)، المنار: مجلد ٢٦، جـ ٤، ص ٣١٩.

(٢١) نص الدعوة في أم القرى ١٩ ربيع الثاني ١٣٤٤ (٦ نوفمبر ١٩٢٥)، المقطم: أول يونيو ١٩٢٦.

هـ- تحديد الحدود الحجازية ووضع النظم المالية والقضائية والإدارية للحجاز، موكول للمندوبين المختارين من الأمم الإسلامية.

وأكد السلطان عبد العزيز أنه يرغب في إسراع الحكومات الإسلامية بإرسال مندوبيهم حتى يمكن عقد مؤتمر لبحث كل هذه الشئون ولتستمر الأوضاع بالنسبة للأراضي الحجازية. وقد أبدى عبد العزيز اهتماماً كبيراً بعقد مثل هذا المؤتمر حتى يطمئن العالم الإسلامي أنه ليس بطامع في الحجاز، وأن غرضه لم يكن الاستيلاء على الأراضي المقدسة الا لتخليصها ممن أساءوا إليها وإلى العالم الإسلامي.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان في عقد مثل هذا المؤتمر فرصة لا تعوض لإذابة الجليد القائم بين حقيقة الدعوة السلفية وما يعتنقه النجديون وبين ما أشيع عن تلك الدعوة من الغلظة والتعنت والاعتقاد بأن النجديين يدعون إلى مذهب خاص يخالف المذاهب الأربعة[٢٢].

ولقد بدا هذا الاتجاه واضحاً في تصريح السلطان عبد العزيز حين قال: «إن لي أمنية من زمن ما زلت أرجو الله أن يحققها لي، وهو أن يجتمع للمسلمين مؤتمر حقيقي أشهده، فأطلعهم على ما عندنا من العقائد حتى يعرفونا كما نحن لا كما وصفنا لهم الأعداء...»[٢٣].

ولا شك أن السلطان عبد العزيز كان سياسياً بارعاً في دعوته لهذا

---

(٢٢) المنار: مجلد ٢٧، جـ ٤، ص ٢٧٢- مقال بعنوان ساعة مع جلالة الملك عبد العزيز بقلم أمين الرافعي، المصحف والسيف: مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، جمع وإعداد محي الدين القابسي، ص ٨٥- ٨٧، أم القرى: ٥ ذي الحجة ١٣٤٧ (١٥ مايو ١٩٢٩).

(٢٣) أم القرى: ٥ رجب ١٣٤٣ (٣٠ يناير ١٩٢٥)، حسين بن محمد نصيف: المرجع السابق، ص ١٧٢.

المؤتمر، وفي إرسال الدعوات لرؤساء وملوك الدول الإسلامية، ليقطع على الكثيرين منهم فكرة محاولة الانسياق وراء الدعايات المغرضة التي كان يطلقها الحسين وأبناؤه، وفي ذات الوقت حتى لا يترك لأحد فرصة التفكير في معاونة الأسرة الهاشمية على استرجاع الحجاز. كما أنه بعقد مثل هذا المؤتمر، يضمن سلطان نجد عدم التفكير مستقبلاً في دخوله في أي منازعات حربية حول مركزه في الحجاز. وبالإضافة إلى ذلك، فإن سلطان نجد بهذه الخطوة سوف يضمن تأييد الرأي العام الإسلامي له والذي كان يحسب له حساباً كبيراً.

ولعل ظروف الحجاز الاقتصادية التي جعلته في حاجة دائمة لما يأتيه من الحكومات الإسلامية من معونات ومساعدات في صورة جراية أو غيرها من هبات أو أموال موقوفة على فقراء المسلمين في الأراضي الحجازية، إلى جانب المورد الرئيسي من الأموال التي تأتي من الحجاج في موسم الحج، هو الذي جعل السلطان عبد العزيز يحسب هذا الحساب للرأي العام الإسلامي. ففي حالة عدم رضاء الرأي العام الإسلامي والحكومات، سوف يتأثر بالضرورة الوضع الاقتصادي للحجاز، وبالتالي سوف يعرض ذلك مركز السلطان عبد العزيز لمشاكل جديدة هو في غنى عنها.

ومن أجل ذلك، كان اهتمام عبد العزيز بالدعوة لعقد المؤتمر الإسلامي بمكة، وكان صادقاً في تمسكه بذلك، واضعاً مسئولية الحجاز أمام العالم الإسلامي. ولكنه لم يجد صدى لدعوته هذه حيث لم يلب النداء إلا جمعية الخلافة وجمعية العلماء في الهند[٢٤].

---

(٢٤) صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣٤٨، عبد الله فلبي: الذكرى العربية الذهبية، ص ١٢١.

مبايعة عبد العزيز ملكاً على الحجاز

اثارت دعوة السلطان عبد العزيز لعقد مؤتمر إسلامي بمكة ليقرر مصير الحجاز استياء الحجازيين وتذمرهم، إذ رأوا في ذلك تجاهلاً لهم وإنكاراً لأهليتهم لتقرير مصير دولتهم، بالإضافة إلى خوفهم من أن يقرر المؤتمر فكرة جمعية الخلافة الهندية التي نادت بجعل الحكم في الحجاز جمهورياً تحت إدارة مشتركة منتخبة من قبل جميع المسلمين[1]. كما أنهم رأوا أن الحجاز له مكانته الدولية كمملكة معترف بها، وقبول الإدارة المشتركة فيه قضاء على شخصيتهم وجعل الأراضي المقدسة بأيدي غير أهلها، وبالتالي يصبحون في وضع القاصر سياسياً، بينما يتحكم الآخرون فيهم على الدوام.

هذا فضلاً عن أن أهل الحجاز وجدوا أن الذين سيديرون بلادهم ويهيمنون عليهم، إنما هم في الغالب شعوب لم تتمتع باستقلالها، أو ممالك لا زالت حتى ذلك الوقت خاضعة للنفوذ الأجنبي بصورة أو بأخرى. وقد قال أحد الأعيان حول هذا الاتجاه ما يلي: «إن ملك الحجاز معترف به دولياً، فيجب أن نبادر بالاحتفاظ به، واختياره[2] ملكاً علينا قبل أن تتلاعب

---

(١) كانت الهند الإسلامية معجبة بالنظام البرلماني الديمقراطي كأفضل واوفق نظام يوضع لحكم البلاد الإسلامية المقدسة. انظر: عبد الله فلبي: المرجع السابق، ص ١٢١ ، صلاح الدين المختار: المرجع السابق، جـ ٢ ، ص ٣٨٤.

(٢) يقصد هنا اختيار عبد العزيز بن سعود سلطان نجد.

به الأهواء الأجنبية عن طريق بعض البلاد الخاضعة للحكم الأجنبي[٣] في المؤتمر الإسلامي الذي وعد السلطان بعقدة »[٤].

والواقع أن عبد العزيز أخذ يشعر بالقلق الذي يعيش فيه الحجازيون من ترك مصيرهم بأيدي العالم الإسلامي، ولذا بدأ يعيد النظر في الموضوع على أساس ما بدر منهم من روح الاستياء لمصيرهم المعلق على آراء الآخرين. ولكن عبد العزيز الذي كان قد أذاع بعد دخوله جدة بلاغاً، آمن فيه أهل جدة على أنفسهم وأملاكهم حسب الشريعة الإسلامية، ختم بلاغه قائلاً:

« هذا فيما يتعلق بأمر اليوم الحاضر وأما مستقبل البلد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه مع أهل الحجاز لينظروا في مستقبل الحجاز ولمصالحها به »[٥].

لقد أذاع عبد العزيز تصميمه على دعوة المؤتمر الإسلامي لكي يكون قد بر بوعده أمام العالم الإسلامي وليكفل للحجازيين حرية تقرير المصير، إلا أن الموقف الذي وقفه العالم الإسلامي من تجاهل دعوته، ثم ما جاء في أفكار الهنود من تحبيذ قيام حكومة جماعية لتدير شئون الحجاز، قد جعل أهل الحجاز يقفون بين خيارين: إما حكومة تحت تاج السلطان عبد العزيز، أو هذه الحكومة الجماعية. وبالطبع كانت الافضلية للانضمام تحت

---

(٣) القصد من ذلك الهنود الخاضعون للحكم البريطاني وغيرهم من البلاد الإسلامية التي كانت خاضعة في ذلك الوقت للنفوذ الأجنبي، سواء كان في صورة احتلال أو انتداب.

(٤) مصطفى الحفناوي: ابن سعود. سياسته وحروبه، ص ١٤٤ - ١٤٥، عبد الحميد الخطيب: المرجع السابق، جـ ١، ص ١٢٧.

(٥) أصدر عبد العزيز هذا البلاغ في جدة في ٨ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ. انظر المقطم: ٨ يناير ١٩٢٦.

لواء تاج سلطان نجد، لأن حكومته حكومة عربية أكثر إدراكاً لتقاليد البلاد من الجنسيات المتعددة التي قد تشترك في الحكومة الجماعية، فضلاً عما أبداه سلطان نجد من عزوف عن حكم الحجاز أو السيطرة عليه. وعلاوة على ذلك، فإن دخول سلطان نجد مكة كان سلمياً، كما أن حصاره للمدينة لم يكن دموياً، ثم استيلاؤه على جدة جاء أيضاً بدون إراقة دماء، كل ذلك قرب السلطان عبد العزيز لقلوب الحجازيين وأكسبه اعجابهم[٦].

وكان لنشر عبد العزيز الأمن وتأمين الأهالي على أرواحهم وأموالهم ودعوته للأخذ بمبدأ الشورى والتمسك بأهداب الدين الصحيح، ما جعل الحجازيين يعرفون الطريق الصحيح نحو مستقبلهم والاختيار الأفضل لمن يحكمهم.

وعلى أثر ذلك اجتمع عشرون من اعيان جدة، وثلاثون من أعيان مكة وتشاوروا في الأمر واتفقوا على ضرورة اختيار ملك لهم، ثم قرروا باجماع الأراء مبايعة سلطان نجد ملكاً على الحجاز، وأفضوا إليه بذلك، على أن يبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله، وأن يكون الحجاز للحجازيين، وأن تكون مكة عاصمة للحكومة، وأن يقوموا بإدارة شئونهم[٧]. فوافقهم على ذلك سلطان نجد وقبل البيعة خاصة وأن هذا الموقف من جانب أهل الحجاز وجد قبولاً وترحيباً كبيراً من جانب النجديين.

وعلى ضوء ذلك كله، أصدر السلطان عبد العزيز في ٧ يناير ١٩٢٦ (٢٢ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ)[٨] بلاغاً أعلن فيه اضطراره لترك تقرير

---

(٦) عبد الحميد الخطيب: المرجع السابق، جـ ١، ص ١٢٦ وما بعدها.

(٧) المرجع السابق، ص ١٢٦ - ١٢٨.

(٨) أصدر عبد العزيز منشوراً يبرر فيه مسلكه نحو الاستجابة لطلب أهل الحجاز جاء في ختامه: «ولقد كانت عزيمتي منذ باشرت العمل في هذه الديار أن أنزل على حكم العالم الإسلامي- وأهل =

مصير الحجاز لأهله بناء على إصرارهم على حق تقرير مصيرهم.

وقد اختاره أهل الحجاز بمحض إرادتهم، ولم يكن من الممكن ولا من المصلحة عدم الاستجابة لهم، وأعلن بصورة قاطعة أنه لم يملك أية وسيلة لارجاء تقرير مصير الحجاز حتى عقد المؤتمر الإسلامي، فقد غضب أهل نجد وعلماؤها عليه عندما أراد إرجاء قبول البيعة، باعتبار أن في هذا ضياعاً لثمار حروبهم في الحجاز لتطهيره من الظلم ولضمان استقلاله ومنع أي تدخل أجنبي فيه[9].

وأوضح الملك عبد العزيز في منشوره أنه بالرغم من مطالبته وكتابته أكثر من مرة إلى ملوك وحكام الشعوب الإسلامية وأعيانهم لعقد مؤتمر إسلامي في مكة لتقرير مصير الحجاز، إلا أنه لم يتلق جواباً أو استجابة حتى يوم البيعة لتلبية تلك الدعوة من أي جهة فيما عدا جمعية الخلافة في الهند[10].

=الحجاز ركن فيه- في مستقبل هذه الديار المقدسة. ولقد أذعت الدعوة عامة غير مرة أدعوهم لعقد مؤتمر إسلامي يقرر في مصير الحجاز، فيه المصلحة، ثم عززت ذلك بدعوة عامة وخاصة فأرسلت كتاباً للحكومات وللشعوب الإسلامية في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ (١٩٢٥ م) وقد نشر ذلك الكتاب في سائر صحف العالم. ومضى عليه ما يزيد على الشهرين ولم أتلق على دعوتي جواباً من أحد ما عدا جمعية الخلافة في الهند فإنها بارك الله فيها عملت وتعمل كل ما في وسعها لراحة الحجاز وهنائه. ولما انتهى الأمر في الحجاز إلى هذه النتيجة جاءني أهل الحجاز جماعات ووحدانا يطلبون مني أن أمنحهم حريتهم التي وعدتهم بها في تقرير مصيرهم فلم يسعني أمام طلباتهم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية ليقرروا في شأن بلادهم ما يشتهون بعد ما ظهر من العالم الإسلامي هذا الصد والاعراض عن مثل هذه القضية الهامة.

أم القرى: ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٤ (٨ يناير ١٩٢٦).

(٩) أم القرى: ٨ رجب ١٣٤٤ هـ (٢٢ يناير ١٩٢٦)، المنار: مجلد ٢٦، جـ ٩، ص ٧٠٧-٧٠٨، حافظ وهبة: خمسون عاماً ص ١٣٥.

(١٠) مديحة درويش: المرجع السابق، ص ١٣٧، ١٣٩- ١٤٠.

ولكل هذه الأسباب، اضطر الملك عبد العزيز لقبول البيعة، فقد كان أحق من يحكم الحجاز- طبقاً لرأي أهله- بعد نجاحه في تخليصه من المفاسد[11]، خاصة وأنه أكثر الحكام المسلمين استقلالاً عن النفوذ الأجنبي، بعكس الحكام المسلمين الآخرين- سواء في الهند أو في غيرها من البلدان الإسلامية- الذين كانوا خاضعين بصورة أو أخرى لنفوذ الدول الأجنبية الكبرى. كما أنه بقبوله البيعة، ضمن للحجازيين دولة إسلامية حرة، وأن لا خير في اختياره ملكاً عليهم، لأن ذلك تم بإرادتهم الحرة وبدون تدخل من أحد[12].

ولقد سارعت كل من فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي بالاعتراف بالملك عبد العزيز ملكاً على الحجاز، ثم توالت اعترافات الدول الأخرى بالوضع الجديد في الحجاز[13]. وبذلك أصبح لقب عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها[14].

---

(١١) مما لا شك فيه أن الملك عبد العزيز كان واثقاً من نفسه ومن أحقيته في حكم الحجاز ويتضح ذلك في كثير من خطبه وأقواله، ومنها ما جاء على لسانه في الخطبة التي القاها في وفود بيت الله الحرام تكريماً لهم في ٥ ذي الحجة ١٣٥١ هـ إذ قال: «أنا عربي ومن خيار الأسر العربية، ولست متطفلاً على الرئاسة والملك، فإن آبائي وأجدادي معروفون بالرئاسة والملك» انظر: عبد الحميد الخطيب المرجع السابق، جـ ٢ ص ١٤٣.

(١٢) مصطفى الحفناوي: المرجع السابق، ص ١٤٥.

(١٣) المقطم: ١٠ مارس ١٩٢٦.

(١٤) في نهاية عام ١٩٢٦ نودي بعبد العزيز ملكاً على نجد وملحقاتها فأصبح لقبه بذلك ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. وفي ١٩٣٢ وحدث جميع قطاعات الدولة التي أقامها الملك عبد العزيز وأطلق عليها جميعاً (المملكة العربية السعودية).

الدعوة للمؤتمر الإسلامي بمكة وأسبابها

والحقيقة أن قبول الملك عبد العزيز للبيعة، جنب الحجاز الوقوع تحت رحمة قوى أجنبية ذات آراء متباينة. ولا شك أن عبد العزيز بقبوله البيعة قد تجنب أيضاً دسائس وفتناً كان من الممكن أن تبرز من جانب بعض القوى المحلية أو الدولية التي كانت تسعى للحصول على مطالب ذاتية[1]، خاصة وأن بيعة الملك عبد العزيز قد ربطت بالعمل لمصلحة الحجاز والنهوض به وعمل كل ما في صالح الشريعة الإسلامية وتسهيل جميع الأوضاع للحجاج من كافة أنحاء العالم الإسلامي.

ومع ذلك فقد شعر الملك عبد العزيز بأن من الضروري السير في موضوع الدعوة لمؤتمر إسلامي، رغم اتمام البيعة وقبولها وإعلانه ملكاً للحجاز وسلطاناً على نجد وملحقاتها، وذلك لكي يتجنب ردود الفعل من جانب الدول الإسلامية[2]. ومن ثم، اقتنع الملك عبد العزيز بأهمية وضرورة عقد المؤتمر المذكور، خاصة وأن في ذلك الوقت بدأ العالم الإسلامي يتحرك، وأرسلت مجموعة من البرقيات والكتابات من الهند وغيرها من الممالك الإسلامية تطلب عقد المؤتمر رغم البيعة[3].

---

(١) مصطفى الحفناوي: المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) مديحة درويش: المرجع السابق ص ١٤١.

(٣) أم القرى: ٨ رجب ١٣٤٤ هـ (٢٢ يناير ١٩٢٦)؛ أم القرى: ١٠ شوال ١٣٤٤ (٢٣ ابريل ١٩٢٦).

وبدأ الملك عبد العزيز يعد العدة لذلك المؤتمر، لكن الدعوات هذه المرة كانت من أجل عقد مؤتمر إسلامي لبحث الوسائل الكفيلة لراحة الحجيج فقط دون بحث مصير الحجاز.

ولا شك أن الملك عبد العزيز استهدف من المؤتمر بصورته الجديدة رضاء العالم الإسلامي وتأييده وذلك. بقبول الوفود الإسلامية المجيء إلى الحجاز تحت ظل النظام الجديد(٤).

وعلى هذا الأساس، أرسلت دعوة في شكل برقية بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٤٤ (٢٦ مارس ١٩٢٦) باسم عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد إلى الشعوب والحكومات الإسلامية للاشتراك في المؤتمر المزمع عقده في مكة، هذا نصها(٥):

« خدمة للحرمين الشريفين وأهلها وتأميناً لمستقبلها وتوفيراً لوسائل الراحة للحجاج والزوار واصلاحاً لحال البلاد المقدسة من سائر الوجوه التي تهم المسلمين جميعاً ووفاء بوعودنا وعهودنا التي قطعناها على أنفسنا وميلاً في تكاتف المسلمين وتعاضدهم في خدمة هذه الديار الطاهرة، رأينا الوقت المناسب لانعقاد مؤتمر عام يمثل البلاد الإسلامية والشعوب الإسلامية يكون في ٢٠ ذو القعدة ١٣٤٤، وقد أرسلنا الدعوة لكل من يهمه أمر الحرمين من المسلمين وملوكهم... وأملي أن مندوبيكم سيكونون حاضرين في التاريخ المحدد والله يتولانا جميعاً بعنايته ».

لقد أظهر الملك عبد العزيز في دعوته حنكة سياسية بارعة، لأنه ربط بين الدعوتين، الأولى والثانية، على أساس أن الدعوة الجديدة ما هي إلا

---

(٤) Toynbee, A. J.: Survey, 1925, P. 310.

(٥) أم القرى: ٢٦ رمضان ١٣٤٤ (٩ ابريل ١٩٢٦).

وفاءً للعهود التي قطعها على نفسه، وأن ذلك يعبر عن تكاتف المسلمين وتعاضدهم في خدمة الأراضي الحجازية.

ورغم إسقاط مسألة تقرير مصير الحجاز في الدعوة التي وجهت إلى الشعوب الإسلامية، إلاّ أن الكثير من البلدان الإسلامية قد لبت الدعوة وأرسلت مندوبيها إلى مكة. وبذلك تحقق للملك عبد العزيز الهدف الأساسي الذي سعى إليه من وراء عقد المؤتمر، ألا وهو الاعتراف الجماعي بمبايعته ملكاً على الحجاز من جانب الحكومات والشعوب الإسلامية، والتي كان مجرد تلبيتها الدعوة وقبولها إرسال مندوبين عنها بمثابة اعتراف حقيقي من جانبها بالملك عبد العزيز ومكانته الجديدة بالنسبة للحجاز، وذلك ما كان يريده الملك عبد العزيز فعلاً، وهو أول وأهم مكسب سياسي له من وراء هذا المؤتمر.

ومن الجدير بالذكر أن الوفود الإسلامية لم تلب الدعوة وتصل إلى مكة دفعة واحدة، وإنما تباعاً. وقد اضطر الملك عبد العزيز نتيجة لهذا الموقف إلى تأجيل انعقاد المؤتمر عن الموعد السابق تحديده، وهو ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٤ (٣٠ مايو ١٤٢٦ م) إلى ٢٦ ذي القعدة ١٣٤٤ (٧ يونيو ١٩٢٦ م). كذلك يجب أن نذكر أن الأسرة الهاشمية لم تغير من موقفها العدائي، وبالتالي قاطعت كل من العراق وشرق الأردن المؤتمر. وفضلاً عن ذلك فإن العداء المذهبي بين الشيعة وبين الحركة السلفية النجدية هو الذي جعل إيران تقاطع المؤتمر أيضاً.

زد على ذلك أن الكثير من البلدان الإسلامية، والتي كانت تخوض صراعاً ضد الاستعمار وأمرها ليس بيدها، لم تستطع أن ترسل مندوبين رسميين عنها أو وفوداً شعبية لحضور ذلك المؤتمر، نذكر منها معظم بلدان

جنوب شرقي آسيا الإسلامية وبلاد شمالي أفريقيا[٦].

وبالنسبة لمصر فقد تأخر وصول وفدها عن موعد انعقاد المؤتمر وذلك لإهمال وتجاهل الحكومة المصرية الدعوة لحضور المؤتمر في بادىء الأمر. وكان هذا الموقف للحكومة المصرية وملكها نتيجة لعدة أسباب من أهمها[٧]:

أولاً: كان موعد انعقاد المؤتمر الإسلامي بمكة في وقت مقارب لموعد المؤتمر الإسلامي للخلافة والمقرر عقده بالقاهرة لاختيار خليفة للمسلمين بعد أن أُلغيت الخلافة الإسلامية في تركيا فخشيت الحكومة المصرية- وعلى رأسها الملك فؤاد الذي كان يطمع في الخلافة- أن يؤدي المؤتمر الإسلامي بمكة إلى إلغاء مؤتمر الخلافة، أو أن يحوله إلى مكة، خاصة وأن الاتجاه العام في العالم الإسلامي كان يحبذ عقد مثل هذا المؤتمر في بلد إسلامي مستقل وليست مصر الخاضعة للنفوذ الأجنبي.

ثانياً: أثار فشل مؤتمر الخلافة الذي تم انعقاده قبل مؤتمر مكة بفترة قصيرة مخاوف السلطات المصرية في إمكانية نجاح مؤتمر مكة فيا فشل فيه مؤتمر القاهرة بشأنه موضوع الخلافة[٨]، وذلك رغم تأكيدات الملك عبد

---

(٦) دعا الملك عبد العزيز لحضور هذا المؤتمر كلاً من ملك مصر وملك الأفغان ورئيس جمهورية تركيا وشاه إيران وملك العراق والأمير عبد الكريم الخطابي والإمام يحيى بن حميد الدين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس ورئيس حكومة طرابلس الغرب والشيخ بدر الدين الحسني والشيخ بهجت البيطار من دمشق والنظارة الدينية المركزية في بلدة أدرنا (روسيا) والقاضي مصطفى شرشلي في الجزائر ورئيس الجمعية الإسلامية في بلدة جوكجاكاوتا من جاوة والجمعية المحمدية في جاوة أيضاً... وهؤلاء الذين دعاهم عبد العزيز للاشتراك في مؤتمره، يمثلون ١٨ مقاطعة إسلامية فقط. (المقطم: أول يونيو ١٩٢٦).

(٧) مديحة درويش: المرجع السابق، ص ١٦٣ وما بعدها.

(٨) نبيه بيومي عبد الله: تطور فكرة القومية العربية في مصر، ص ١١٩- ١٢٠.

العزيز المسبقة بحصر أعمال مؤتمر مكة في بحث أمور الحج والحجاز فقط، ولا مجال لبحث أي أمر آخر مثل أمر الخلافة(٩).

ثالثاً: جاءت الدعوة لمؤتمر مكة في وقت ترأست فيه الحكومة المصرية وزارة زيور باشا، التي شكلها القصر الملكي(١٠). وكانت هذه الوزارة تعمل وتسعى لإرضاء الملك فؤاد، الذي كان يرى في نجاح مؤتمر مكة فشلاً لأحلامه، وبالتالي رأت هذه الوزارة عدم إرسال مندوبين عن مصر إرضاءً له.

غير أن مقاطعة مصر للمؤتمر من الناحية الرسمية لم تلبث أن انتهت بتغير الظروف السياسية في مصر وتشكيل وزارة جديدة ائتلافية برئاسة عدلي يكن باشا. وقد عدلت الوزارة الجديدة من موقف الحكومة المصرية السابقة بشأن عدم الاشتراك في المؤتمر، ومن ثم تقرر أن ترسل وفداً رسمياً، وذلك تحت إلحاح الرأي العام المصري، الذي أعلن عن رغبته في أن يكون لمصر شأن كبير في مثل هذا المؤتمر. ومن العيب وهي أكبر بلد إسلامي من ناحية الأهمية والوزن السياسي أن تتغيب عن هذا المؤتمر، بالإضافة إلى أن هذا التجمع الإسلامي الكبير يعبر عن تضامن قد تلعب فيه مصر دوراً هاماً لتقريب وجهات النظر بين النجديين وبين بقية العالم الإسلامي(١١).

---

(٩) Tonbeey, A. J.: Survey, 1925, P.304.
Ibid, PP. 311 – 312.

(١٠) عبد العظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ – ١٩٣٦) ص ٦٧ وما بعدها.
محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، جـ ١، ص ١٨٢ وما بعدها.

(١١) فخر الدين الأحمدي الظواهري: السياسة والأزهر، ص ٢٤٠ . ٢٤١؛ The Times 24
The Times 24 th june 1926.

أعمال المؤتمر ونتائجه

افتتح المؤتمر في ٢٦ ذي القعدة ١٣٤٤ هـ (٧ يونيو ١٩٢٦) في مكة، وألقى كلمة الافتتاح نيابة عن الملك عبد العزيز الشيخ حافظ وهبه[١]. وقد تناولت الكلمة مدى أهمية عقد مثل هذا المؤتمر على أساس أنها المرة الأولى التي يجتمع فيها المسلمون لبحث أمور تخص شئون الإسلام والمسلمين، ثم تطرقت إلى سياسة الملك عبد العزيز تجاه الحجاز، فأوضحت بصورة قاطعة أن من حق المؤتمر أن يبحث في شكل الهيكل الإداري لمنطقة الحجاز. أما فيما يختص بالنواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية، فإنها خارج اختصاصات المؤتمر، لأنها من حق ملك الحجاز وسلطان نجد.

وأشار حافظ وهبة في تلك الكلمة إلى الأسباب الحقيقية التي دعت الملك عبد العزيز إلى انقاذ الحجاز، والتي لم تكن بباعث الرغبة في التملك أو السيطرة، وإنما لإبعاد النفوذ الأجنبي عن الأماكن المقدسة وبسبب الحيلولة بين النجديين، وهم مسلمون، وبين تأديتهم لفريضة الحج، وإساءة معاملتهم، مما اضطر الملك عبد العزيز إلى فتح الحجاز وتحريره.

ودعا الملك عبد العزيز المؤتمر للتشاور ووضع قرارات تتعلق بالنواحي الدينية والعمرانية والتنظيمية الخاصة بالحجاز، حتى يطمئن العالم الإسلامي تماماً على إقامة شرع الله والالتزام بأحكامه وتطهير الأماكن

---

(١) أم القرى: ٣٠ ذي القعدة ١٣٤٤ (١١ يونيو ١٩٢٦).

المقدسة من البدع والخرافات وتقديم المقترحات التي تساعد على الارتقاء بالعلوم والنواحي العمرانية وطرق المواصلات.

ومع أن الملك عبد العزيز قد ترك حرية النقاش لأعضاء المؤتمر في شتى الأمور الدينية، إلاّ أنه ألزمهم بعدم الخوض في السياسة الدولية، وبما بين بعض الشعوب الإسلامية وحكوماتها من خلاف، لأن ذلك من المصالح الموضوعية الخاصة بتلك الشعوب، وحتى يتجنب بذلك ما قد تثيره تلك المناقشات من عواقب وخيمة(٢).

وأما عن النظام الداخلي للعمل داخل المؤتمر، فإن الملك عبد العزيز رأى ضرورة تكوين لجنة، اختار لها بعض المندوبين، وعين على رأسها الشيخ رشيد رضا(٣).

وتم وضع لائحة وبرنامج النظام الداخلي للمؤتمر من مجموعة من المواد، وكان أخطرها المادة ١٩، ونصت على أن قرارات المؤتمر النهائية ترفع إلى الملك عبد العزيز لينفذ منها ما يراه صالحاً للتنفيذ، كما قررت اللائحة الداخلية أن ينتخب المؤتمر لجنة لمتابعة تنفيذ الأمور الخاصة بجماعة المسلمين في جميع الأقطار(٤).

كذلك حددت اللجنة برئاسة رشيد رضا المسائل التي سيبحثها المؤتمر، والتي كان من ضمنها إقرار استقلال الحجاز التام تحت حكومة مقيدة بالشرع والشورى الشرعية، وبحث الوسائل الكفيلة بنهضة الحجاز العمرانية وتوفير وسائل المواصلات والصحة العامة، واتخاذ الوسائل

---

(٢) Toynbee, A. J. : Survey, 1925, P. 313.

(٣) رشيد رضا هو صاحب مجلة المنار الشهيرة، وقد اشتغل بالعلوم الدينية وعمل من أجل الإصلاح الديني والاجتماعي وأصبح من أكبر مؤيدي الملك عبد العزيز والمدافعين عنه.

(٤) أم القرى: ٣٠ ذي القعدة ١٣٤٤ هـ (١١ يونيو ١٩١٦)م.

الكفيلة لإحياء علوم الإسلام، ووضع نظام لتعارف المسلمين وتآلفهم في حرم الله[٥].

وهذا البرنامج يكاد يكون المحتوى الذي تضمنته كلمة الافتتاح التي سبقت الإشارة إليها.

وقد توصل المؤتمر إلى وضع النظام الأساسي الخاص به[٦]. وقد اعتبر هذا النظام الأساسي نافذاً على من أقروه، وموقوفاً لمن لم يستطع المصادقة عليه من الوفود التي وصلت متأخرة[٧].

وكانت أهم المسائل التي ناقشها المؤتمر، مسألة حصر أوقاف الحرمين الشريفين في العالم الإسلامي. وانتهى المؤتمر في هذه المسألة إلى تشكيل لجنة مهمتها دراسة حالة هذه الأوقاف في العالم الإسلامي، على أن تقدم اللجنة تقريراً بنتيجة أعمالها للمؤتمر المقبل[٨].

وقد أثار أمين الحسيني رئيس وفد فلسطين مسألة ضرورة استرداد خط سكة حديد الحجاز التي تعتبر وقفاً إسلامياً، لأنه أنشىء بأموال المسلمين لتسهيل أمور الحج وتوفير المواصلات بين الحرمين الشريفين وكثير من الأقطار الإسلامية[٩]. وطالب المؤتمر حكومة الحجاز واللجنة التنفيذية بمتابعة هذه المسألة، والتدخل لدى الحكومة الفرنسية والحكومة البريطانية

---

(٥) أم القرى: المرجع السابق.

(٦) ذكرت بنود هذا النظام تفصيلياً: جريدة أم القرى: ٤ ذي الحجة ١٣٤٤ (٥ يونيو ١٩٢٦)

(٧) طالب كل من الوفد المصري والأفغاني والتركي واليماني بتأجيل المصادقة على النظام الأساسي للعام التالي حتى يتمكنوا من عرضه على حكوماتهم لإبداء الرأي فيه، خاصة وأنهم قد وصلوا متأخرين عن باقي الوفود، فلم يشاركوا في مناقشة بنوده. أم القرى: ٢٨ ذي الحجة ١٣٤٤ (٩ يوليو ١٩٢٦).

(٨) أم القرى: ٧ ذي الحجة ١٣٤٤ (١٨ يونيه ١٩٢٦).

(٩) المرجع السابق.

للتخلي عن إدارة هذه السكة لمجلس إسلامي، وذلك وفق قرار لوزان في سنة ١٩٢٣[١٠].

كما ناقش المؤتمر ضرورة مد سكك حديدية تربط بين كل من مكة وحدة والمدينة المنورة تسهيلاً للمواصلات بالنسبة للحجاج.

وقد وافق الملك عبد العزيز على الاقتراح السالف، بشرط ألا يمس ذلك استقلال البلاد، وألاّ يؤدي إلى تدخل أجنبي في الحجاز. وكذلك رأى تنفيذ هذا المشروع عن طريق التبرعات، وليس عن طريق أي شركات أجنبية ولو حتى كانت شركة من بلد إسلامية كما كان مقترحاً، لأن ذلك قد يعني نفوذاً أو سيطرة. فإن جمعت التبرعات اللازمة لإقامة الخط الحديدي المذكور، تتولى حكومة الحجاز تنفيذه بدون إبطاء[١١].

وبرز بين المؤتمرين اتجاه لجمع التبرعات في جميع أنحاء العالم الإسلامي لصيانة الأماكن المقدسة، على أن تخصم هذه التبرعات من رسوم الحج التي كان يؤديها الحجاج. وقد رأى الملك عبد العزيز استحالة التنفيذ العملي لتلك الفكرة، ولكنه وافق عليها تحت شرط ألا تمس الرسوم حتى تتم عملية جمع التبرعات[١٢].

---

(١٠) أنشئت سكة حديد الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد العثماني، تسهيلاً لحجاج بيت الله الحرام، وتأميناً لسلطة الخليفة على الحرمين الشريفين. ولتكاليفه الباهظة، فقد شكلت لجنة عامة لجمع الإعانات والتبرعات من جميع أنحاء العالم الإسلامي لتحقيق ذلك الهدف. غير أن وقوع سوريا تحت الانتداب الفرنسي، ووقوع فلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب البريطاني أدى إلى سيطرة كل من فرنسا وبريطانيا على ذلك الخط في تلك المناطق. وبالرغم من القرار الصادر في لوزان في ٢٧ يناير ١٩٢٣ والقاضي بتشكيل مجلس إسلامي يقوم بإدارة هذا الخط ويكون مركزه المدينة المنورة، فإن بريطانيا وفرنسا لم تنفذ ذلك القرار. أنظر المنار: مجلد ٢٥، جـ ٣، ص ٢٠٠ - ٢٠٥، أم القرى: ٧ ذي الحجة ١٣٤٤ (١٨ يونيو ١٩٢٦).

(١١) أم القرى: ٦ محرم ١٣٤٥ (١٦ يوليو ١٩٢٦).

(١٢) بنوا ميشان: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

ونظر المؤتمر أيضاً في مسألة الحالة الصحية بالحجاز، وهذه المسألة بالذات أثارت الكثير من الجدل، حيث ظهرت مجموعة من الاتجاهات المتعارضة لإيجاد الحلول السليمة والسريعة لها. من ذلك أن أعضاء بعض الوفود - وبالذات الهندية - كانت تطالب أن تقوم الحكومة الحجازية بمفردها بتوفير الرعاية الصحية الكاملة للحجاج جميعاً. وبعض الوفود الأخرى كانت ترى أن ترسل كل دولة بعثاتها الطبية مع حجاجها، والبعض الثالث طالب بمشاركة العالم الإسلامي ببعثة دائمة للعناية بالصحة في الأراضي المقدسة خلال موسم الحج. ولكن تقرر في النهاية أن تشكل حكومة الحجاز لجنة طبية فنية تتولى دراسة الحالة الصحية وتقديم تقرير إلى الحكومة الحجازية(١٣).

كما قرر المؤتمر أيضاً عدم إعطاء أية امتيازات اقتصادية في الحجاز لغير المسلمين ضماناً لحريته واستقلاله التام(١٤).

وبحث المؤتمر في جلسته الأخيرة مسألة العقبة ومعان، اللتين كانتا من أراضي الحجاز، وتنازل عنهما الشريف علي بن الحسين لأخيه الشريف عبد الله أمير منطقة شرق الأردن، وهو إجراء لا يجوز شرعاً، خاصة وأن منطقة شرق الأردن واقعة تحت سلطة أجنبية بموجب الانتداب البريطاني. لذلك احتج المؤتمر وطالب ولي الأمر في الحجاز بالعمل على استعادة هذه

---

(١٣) كان يوسف ياسين وحافظ وهبه من أعضاء الوفد النجدي الذين تصدوا لمقترحات الوفد الهندي مظهرين أنه لا بد لجميع المسلمين في العالم المساهمة مادياً في تلك الرعاية الصحية لحجاجهم، لأن ميزانية الحجاز محدودة ولا تكفي لتنفيذ جميع المشاريع الخاصة بالرعاية الصحية لحجاج بين الله الحرام، أم القرى: ٧ ذي الحجة ١٣٤٤ (١٨ يونيو ١٩٢٦).

(١٤) أم القرى: ٢١ ذي الحجة ١٣٤٤ (٢ يوليو ١٩٢٦).

Toynbee, A.: Survey, 1925,p.314.

المنطقة مؤيداً من قبل العالم الإسلامي كله[١٥].

واختتم المؤتمر الإسلامي جلساته الثاني عشرة، والتي استمر انعقادها ثلاثين يوماً، في ٧ يوليو ١٩٢٦ (٢٦ ذي الحجة ١٣٤٤ هـ) بمجموعة من القرارات، كان نصيبها الإهمال من العالم الإسلامي، حيث لم يدخل منها في حيز التنفيذ إلاّ القليل. وكان كل ما نفذ هو الذي أوكلت مهام تنفيذه إلى الحكومة الحجازية، وكانت هذه قد قامت بتنفيذه من أجل الحفاظ على أمنها واستقرارها وسمعتها في العالم الإسلامي، مثل توفير الأمن والعمل على راحة الحجاج بتوفير الوسائل الصحية والمواصلات في حدود إمكانيات الدولة في ذلك الوقت.

ولعل من الأسباب المباشرة والمادية في إهمال العالم الإسلامي قرارات المؤتمر هو عدم التجانس بين أعضاء المؤتمر، فقد خاضت الوفود مناقشاتها انطلاقاً من تباين أوضاعها الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية مما أدى إلى اختلاف عميق في وجهات نظرها. يضاف إلى ذلك أن معظم المؤتمرين الذين حضروا المؤتمر كانوا سياسيين أكثر منهم رجال دين[١٦].

نتائج المؤتمر:

لقد كان للمؤتمر نتائج إيجابية قليلة، على حين أن معظم نتائجه كانت سلبية، مما جعل الكثير من المؤرخين والمعاصرين يقولون إن المؤتمر انتهى بالفشل أكثر منه بالنجاح. وسنعرض فيما يلي لنتائج المؤتمر:

أ- نجح الملك عبد العزيز في تحقيق هدف جوهري من انعقاد هذا

---

(١٥) أم القرى: ١٣ محرم ١٣٤٥ (٢٣ يوليو ١٩٢٦)، وقد أبدى كل من الوفد المصري والأفغاني والتركي عدم رغبته في مناقشة هده المسألة لأنها خارجة عن اختصاص المؤتمر.

(١٦) رئاسة الجمهورية: قصر القبة: ملف رقم ١٤٧٧ (مؤتمر مكة الإسلامى ١٣٤٤ - ١٩٢٦).

المؤتمر، ألا وهو اعتراف العالم الإسلامي من خلال وفوده بالأمر الواقع في الحجاز وتأكيد البيعة التي تمت على يد أهله، بحيث بدا فعلاً أن هناك اتفاقاً على ما تم اتخاذه في الحجاز دون ما اعتراض من أحد. وهكذا تم الاعتراف من جانب العالم الإسلامي بعبد العزيز ملكاً على الحجاز، ولا يهم إن كان هذا الاعتراف عن اقتناع أو عن رضى بالأمر الواقع(١٧). وقد اتضح هذا الاعتراف في خطب أعضاء الوفود التي تضمنت عبارات الإجلال والشكر للملك عبد العزيز(١٨).

ب- أتاحت إثارة مسألة التسامح الديني وحرية المذاهب الفرصة أمام النجديين لإزالة الغموض والشكوك التي كانت متعلقة بهم في أذهان العالم الإسلامي. ونجح النجديون بذلك في إظهار الصورة الحقيقية للدعوة السلفية بأنها فقط الرجوع لأصول الدين الإسلامي والسنة والتشدد لها. وبذلك كان المؤتمر وسيلة لإزالة المخاوف التي كانت تساور نفوس المسلمين إزاء الأماكن المقدسة وقبور الصحابة، بالرغم من تشدد الوفد النجدي في استحالة الرجوع إلى البدع وكل ما هو بعيد عن الأصول الحقيقية للإسلام.

جـ- كان انعقاد المؤتمر لبحث مشاكل الحجاز والنهوض به عمرانياً وصحياً فرصة لتوحيد كلمة المسلمين نحو معنى جديد، وإن كان هذا المعنى روحانياً، إلاّ أن الأهمية تأتي في اجتماع تلك الكلمة بعد طول فرقة في شمل المسلمين.

وبرغم النتائج الإيجابية التي انتهى إليها المؤتمر، إلاّ أنه مما لا شك فيه، فقد كانت له مواقف سلبية رأينا أن نلخصها فيما يلي حتى يستطيع القارىء

---

(١٧) Lencezowski, G. : op. cit., P. 54.

(١٨) أم القرى: ١٩ ذي الحجة ١٣٤٤ (٢٩ يونيو ١٩٢٦). وأم القرى: ٢١ ذي الحجة ١٣٤٤ (أول يوليو ١٩٢٦).

أن يلم بكل ما أحاط المؤتمر من إيجابيات وسلبيات.

أ- كان من المنتظر لهذا المؤتمر أن يكون منطلقاً لمجلس تمثيلي إسلامي لبحث الأمور الدينية التي تهم ملايين المسلمين في جو من التعاطف والأخوة، ولكن المنازعات التي تخبطت فيها الوفود- وبعضها كان حول أوضاع شكلية وإجرائية لا قيمة لها- نتيجة لنزعاتهم الشخصية وإرضاء لمطامعهم، كشفت عن مدى انقسام العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وأدت إلى اختتام المؤتمر دون الوصول إلى نتائج جوهرية تهم المسلمين ككل.

ب- لم يهتم المؤتمرون بالنظر في السبل الكفيلة بتطوير الحجاز وتحقيق الأمن لأهله، بل انصب اهتمامهم فقط على تأمين الحج وتهيئة وسائله لا راحة الحجاج من شعوبهم، فكان اتجاههم بالتالي يشوبه الكثير من الأنانية.

جـ- اختلفت وجهات نظر المؤتمرين في كيفية إصلاح العالم الإسلامي، فبينما رأى النجديون أن التمسك بأركان التوحيد هي الوسيلة الرئيسية لإصلاح حال العالم الإسلامي الذي غرق في البدع والخرافات، رأى أعضاء وبقية الوفود الأخرى- وأغلبهم رجال سياسة- أن الإصلاح يتم فقط عن طريق تأليف القلوب وجمع الكلمة، ولن يتأتى هذا إلاّ عن طريق التسامح الديني، ولذلك كان البون شاسعاً بين وجهتي النظر[١٩].

د- وكما كان الاختلاف كبيراً في المسائل الدينية، كان التباين أيضاً واضحاً في المسائل السياسية. فمندوبو الحكومات المستقلة كانوا يميلون إلى التحفظ ويفضلون عدم طرق المشاكل الدولية. أما مندوبو الشعوب غير المستقلة، فكانوا يتميزون بالاندفاع والرغبة في إثارة مسائل سياسة دولية وعربية[٢٠]، فلم يرض الملك عبد العزيز عن إثارة مثل هذه المشاكل التي

(١٩) رئاسة الجمهورية- قصر القبة: ملف رقم ١٤٧٧ (مؤتمر مكة الإسلامي ١٣٤٤ - ١٩٢٦).
(٢٠) المرجع السابق.

تخرج أساساً عن جدول أعمال المؤتمر، وتسبب الحرج لحكومة الملك عبد العزيز وبعض الوفود الأخرى بشكل أو بآخر[٢١].

هـ- إن الحدود الحقيقية للصلاحيات المعطاة لأعضاء الوفود من قبل حكوماتهم، لم تسمح لهم بحرية الحركة تجاه الاقتراحات والقرارات مما عرقل أعمال المؤتمر. هذا إلى جانب أن أكثرية الوفود كانت تمثل منظمات دينية غير رسمية، مثل وفد مسلمي الإتحاد السوفيتي ووفود جمعيات الهند الإسلامية[٢٢]. كما أن هناك بعض الوفود الشعبية التي جاءت من بعض البلدان الإسلامية الأخرى التي لم تسمح لها ظروفها بإرسال وفود رسمية عنها، وهذه الوفود الشعبية لم يكن في طاقتها التنفيذية أن تفعل شيئاً كما هو الحال مع الحكومات.

إذن جاءت نتائج المؤتمر سلبية أكثر منها إيجابية، في الوقت الذي أمل فيه الملك عبد العزيز من وراء دعوته لعقد المؤتمر إيجاد الوسيلة الكفيلة بتوثيق الروابط والأخوة بين مختلف المسلمين والاستعانة بأموال وخيرات العالم الإسلامي للنهوض بالحجاز. ومن المنطقي أنه ليس بالعسير توثيق العلاقات بين الدول والشعوب الذين تجمعهم رابطة الدين والأخوة في الإسلام، بالإضافة إلى روابط اللغة والجنس والجوار التي تجمع عدداً كبيراً منهم. وكان من المفترض أن يكون هذا المؤتمر منطلقاً لمجلس تمثيلي إسلامي لبحث الشئون الدينية التي تهم مئات الملايين من المسلمين إلاّ أن جلسات المؤتمر ونتائجه خيبت الآمال المعقودة عليه، وكشفت عن مدى انقسام العالم الإسلامي وعدم تجانسه. وقد تجسد هذا الانقسام في محاولة المؤتمرين كل على

---

(٢١) حافظ وهبه: جزيرة العرب، ص ٢٧٧ - ٢٨٠،

P. 314. Toynbee, A. : Survey, 1925,

(٢٢) Ibid, P. 311.

حدة إرضاء مطامعهم الشخصية[٢٣].

ولم يكن فشل المؤتمر مفاجأة للملك عبد العزيز، فقد كان يتوقعه، خاصة بعد أن مضى على انعقاده العديد من الجلسات دون الوصول إلى نتائج إيجابية. ويتضح ذلك في بيانه الذي وجهه إلى المؤتمر، والذي قال فيه[٢٤]:

«لقد كنت أنتظر من حضراتكم كما ينتظر إخوانكم المسلمون في كل مكان أن تخطوا خطوات واسعة في هذا السبيل، ولكن يظهر أننا نحاول القيام بكل شيء في أول مؤتمر إسلامي، وأخشى إن حرصنا على القيام بكل شيء يجعلنا نفقد كل شيء. وأفضل شيء التدرج في السير، فرب عجلة وهبت ريثاً...».

وقد أكد ابن سعود في بيانه هذا خططه السياسية تجاه الحجاز في النقاط التالية:

١ - إنه لا يقبل أي تدخل أجنبي في الحجاز أياً كان نوعه.

٢ - إنه لا يقبل امتيازاً لأحد دون أحد، بل يجب أن يخضع جميع الوافدين للشريعة الإسلامية.

٣ - إن بلاد الحجاز يجب أن يوضع لها نظام حيادي خاص، فلا تحارب ولا تحارَب، ويجب أن تضمن جميع الحكومات المستقلة هذا الحياد.

٤ - النظر في مسائل الصدقات والهبات التي ترد من سائر الأقطار الإسلامية ووجوه صرفها وانتفاع البلاد المقدسة منها.

---

(٢٣) المنار: مجلد ٢٧، جـ ٤، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢٤) أم القرى: ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٤ (٦ يوليو ١٩٢٦).

ولقد ضاعف من فشل هذا المؤتمر عدم تصديق ممثلي الدول الإسلامية المستقلة على النظام الأساسي للمؤتمر، مكتفين باعتبار قرارات المؤتمر مجرد لائحة (مشروعاً) وقتية حتى يتم إقراره من قبل حكوماتهم المركزية التي لم ترسل بعد ذلك أي بيان للتعبير عن موقفها.

أما ممثلو الدول الإسلامية التي صادقت على النظام الأساسي للمؤتمر وقررت العمل بموجبه والتقيد بمواده، فلم ترسل الأعضاء الستة الذين كان من المفروض أن تتكون منهم اللجنة التنفيذية صاحبة الاختصاص في تقرير موعد الاجتماع التالي ولذلك تعذر تحديد موعد للاجتماع[٢٥].

كما أن اللجنة المؤقتة قد انحلت من تلقاء نفسها بعد مضي الثلاثة أشهر المحددة لها، وكان هذا إيذاناً بعدم عقد هذا المؤتمر مرة أخرى كما كان مرسوماً له[٢٦].

وهكذا نرى أنه رغم السلبيات الكثيرة للمؤتمر، إلاّ أن الجوانب

---

(٢٥) المقطم: ٧ يونيو ١٩٢٧.

(٢٦) في سنة ١٩٣١ عقد بالقدس مؤتمر أطلق عليه اسم المؤتمر الإسلامي، وقد دعا إليه أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالقدس. وقد بعد هذا المؤتمر بأهدافه عن الحجاز وشئون المسلمين، وتركزت أهدافه في شرح القضية الفلسطينية للعالم الإسلامي والعربي، وتوضيح المطامع الاستعمارية والصهيونية في فلسطين التي تدعمها الحكومة البريطانية على طول الخط. وقد رفض الملك عبد العزيز عقده في مكة، كما اعتذر عن إرسال مندوبين عنه. أما في مصر فقد أثارت الدعوة لهذا المؤتمر ضجة كبرى، سواء في الأوساط الحكومية الرسمية أو في الأزهر الشريف. وكان ذلك نتيجة للشائعات التي صاحبت هذه الدعوة والتي أشار بعضها إلى أن المؤتمر سيناقش مسألة الخلافة، والبعض الآخر أشار إلى أن القصد من وراء هذا المؤتمر هو الاستعانة به على إنشاء مدرسة إسلامية جامعة في فلسطين لتكون معارضة للجامعة الأزهرية بالقاهرة ومضاده لها. ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى: المنار: مجلد ٣٢، جـ ٢، ص ١١٣ - ١٣٣، جـ ٤، ص ٢٨٤ - ٢٩٢، مجلة الأزهر: مجلد ٢، جـ ٦، ص ٤٦٤، خير الدين الزركلي: شبه جزيرة العرب، جـ ٣، ص ٧٤.

الإيجابية له أتت كلها في صالح الملك عبد العزيز، مثل الاعتراف بالحكم الحجازي، والقضاء على المخاوف والشكوك التي كانت تساور نفوس المسلمين إزاء وضع الحرمين وإزاء الدعوة السلفية.

ولقد ساعد الملك عبد العزيز في هذا انعقاد المؤتمر في وقت الحج، ونجاح العاهل السعودي في توطيد الأمن في ربوع الحجاز، بالإضافة إلى تقييده لرسوم الحج حتى لا يغالى فيها(٢٧)، مما كان له الأثر الكبير في نفوس وفود الحجاج، وبالتالي في نفوس المؤتمرين، وأعطى الإيحاء الكامل في قدرة الملك عبد العزيز على السيطرة على الموقف. وهكذا استفاد الملك عبد العزيز من عقد المؤتمر للتقريب بينه وبين الرأي العام الإسلامي.

وبعد أن انتهى الملك عبد العزيز من أعمال المؤتمر الإسلامي بايجابياته وسلبياته بدأ ينظر إلى تنظيم الدولة وأجهزتها. فقد رأى بثاقب نظره أن يوطد أركان ملكه على غرار لم يسبقه إليه أمراء جزيرة العرب من قبل، فبدأ باستئصال الفوضى كأساس لا بد منه، فعمل على أن يضع حداً للقتال بين القبائل، وإليه يرجع الحكم بين المتنازعين بصفته أميراً للبلاد وعليه وحده تقع عبء حماية الممتلكات وصيانة الحقوق العامة إلى غير ذلك من مقومات الدول الحديثة.

ولما كان الملك عبد العزيز قبل أن يحرر الحجاز، هو وحده كل شيء في نظامه السياسي الذي أقامه في نجد، ذلك أن نواة الدولة التي أنشأها أولاً في نجد لم تكن قد بلغت من التطور ما كان يرجوه. فلما أصبح ملكاً على الحجاز، واجه حاجات مجتمع أكثر تطوراً فبدأ يفكر في إقامة جهاز أولي للدولة ويستعين على إقامة هذا الجهاز بمن وفد على الدولة من بقية البلاد

---

(٢٧) Tonybee, Survey, 1925, P. 319.
The Times, 11 th march, 1929; The Time, 2 st july, 1926.

العربية، وكان بينهم نخبة ممتازة من طلائع الحركات الوطنية الاستقلالية في بلادهم، فاستعان بهم كوزراء ومستشارين.

وبعد مبايعة عبد العزيز ملكاً على الحجاز انقطع سنتين متواليتين لشئون الحجاز أعطاها فيها عناية فائقة حرصاً منه على تقدمها وإحساسه بأهميتها، مما أعانه على إقامة أول عمل وحدوي لم ينفصم في تاريخ العرب الحديث، وسهل أمامه فيما بعد، عندما أخذت بقية مناطق الدولة الناشئة بأسباب التطور الحديث، أن يوحد جهاز الدولة وأنظمتها، بعد أن حقق وحدتها السياسية.

ولم يكتف الملك عبد العزيز بإرساء قواعد الدولة في الداخل فحسب بل عمل جاهداً كذلك على أن يجنب الحجاز كل ما يمس سيادته أو ينتقص من استقلاله، كما اعتمد على استقلال الجزء الجديد من مملكته لينتزع الاعتراف بالاستقلال التام والسيادة المطلقة وغير المقيدة بأي قيد من القيود لباقي أجزاء البلد الأم في المملكة، فأكره بريطانيا على الاعتراف بذلك ووقع معها معاهدة تلغي معاهدة الحماية القديمة، وبموجب المادة الأولى من هذه المعاهدة التي وقعت سنة ١٣٤٥ هـ - سنة ١٩٢٦ م أصبح «يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لمالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها».

أعمال الملك عبد العزيز الاجتماعية والاقتصادية

وإذا كنا قد تحدثنا في شيء من الإسهاب عن أعمال عبد العزيز السياسية والحربية، فلا بد لنا أن نذكر، ولو في شيء من الإيجاز أعماله الاجتماعية والعمرانية حتى تكتمل صورة الأعمال التي قام بها خارج وداخل المملكة.

لقد نشأ وترعرع عبد العزيز في أعقاب نكبة قضت على الدولة السعودية ومزقتها واقتلعت القيم الحضارية التي حاولت ان تبعثها، وأعادت المجتمع إلى جاهليته الأولى ممزقاً بدوياً يعيش على الرعي والارتحال، كما يعيش على الغزو والسلب والنهب. فلما شب عن الطوق وبلغ الحادية والعشرين من عمره وقام بأعماله البطولية الخارقة بالاستيلاء على الرياض ثم تحرير نجد كلها ثم ضم مقاطعة القصيم إليها بعد إكراه القوة العثمانية على الجلاء عنها وذلك في فترة لا تتعدى عشر سنوات في ظل صراعات دولية كبيرة تستهدف كلها السيطرة على شبه الجزيرة العربية.

وفي خلال فترة حرب التحرير والتوحيد رأى عبد العزيز بثاقب فكره أن حياة البداوة غير المستقرة السائدة في نجد والقصيم هي كذلك من الأسباب الأساسية التي تعوق إنشاء الدولة المستقرة التي يريدها ويعمل لها ويفكر فيها. لذلك رأى أن المجتمع النجدي يجب أن يتحرر من طور الرعي والارتحال، ليدخل طور الزراعة والاستقرار، وأن يكون ارتباطه بالأرض بدلاً من الرحيل سعياً وراء الكلأ والمرعى، وأن يكون له مورد موسمي

ثابت من جهده في معالجة التربة وزراعتها واستنباتها، بدل أن يكون رزقه من جهد الغزوات وما يرافقها من دماء وتدمير وما يتم من سلب ونهب.

لذلك فقد فكر عبد العزيز في مشروع اجتماعي اقتصادي ولكنه رأى قبل أن يقدم على تنفيذه أن يستشير بشأنه والده كما يعرضه عليه وعلى المتقدمين في العمر من العائلة السعودية، كما بحثه مع بعض كبار العلماء من رجال الدين، ثم بدأ في تنفيذه[1] (١٣٢٨ هـ- ١٩١٠ م). وكان قوام هذا المشروع هو اختبار منطقة منعزلة مهجورة تسمى (الأرطاوية)[2]، تقع في أطراف مقاطعة القصيم على الطريق الممتدة من الكويت إلى بريدة. وقد كان يوجد في منطقة الأرطاوية عدد محدود من الآبار، ومن ثم فإن القبائل كانت تمر بها لرعي المواشي، كما تطرقها قوافل التجارة ويجتازها المسافرون للتزود منه بالمياه من تلك الآبار.

وتطبيقاً لمشروعه هذا بدأ عبد العزيز سنة (١٣٣٠ هـ- ١٩١٢ م) في توزيع أراضي منطقة الأرطاوية على فريق من أهل العشائر وفي مقدمتها (العرب ومطير)[3]. وهكذا نستطيع القول بأن المشروع هو في الواقع توطين البدو الرحل وتعليمهم الزراعة والعيش في بيوت مبنية تشكل كل مجموعة منها قرية زراعية، ثم متابعة كسب العيش عن طريق رعي الإبل والأغنام. وبالفعل انصرف الأعراب إلى بناء أول بلدة فيها واشترك معهم

---

(١) أحمد عسة: المرجع السابق ص ٦١.

(٢) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة جـ ١، ص ٥٩، وما بعدها.

صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ص ١٤٣.

(٣) حافظ وهبه: جزيرة العرب ص ٢٨٩.

خير الدين الزركلي: المرجع السابق ص ٢٦٤.

صلاح الدين المختار: المرجع السابق، ص ١٤٤.

عدد من الفلاحين من سكان مناطق البلاد الغربية الذين تولوا تدريب البدو على الأعمال الزراعية.

ولم يكتف الإمام بتوطين البدو في الأراضي الزراعية فحسب بل حدد نظاماً لتوزيع المياه، كما نظم لهم سجلاً للنفوس وزود كل فرد قادر منهم بالسلاح والعتاد على أن يلبوا نداءه عندما يدعوهم إلى الجهاد. وهكذا تأسست أول بلدة تجمع بين خليط من مختلف القبائل والفلاحين تربط بينهم روابط الدين والتوحيد والكتاب والشعور التام بالواجب نحو الدولة وتنفيذ أوامرها.

وقد شجع نجاح مشروع الأرطاوية، الإمام عبد العزيز على مواصلة العمل على توطين البدو في عدد من القرى التي عرفت باسم (الهجر)[٤]، وقد حرص عند اختياره لأماكن (الهجر) أن يقيم كل هجرة على بئر أو نبع ماء، لأنه بغير الماء لا تقوم زراعة. كما أمد كل قبيلة تركت البادية إلى (هجرة) بما يساعدها على بناء مسجد ويعينها على بناء بيوت من اللبن لتسكنها بدلاً من الخيام الشعر التي اعتادت سكناها، كما قدم لها كل ما استطاع من بذور النباتات الصالحة للزراعة والاستثمار، وفي أحيان كثيرة أعانها على تعلم الزراعة[٥].

وقد أثمرت هذه الامتيازات التي أعطيت وتمتع بها أهل (الهجر). هذا بالإضافة إلى الدعاية التي كان يقوم بها خطباء المساجد بناء عن تكليف الإمام لهم، لتشويق البدو على سكن الهجر، فكان إن سارعت كثير من

---

(٤) خير الدين الزركلي: المرجع السابق جـ ١، ص ٢٦٤ وما بعدها.
أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق ص ٢٠٠- ٢٠١.
(٥) نفس المرجع السابق ص ١٩٨ وما بعدها.
Philby, J. : op. cit, p. 62.

القبائل على سكن (الهجر) في مناطق مختلفة، فقد خصص الإمام عبد العزيز (الأرطاوية) لفيصل الدويش وعشيرته مطير[6]، وجعل (الغطغط) لعتيبة، و(دخنة) لحرب، و(فريثان) لبني غالب وبني هاجر وغيرهم من قبائل الجنوب. وخصص (لينه)[7] لعشائر شمر وغيرها من هذه الديار لغيرهم، وأغدقوا المساعدات المالية على الذين شرعوا في البناء، وهكذا أخذت القبائل تتسع ويزداد أفرادها مع الأيام.

وإذا كان مشروع توطين البدو قد كتب له النجاح والانتشار، إلاّ أننا يجب أن نشير هنا إلى بعض الصعاب والعقبات التي صادفت الإمام أثناء تنفيذ التجربة وكيف استطاع التغلب عليها. فقد حدث أن شعر بأنهم جند الله قبل أن يكونوا جند عبد العزيز، وكان هذا الشعور سبباً في إهمال السكان لواجباتهم في زراعة الأرض، فانصرفوا إلى الصلاة وانقطعوا للعبادة وسماع السيرة النبوية وحدها، تاركين مهمة العناية بالفلاحة والزراعة إلى النساء، على اعتبار أن الزراعة والتجارة والحرف الصناعية عملاً معيباً يتنافى وروح الفروسية وتقاليدها، مما جعل الكثير منهم لا يملك ثمن قوت يومه وأصبحوا عالة على الدولة[8].

وإزاء حالة التراخي والدعة والكسل التي وصل إليها الكثير من سكان (الهجر) لم يجد عبد العزيز أمامه غير علماء الدين الحنيف الذين كانوا يسمون (المطاوعة)[9] أو المرشدين الذين أصدروا الفتاوى اللازمة التي تحث

(٦) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، خير الدين الزركلي: المرجع السابق ص ٢٦٤ وما بعدها.

(٧) صلاح الدين المختار ص ١٤١.

(٨) حافظ وهبة: جزيرة العرب ص ٢٨٩ وما بعدها.

أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق ص ١٩٩.

(٩) أمين الريحاني: سيرة عبد العزيز، ص ٢٦٢، عبد الحميد الخطيب الإمام العادل، ص٧٩، خير الدين الزركلي: المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٦٠.

الناس على العمل ورفع مستوى معاشهم، مشيرين دائماً إلى أن الإسلام لا يعني الفقر وإنما العمل الشريف لحياة أفضل، وذكروهم بقول الرسول الكريم ﷺ: ان المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، فانطلقوا إلى زراعة الأرض والبعض إلى البناء والعمران وآخرين إلى البيع والشراء وانتقلوا بذلك من البداوة إلى الحضارة ومن الجهل إلى رحاب العلم ومن النهب والسلب إلى التجارة والكسب الحلال.

الإخوان(١٠)

على أن الإمام عبد العزيز رأى التجربة الرائدة التي أقدم عليها والتي دلت بشائرها الأولى على نجاحها، أنها لا يمكن أن تأتي بالغاية المنشودة منها إلاّ إذا عمل على إيجاد وحدة متينة ورابطة قوية بين القبائل المختلفة التي سادها الجهل وتغلبت عليها الفوضى. ورأى بثاقب فكره وبعد نظره أنه لا سبيل لبلوغ هذه الغاية في تكوين وحدة قومية، إلاّ عن طريق الشريعة السمحة وإقامة حدود الله، فعمل على نشر العمل والمعرفة وتعليم فرائض الدين وأحكام الشريعة، وذلك بتكليف الشيخ الورع التقي عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف تأليف الكتب اللازمة لذلك على أساس المذهب الحنبلي. وطلب منه أن يكون أسلوب هذه الكتب مناسباً لعقلية البدوي ومستواه العلمي، ثم أمر بتوزيعها على جميع القبائل وشرع يعلمهم بواسطة خطباء ومرشدين من تلامذة الشيخ عبد اللطيف، وبهذه الطريقة نمت وتغلغلت فيهم

---

(١٠) Philby, J: op. cit. pp. 260 – 262.
أمين الريحاني: ملوك العرب جـ ٢، ص ٨٠ وما بعدها.

العاطفة الدينية، وتألفت من هذه المجموعة الصالحة فرق الإخوان[11].

ويقول أمين الريحاني عن الإخوان: « هم الفئة المحاربة، الفئة المتعصبة المدينة جديداً في الوهابية. الإخوان هم جنود عبد العزيز بن سعود الذين كانوا بالأمس من العرب الرحل، من البدو الجاهلين فدينوا أي دانوا بدين التوحيد فصاروا مسلمين[12].

الجيش

واهتمام عبد العزيز بتوطين البدو في (الهجر) وتعليمهم الفلاحة والزراعة والصناعات الحرفية وتزويدهم بالإخوان الذين يرشدونهم إلى الدين الإسلامي الحنيف لم يكن يعني بحال من الأحوال إضعاف الروح العسكرية وروح القتال في ذلك المجتمع الجديد، بل كان يريد أن يقيد الروح العسكرية بالقيود التي فرضتها الشريعة الإسلامية لتحولها إلى قوة منظمة تكون عوناً لإقامة الدولة العربية الإسلامية الجديدة. لذلك فقد أمر عبد العزيز بإقامة نظام عسكري خاص يتفق وطبيعة (الهجر) قسمت بموجبه كل (هجرة) إلى ثلاث فئات فيما يلي بيانها[13].

١ - الفئة الأولى هي التي يجب على أفرادها أن يكونوا دائماً مستعدين

---

(١١) Philby, J: The Triumph of the wahhabis; Journal of Central Asian Seciety oct, 1926, Vol. XIII, pt. IV, pp 299 - 301.

صلاح الدين المختار: المرجع السابق ص ١٤٦.

(١٢) ملوك العرب، جـ ٢ ص ٨١.

(١٣) أمين الريحاني: نجد الحديث وملحقاته ص ٢٦٤.

أحمد عسة: المرجع السابق ص ٦٥.

لتلبية أمر الجهاد متى أصدره الإمام. ومن ثم فإن كل فرد من أفرادها يجب أن يكون مسلحاً وعنده ناقة يمتطيها بالإضافة إلى الذخيرة التي تلزمه.

٢ - الفئة الثانية وهي التي يجب على أفرادها تلبية نداء الإمام عندما يعلن أن الجهاد (مثنى) ويكون كل فرد منها مكلفاً بإحضار مجاهد آخر من رفاقه يردفه خلف جمله.

٣ - الفئة الثالثة يكون كل فرد من أفرادها على استعداد لتلبية دعوة الجهاد عندما يعلن العلماء هذه المرة بناء على اقتراح الإمام النفير العام للدفاع عن الوطن، فيشترك فيها كل الذكور البالغين، بينما يبقى العمل في الأرض والتجارة على عاتق المسنين من الرجال والأولاد والنسوة.

وهكذا كتب لمشروع عبد العزيز الرائد في توطين البدو كل نجاح. فقد بلغ عدد (الهجر) في حياته ما ينوف عن مائة واثنتين وعشرين (هجرة)[١٤] وكانت كل (هجرة) منها لفخذ من قبيلة وكان سكان هذه (الهجر) يدعون (الإخوان) كما سبق القول، الذين كانوا يميزون أنفسهم بلبس عصابة بيضاء يلفونها على رؤوسهم بدل العقال التقليدي. وإذا كان عدد القبائل التي توطنت في عهد الملك عبد العزيز قد بلغ عددها أكثر من اثنتي عشرة قبيلة، فإن بعضها كان ينقسم إلى أكثر من خمسة عشر فخذاً، وكان الفخذ يضم بين ثلاثة وخمسة الآف نسمة وبلغ عدد المجاهدين منهم (٧٦,٥٠٠)

---

(١٤) أم القرى: ٦ رجب ١٣٤٧، أحمد عسة المرجع السابق ص ٥.
خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة جـ ١ ص ٢٦٤.
ويشير خير الدين الزركلي إلى أن عدد هذه الهجر وصل إلى ١٥٢ هجرة في عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠)م.

مجاهد[١٥]، هم نواة الجند المقاتل الذي اعتمد عليه فيما بعد لإقامة المملكة العربية السعودية.

الحجاز

لعل من أكبر المشاكل الاجتماعية التي واجهت عبد العزيز بعد أن ضم الحجاز وأصبح ملكاً على الحجاز وسلطاناً لنجد وملحقاته، هي مشكلة توطين القبائل البدوية الحجازية التي كانت مطبوعة على السلب والنهب والغزو وإعادة الأمن والطمأنينة إلى ربوع الحجاز. إلاّ أن الملك عبد العزيز لم يواجه بالنسبة لتوطين بدو الحجاز ما لاقاه بالنسبة لبدو نجد وملحقاتها، ذلك أن سمعته التي سبقته إلى الحجاز كبطل لا يقهر وإمام في تطبيق حدود الشريعة الإسلامية لا يرحم، وكمعطاء للمحتاجين لا يخشى الفقر، وكمؤسس (للهجر) في بوادي نجد كل ذلك أعانه وساعده على إنجاز عمله في الحجاز في يسر ودون ضجيج يذكر.

لقد كانت القبائل البدوية في الحجاز لا تسمح لأحد يمر بها أو يقترب منها ما لم يدفع (الخوة)[١٦] التي كانت تكون جزءاً كبيراً من موارد الغزو عندهم. وقد استمرت هذه الحال بالنسبة لبدو الحجاز حتى بعد سيطرة الدولة العثمانية التي عجزت عن إبطال دفع (الخوة) فأقرتها، كما أقرها كذلك الحاكم الهاشمي في الحجاز.

---

(١٥) أحمد عسة: المرجع السابق ص ٦٥.
(١٦) أحمد عسة: المرجع السابق ص ١٠٦.

فلما أصبح عبد العزيز ملكاً على الحجاز والمسئول عنه وعن حواضره وبواديه اعتبر أن من أول واجباته أن يوفر الأمن والسلامة والطمأنينة لأهل الحجاز. وللوافدين عليه. لذلك دعا إليه شيوخ القبائل الحجازية فاستقبلهم هاشاً باشاً وأكرم وفادتهم ثم قال لهم إنه يعرف كما يعرفون حمى كل عشيرة في البادية ومداه، وإن شيخ كل عشيرة سيصبح بعد اليوم مسئولاً عن كل ما يقع في مدى عشيرته مما يخل بالأمن أو النظام، فإن سيطر عليها وقمعها فبها ونعمت وإلا وجب على شيخ العشيرة المجاورة له أن يتصدى لحفظ النظام والأمن، فإن أبطأ أو عجز، تدخل جيش الملك ليفرض النظام ويوطد الأمن.

وأعقب ذاك كتاب منشور وزع على شيوخ القبائل جاء فيه بيان كل المحظورات وكذلك بيان ما يقع على المخالفين من عقوبات، فمثلاً حظر الغزو وحرمه، وحظر فرض (الخوة) أو أخذها، ومنع فرض الضرائب إلاّ من قبل الدولة كما جعل الدولة هي المسئولة الوحيدة عن عقاب المذنب. كما نظم الرسوم التي يدفعها الحجاج.

ولكي يمتص وقت الفراغ عند بدو الحجاز، فقد شجع الملك عبد العزيز على إقامة (الهجر) للعشائر الحجازية وأمر بأن تعلم الزراعة والفلاحة على غرار ما اتبع مع بدو نجد، حتى تستقر بدلاً من الرعي والارتحال. كما حظر على العشائر أن تقيم مضاربها على الطرق العامة، حتى يبقى المسافرون أكثر شعوراً بالأمن والاطمئنان على أنفسهم وأموالهم.

وقد نفذت أوامر ومحظورات الملك عبد العزيز بدقة بالغة حتى قيل إنه لم يحتج لإقامة مخافر إضافية للجند أو لرجال الأمن في الحجاز بل إنه لم يستخدم حتى المخافر القديمة التي أقيمت زمن العثمانيين.

وعلى الجملة فقد يكون لأول مرة في تاريخ الحجاز أن ينتفي وقوع الجريمة فقد أصبح الحفاظ على الأمن والنظام من أهم أهداف عبد العزيز الأساسية في سياسته الداخلية.



مصادر الكتاب

أولاً: وثائق غير منشورة

ثانياً: الدوريات العربية والأجنبية

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة

رابعاً: المصادر الأجنبية.



أولاً- وثائق غير منشورة

١ - الوثائق العربية غير المنشورة:

أ- رئاسة مجلس الوزراء المصري:

- تقرير أعمال إمارة الحج الشريف (١٣٤٢- ١٩٢٤).

ب- رئاسة الجمهورية المصرية- قصر القبة:

- ملف رقم ١٤٧٧ (مؤتمر مكة الإسلامي ١٣٤٤- ١٩٢٦).

- ملف رقم ١٤٨٠ ط (العلاقات بين الحكومة المصرية وحكومة الحجاز).

٢ - الوثائق الأجنبية غير المنشورة:

أ- وثائق وزارة الخارجية البريطانية — Foreign office

F.o 371/2769.

F.o 371/2781.

F.o 371/5144.

ب- وثائق وزارة الهند — Indian Office, Political and Secret Library.

L/P × S/10/2128.

L/P × S/12/612.

L/P × S/12/ 2092

ثانياً - الدوريات العربية والأجنبية

١ - الدوريات العربية:

مجلة الجمعية الخيرية المصرية.
كلية البنات، جامعة عين شمس.
المنار.
مؤتمر الخلافة.
صحيفة أم القرى.
الأهرام
البلاغ
المقطم.

٢ - الدوريات الأجنبية

Journal of Central Asian Society
Current History (New York)
The Near East and India (London)
Muslim World (U.S.A)
The Times (London).

ثالثاً- المصادر العربية والمعربة

١- أحمد السباعي:
تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع، القاهرة، ١٣٧٢ هـ- ١٩٥٢ م.

٢- أحمد أمين:
زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، ١٣٦٧- ١٩٤٨ م.

٣- أحمد زين دحلان:
خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥ هـ- ١٨٨٨ م.

٤- أحمد عبد الغفور عطار:
صقر الجزيرة، ثلاثة أجزاء، جدة، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤ م.

٥- أحمد عزت عبد الكريم:
- دراسات في النهضة العربية الحديثة، القاهرة، دون تاريخ.
- تاريخ العالم العربي (مع آخرين)، القاهرة، ١٣٨٣- ١٩٦٣ م.
- مقدمة الاستعمار في الخليج الفارسي، القاهرة، ١٩٥٦.

٦- أحمد عسة:
معجزة فوق الرمال الطبعة الثانية. بيروت ١٩٦٦ م.

٧- أحمد علي:
آل سعود، مكة، ١٩٥٧.

٨- أحمد فخري (دكتور):
اليمن. ماضيها وحاضرها، القاهرة، سنة ١٩٥٧ م.

٩- أحمد قاسم البوريني:
الإمارات السبع على الساحل الأخضر. بيروت ١٩٥٧ م.

١٠- أحمد محمود صبحي:
البحرين ودعوى إيران، اسكندرية ١٩٦٢ م.

١١- أحمد مصطفى أبو حاكمة (دكتور):
- تاريخ الكويت. الجزء الأول. الكويت ١٩٦٧.
- محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة. القاهرة، ١٩٦٨ م.

١٢- إدوار جوان:
مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، القاهرة، ١٣٤٠ هـ- ١٩٢١ م.

١٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية. وهي مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا الحاضر. جمعها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الغاصمي، الجزء السابع، مكة الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.

١٤- السيد جمال مصطفى سالم (دكتور):
تكوين اليمن الحديث، القاهرة سنة ١٩٦٣ م.

١٥- أمين الريحاني:
- تاريخ نجد الحديث وملحقاته (الطبعة الثانية)، بيروت سنة ١٩٥٤ م.
- ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية، جزءان، بيروت، ١٩٢٤ م.

١٦- السيد مصطفى سالم:
تكوين اليمن الحديث، ط ٢، القاهرة، ١٩٧١.

١٧- أمين سعيد:
- الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته المعاصرة، بيروت سنة ١٩٦٥ م.
- تاريخ المملكة العربية السعودية، ثلاثة أجزاء، بيروت سنة ١٩٦٤.

١٨- أنور الرفاعي:
جزيرة العرب جغرافياً، بيروت، دون تاريخ.

١٩- بنوا ميشان:
سيرة عبد العزيز آل سعود، ترجمة عبد الفتاح يسن، بيروت.

٢٠- بولس سلامة.
ملحمة عيد الرياض، طبعة ثانية منقحة، بيروت، ١٣٨٠ هـ، ١٩٦٣ م.

٢١- بيير كربيتس:
إبراهيم باشا، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٣٧ م.

٢٢- جان جاك بيربي:
الخليج العربي، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز، طبعة أولى، بيروت، ١٩٥٩ م.

٢٣- جمال الدين الشيال (دكتور):
الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الأوسط، جزءان طبع معهد الدراسات العربية. القاهرة، جـ ١، ١٩٥٧ م، جـ ٢، ١٩٥٨ م.

٢٤- جمال زكريا قاسم (دكتور):
- إمارات الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٦ م.
- دولة البوسعيد. القاهرة ١٩٦٨ م.

٢٥- جلال يحيى (الدكتور):
المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، القاهرة، ١٩٦٧ م.

٢٦- حافظ وهبة:
- جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٥٥.
- خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة ١٩٦٠.

٢٧- حسن إبراهيم وأخوه:
النظم الإسلامية، يبحث في النظم السياسية والإدارية والمالية والقضائية وفي نظام الرق عند المسلمين في كل العصور. طبعة أولى، القاهرة، ١٣٥٨ هـ، ١٩٣٩ م.

٢٨- حسن سليمان محمود (دكتور) وآخرون:
تاريخ المملكة العربية السعودية، القاهرة، ١٩٦٠ م.

٢٩- حسين بن غنام:
تاريخ نجد، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، القاهرة، ١٣٨١ هـ- ١٩٦١ م.

٣٠- حسين فوزي النجار:
السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٥٣.

٣١- حسين بن محمد نصيف:
ماضي الحجاز وحاضره، القاهرة، ١٣٤٩ هـ.

٣٢- حسين خلف خزعل:
تاريخ الكويت السياسي، بيروت، ١٩٦٢ م.

٣٣- حسين مؤنس (الدكتور):
الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة، ١٩٣٨ م.

٣٤- حميد بن محمد بن زريق.
الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين، مخطوط، موجود في مكتبة شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران.

٣٥- خير الدين الزركلي:
- قاموس الأعلام ، سبعة أجزاء ، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ٤ أجزاء ، ١٩٧٠ م.

٣٦- خيري حماد:
أعمدة الاستعمار البريطاني في الوطن العربي، القاهرة، ١٩٦٦ م.

٣٧- واكوبرت فون ميكوش:
عبد العزيز، نقله عن الألمانية أمين رويحة، بيروت ١٩٥٣ م.

٣٨- راشد عبد الله الفرحان:
مختصر تاريخ الكويت، مراجعة عبد الله زكريا الأنصاري، القاهرة، ١٣٨٠ هـ- ١٩٦٠.

٣٩- ساطع الحصري:
- البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٠ م.
- العروبة أولاً ، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٦١ م.

٤٠- سعود بن هذلول:
ملوك آل سعود مطابع الرياض- الرياض.

٤١- سليمان الدخيل:
تحفة الألباء في تاريخ الاحساء، بغداد ١٩١٢، ١٣٣٤ هـ.

٤٢- سليمان بن عبد الوهاب:
الصواعق الإلاهية في الرد على الوهابية، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٣- سليمان بن سحمان:
الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، مطابع الرياض، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧.

٤٤- سليم طه التكريتي:
الصراع على الخليج العربي، من السلسلة السياسية، بغداد ١٩٦٦.

٤٥- سيد نوفل (دكتور):
الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي، جزءان، جـ ١، طبعة ثانية ١٩٦٨، جـ ٢ طبعة أولى ١٩٦٦.

٤٦- سيف الدين مرزوق الشملان:
من تاريخ الكويت. طبع القاهرة ١٩٥٩ م.

٤٧- شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران:
- عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي. القاهرة ١٩٥٢ م.
- المناطق الشرقية في مقاطعة الحسا، الظهران، ١٩٥٠ م.

٤٨- صلاح الدين المختار:
تاريخ المملكة العربية السعودية، ماضيها وحاضرها، جزءان، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٢٧٦، ١٩٥٧.

٤٩- صلاح العقاد
- التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٥.
- الاستعمار في الخليج الفارسي (العربي)، القاهرة، ١٩١٦.
- دعوة حركات الإصلاح السلفي، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع، ١٩٥٨ م.

٥٠- ضاري بن الرشيد:
نبذة تاريخية عن نجد، مخطوطة، كتبت بيد وديع البستاني في مدينة بومباي في الهند، وموجودة على شكل فوتوغراف في مكتبة شعبة البحث العربية التابعة لأرامكو بالظهران.
وقد طبعت بإشراف حمد الجاسر، مدير دار اليمامة في الرياض وبيروت عام ١٩٦٨.

٥١- عبد الحميد البطريق (دكتور):
- الوهابية دين ودولة. بحث منشور بحولية كلية البنات. جامعة عين شمس ١٩٦٤ م.
- إبراهيم باشا في بلاد العرب، القسم الأول من كتاب ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، القاهرة ١٩٤٨ م.

٥٢- عبد الحميد الخطيب:
الإمام العادل، القاهرة جزءان، القاهرة ١٣٧٠ هـ- ١٩٥١ م.

٥٣- عبد الرحمن الجبرتي:
عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ٤ مجلدات، مصر ١٣٢٢.

٥٤- عبد الرحمن الرافعي:
عصر محمد علي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٠ هـ- ١٩٥١.

٥٥- عبد الرحمن الناصر:
عنوان المجد والسعد، مخطوط، جزءان، موجود في مكتبة شركة آرامكو.

٥٦- عبد الرحمن زكي (الدكتور):
التاريخ الحربي لعصر محمد علي، القاهرة ١٩٥٠ م.

٥٧- عبد الرحمن نصر:
عاهل الجزيرة، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

٥٨- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم:
الدولة السعودية الأولى، ط٢، القاهرة ١٩٧٦.

٥٩- عبد العزيز الرشيد:
تاريخ الكويت، وضع حاشيته وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز رشيد، بيروت، بدون تاريخ.

٦٠ - عبد العزيز صبري:
تذكار الحجاز، القاهرة، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م.

٦١ - عبد الفتاح أبو علية (الدكتور):
الدولة السعودية الثانية، الرياض ١٩٧٤ م.

٦٢ - عبد الكريم الغرايبة (الدكتور):
- قيام الدولة العربية السعودية، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- مقدمة تاريخ العرب الحديث، ط، دمشق، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

٦٣ - عبد الله فلبي:
الذكرى العربية الذهبية، ترجمة مصطفى كامل فايد، القاهرة، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م.

٦٤ - فخر الدين الأحمدي الظواهري:
السياسة والأزهر (من مذكرات شيخ الإسلام الظواهري)، القاهرة، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.

٦٥ - فؤاد حمزة:
قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٣٣ م.

٦٦ - محمد أنيس:
الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة.

٦٧ - محمد بن عبد الوهاب:
- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، القاهرة، دون تاريخ.
- كتاب كشف الشبهات، القاهرة، ١٣٥١ هـ.
- كتاب الأصول الثلاثة، القاهرة، دون تاريخ
- كتاب الكبائر، ضمن مجموعة الحديث النجدية، القاهرة ١٣٧٥ هـ.
- السيرة المختصرة، المطبعة السلفية، دون تاريخ.

- السيرة المطولة، المطبعة السلفية، دون تاريخ
- مجموعة رسائله إلى أهل البلاد النجدية والبلدان المجاورة المنشورة في تاريخ ابن غنام ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

٦٨- محمد بن محمد الصنعاني:
- إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين، القاهرة، دون تاريخ.

٦٩- محمد توفيق صادق:
تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية، الرياض ١٩٦٥.

٧٠- محمد حامد الفقي:
أثر الدعوة الوهابية في الحياة الاجتماعية والعمرانية، القاهرة، ١٩٣٥م.

٧١- محمد حسين هيكل (دكتور):
في منزل الوحي القاهرة، ١٩٣٧
مذكرات في السياسة المصرية، جـ ١، القاهرة ١٩٥١م.

٧٢- محمد رشيد رضا:
تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، القاهرة، ١٩٣١م.
- الوهابيون والحجاز، القاهرة، ١٩٢٥م.
- المجلد الأول من مجلة المنار، القاهرة ١٨٩٨ - ١٨٩٩م.

٧٣- محمد رفعت:
التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤.

٧٤- محمد شفيق غربال:
منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه، طبع معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٦١م.

٧٥- محمد عبد الله ماضي (دكتور):
النهضات الحديثة في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٥٢م.

٧٦- محمد عمر رفيع:
في ربوع عسير ذكريات وتاريخ، طبع القاهرة، ١٩٥٤ م.

٧٧- محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس والسيد رجب حراز:
نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٦٠.

٧٨- محمود بهجت سلامة:
البحرين درة الخليج العربي، سنة ١٩٦٣ م.

٧٩- محمود شكري الألوسي:
تاريخ نجد، في آخره تتمة ونقد للشيخ سليمان بن سحمان حققه وعلق عليه محمد بهجت الأثري، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.

٨٠- محمود طه أبو العلا (دكتور):
جغرافية شبه جزيرة العرب، المملكة العربية السعودية، القاهرة، ١٩٦٥ م.

٨١- محمود علي الداود (دكتور):
- الخليج العربي والعلاقات الدولية، القاهرة، سنة ١٩٦١ م.
- قضية عمان في العصر الحديث، القاهرة سنة ١٩٦٤ م.

٨٢- محمود كامل المحامي:
الدولة العربية الكبرى. الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٦ م.

٨٣- مديحة أحمد درويش:
العلاقات السعودية المصرية (١٩٢٤ - ١٩٣٦)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨.

٨٤- مصطفى مراد الدباغ:
الجزيرة العربية، موطن العرب ومهد الإسلام، بيروت ١٩٦٣ م.

٨٥- مصطفى الحفناوي:
ابن سعود، سياسته وحروبه، القاهرة (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م).

٨٦- منير العجلاني (دكتور):
تاريخ البلاد العربية السعودية، الجزء الأول، بيروت، دون تاريخ.

٨٧- ميخائيل الدمشقي:
حوادث الشام ولبنان ١١٩٧ - ١٢٥٧ هـ/١٧٨٣ - ١٨٤١ م، عني بنشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه الأب لويس معلوف اليسوعي، بيروت ١٩١٢ م.

٨٨- نبيه بيوتي عبد الله:
تطور فكرة القومية العربية في مصر، القاهرة، ١٩٧٥ م.

٨٩- نجلاء عز الدين (دكتوره):
تاريخ العالم العربي الحديث، ترجمة، محمد عوض إبراهيم وآخرون، القاهرة ١٩٦٢ م.

٩٠- نور الدين عبد الله السالمي:
تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جزءان، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦١ م.

٩١- وزارة الخارجية - مكة المكرمة:
مجموعة المعاهدات من عام ١٣٥١ - ١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٢٢ - ١٩٣١ م.

٩٢- يوسف الفلكي:
قضية البحرين بين الماضي والحاضر، بدون تاريخ.

رابعاً: المصادر الأجنبية

1 – Aitchison, c. u.:
A collection of Treaties, Engagements and Sands, Relating to India and Neighbouring Countries, Vol XI., (Delhi 1933).

2 – Admiralty War Office;
A Handbook of Arabia, 2 vol; (London, 1916).

3 – Antonious, G.:
The Arab Awakning, (London, 1938).

4 – Armistrong, H. C.:
Lord of Arabia, Ibn Saud, (London, 1934).

5 – Blunt, (Lady Anne):
Pilgriimage to Nejd, vol. II, (London, 1881).

6 – Bombay Government:
Selections from the Record, vol, XXIV. (Bombay, 1856).

7 – Burckhardt, J. L.:
Notes on the Bedouins and the Wahabys, 2 vols, (London, 1830).

8 – Bush, B. C.:
– British and Persian Gulf (1894-1914), (London, 1967).
– Britain, India and the Arabs, 1914-1921, (Berkeley 1971).

9 – Collins, R. O. (ed.):
An Arabian Diary, Sir Gilbert Falkingham Cliton, (Berkeley, 1969).

10 – De Gaury, G.:
Arabian Journey and Other Desert Travels, (London, 1950).
Arabian Phoenix, an Account of Visit to Ibn Saud, (London, 1914).

11 – Dickson, H. R. P.:
Kuwait and Her Neighbours, (London, 1956).
The Arab of the Desert, (London, 1949).

12 – Doughty, C. M.:
Travels in Arabia Desert, (London, 1936).

13 – Hogarth, D. G.:
Arabia, (Oxford, 1922).

14 – Hurwitz, J. C.:
Diplomacy in the Near and Middle East, 2 vols, (Princeton, 1956).

15 – Howarth, D.:
The Desert King, A Life of Ibn Saud, (London, 1964).

16 – Iraq-Report on Iraq Administration, April 1922-March 1923, (London, 1923).

17 – Kadurie, E.:
England and the Middle East, 1914-1921, (London, 1956).

18 – Killy, J. B.:
Britain and the Persian Gulf, 1798-1880, (Oxford 1968).
Eastern Arabian Frontiers, (London, 1964).

19 – Lormier, G. J.:
Gazetteer of Persian Gulf, (Culcutla, 1915).

20 – Malone, H.:
The Arab Lands of Western Asia, (London).

21 – Monroe, E.:
Britain's Moment in the Middle East, 1914-1956, (London, 1963).

22 – Palgrave, W. G.:
Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia, (London, 1865).

23 – Pelly, Lewis:
Report on a Journey to Wahabee Capital of Riyadh in Central Arabia, (Bombay, 1966).

24 – Philby, J. B.:
Arabian, (London, 1930).
Arabian Jubilee, (London, 1952)
Saudi Arabia, (London, 1955).

25 – Rihani, A.:
Ibn Saud of Arabia, «His People and his Land», (London, 1926).

26 – Sadlier, C. G. F.:
Diary of a Journey across Arabia from Khatif in Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year, (Bombay, 1866).

27 – Sanger, R. H.:
Arabian Peninsula, (New York, 1954).

28 – Taylor, B.:
Travels in Arabia, (New York, 1893).

29 – Toynbee, A. J.:
The Islamic World Since the Peace Settelement.
(Survey of International Affairs), (London, 1927).

30 – Troeller, G.:
The Birth of Saudi Arabia, (Britain and the Rise of the House of Saud), (London, 1976).

31 – Twitchell, K. S.:
Saudi Arabia, (Princeton, 1958).

32 – Wilson, (Sir Arnold):
The Persian Gulf, (London, 1954).

33 – Winder, R. B.:
Saudi Arabia in the Ninteenth Century, (New York, 1965).

34 – Young, H.:
The Independent Arab, (London, 1933).





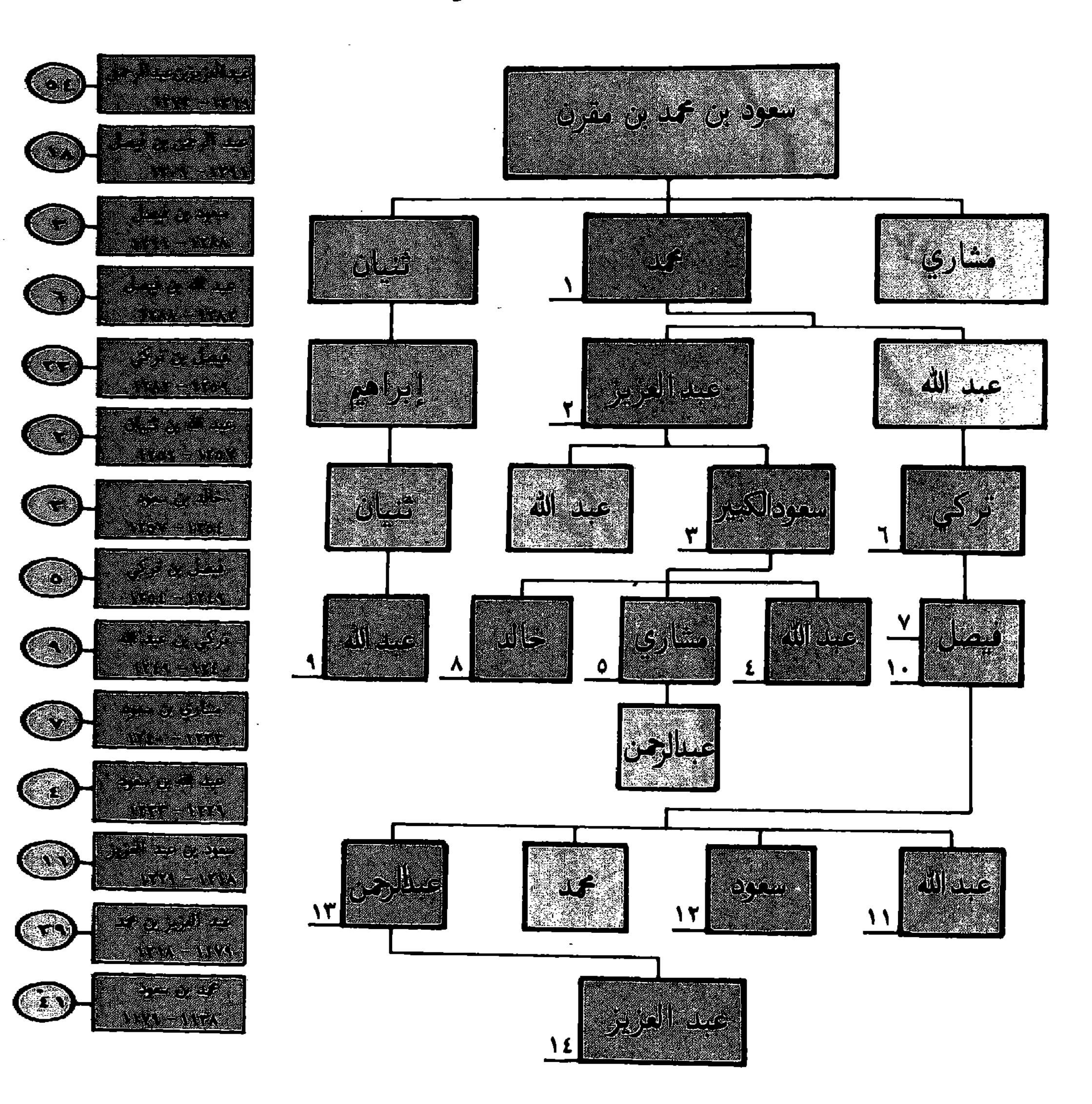








ملوك وأمراء
الدولة العربية السعودية

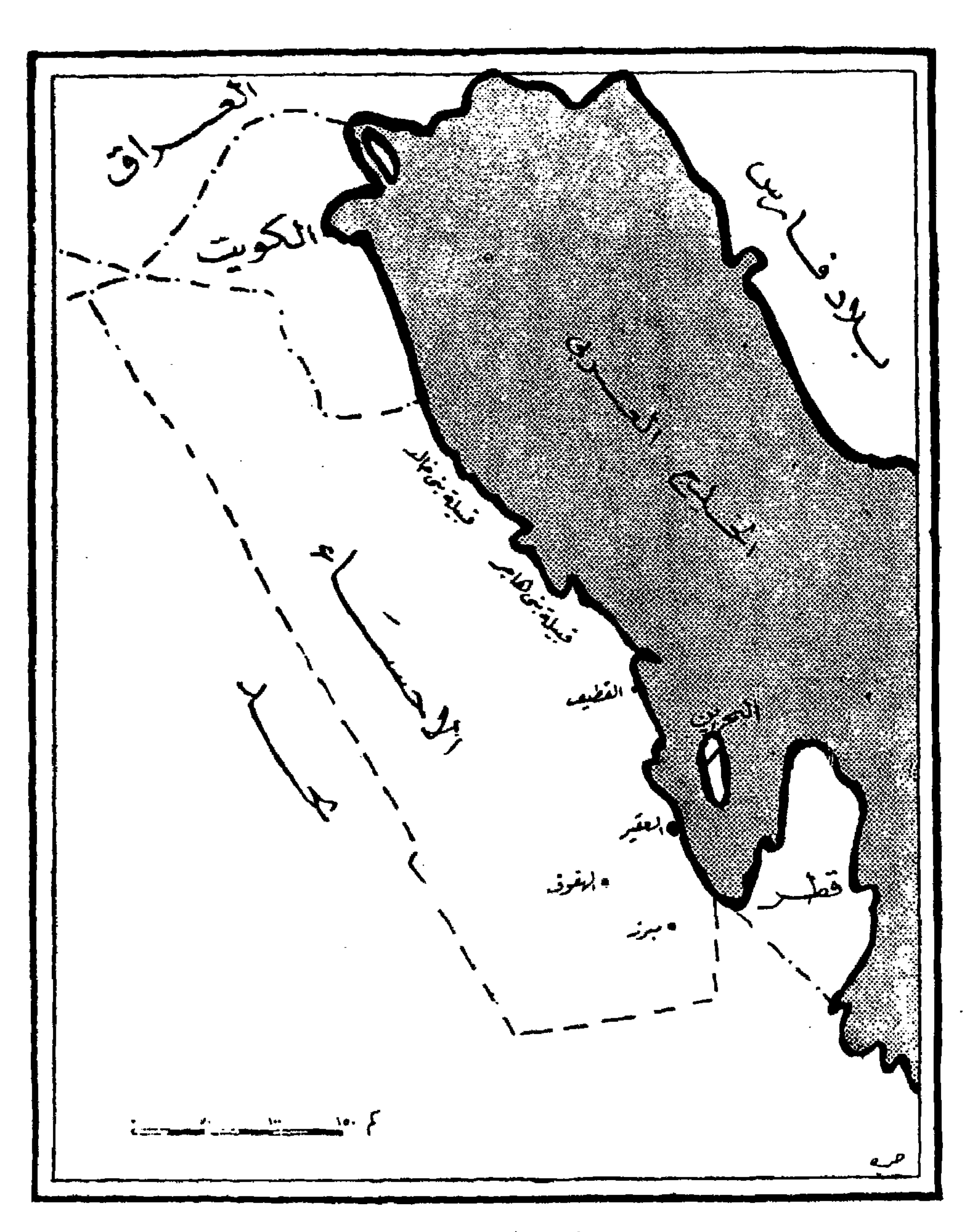


٢ عدد سنوات الحكم

محمد أمراء حكموا

مشاري أمراء لم يحكموا

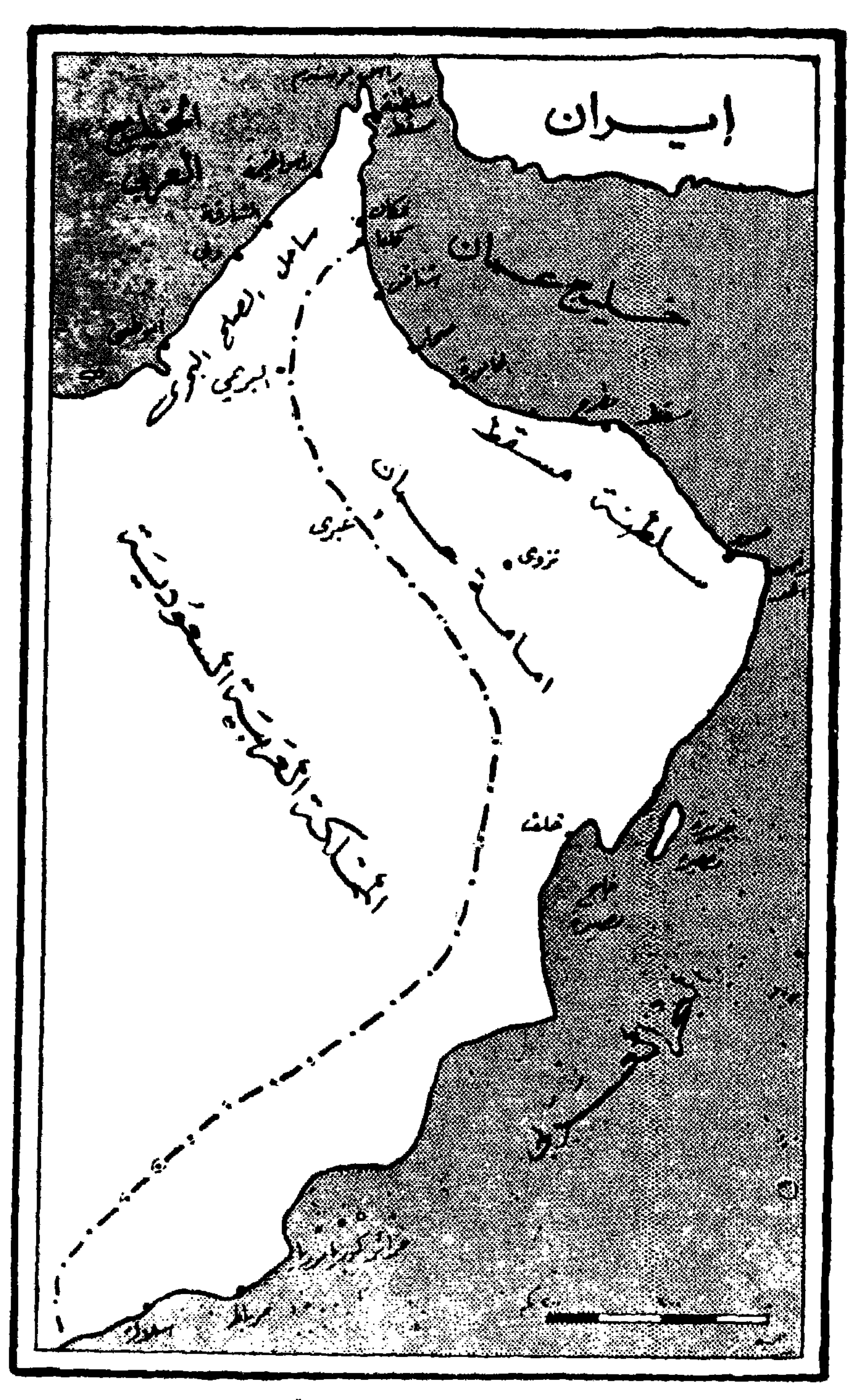




منطقة الاحساء وقطر

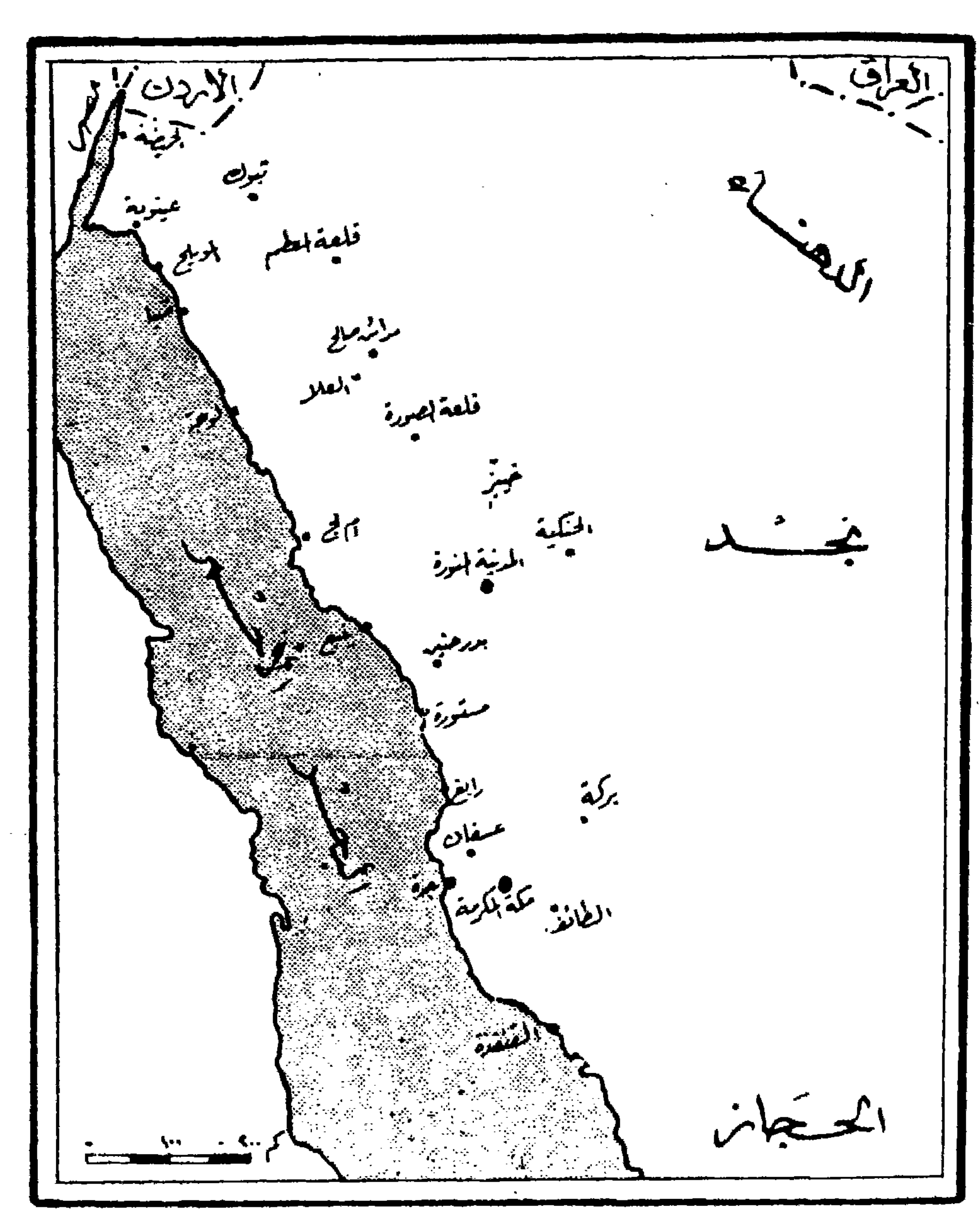






منطقة مسقط وإمامة عُمان

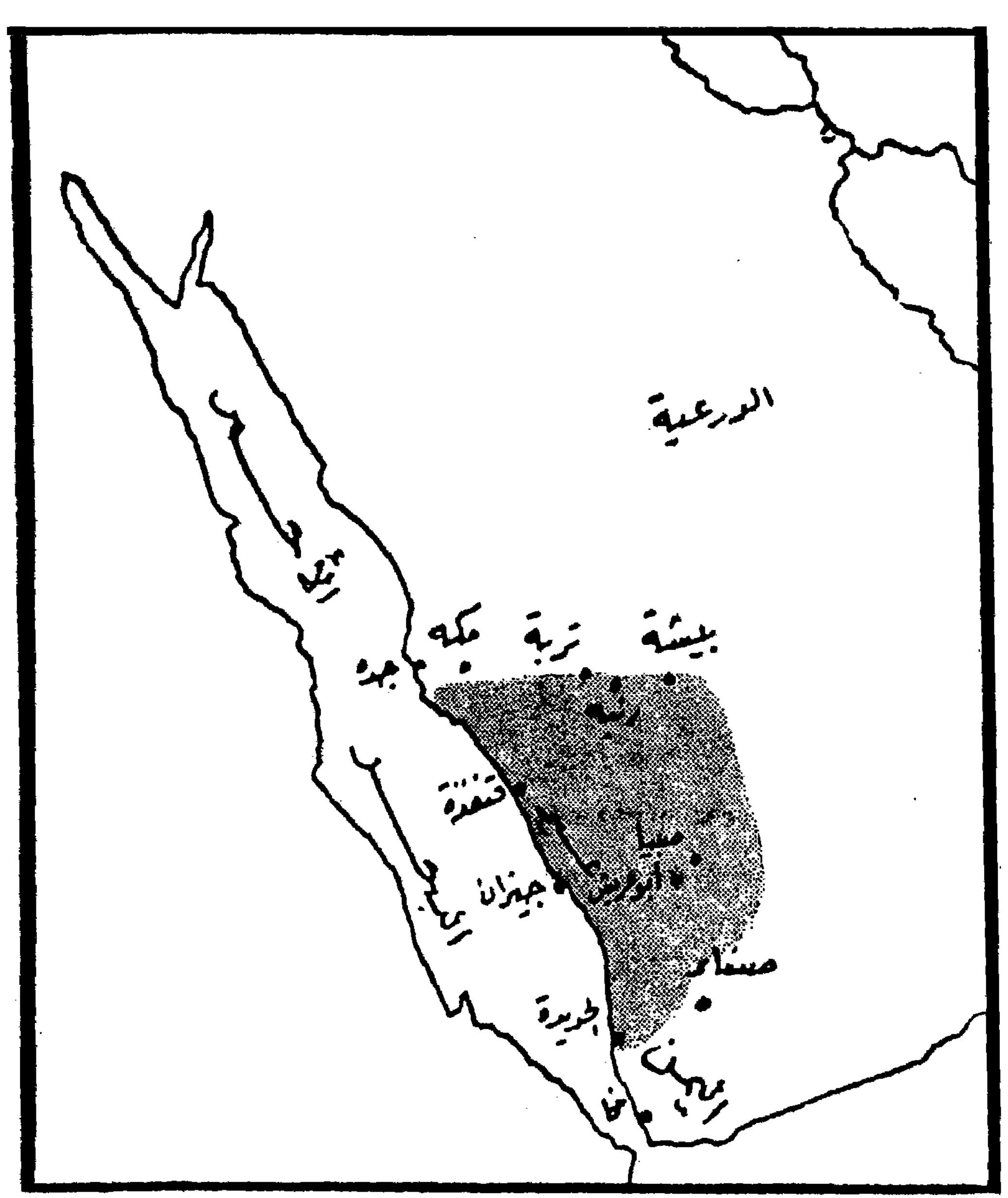




آل سعود والحجاز (الدولة السعودية الأولى)

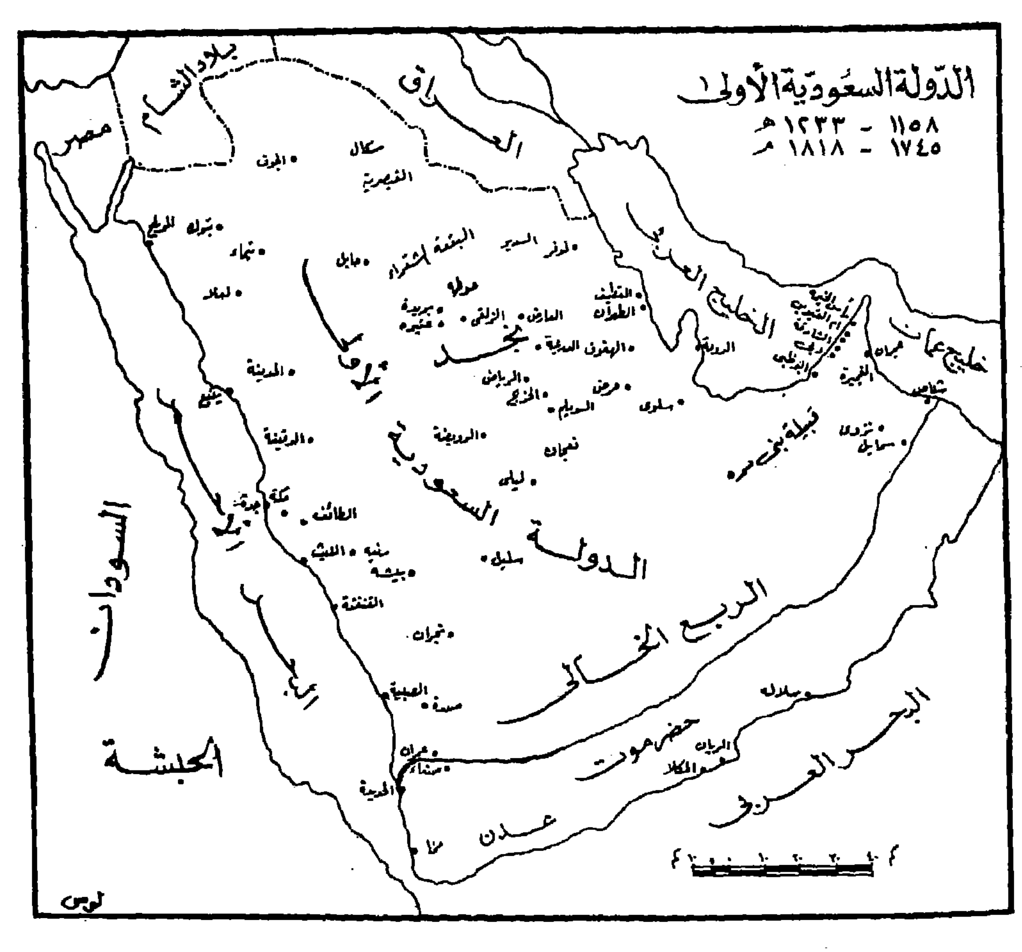
(نقلاً عن عبد الرحيم عبد الرحمن: الدولة السعودية الأولى)





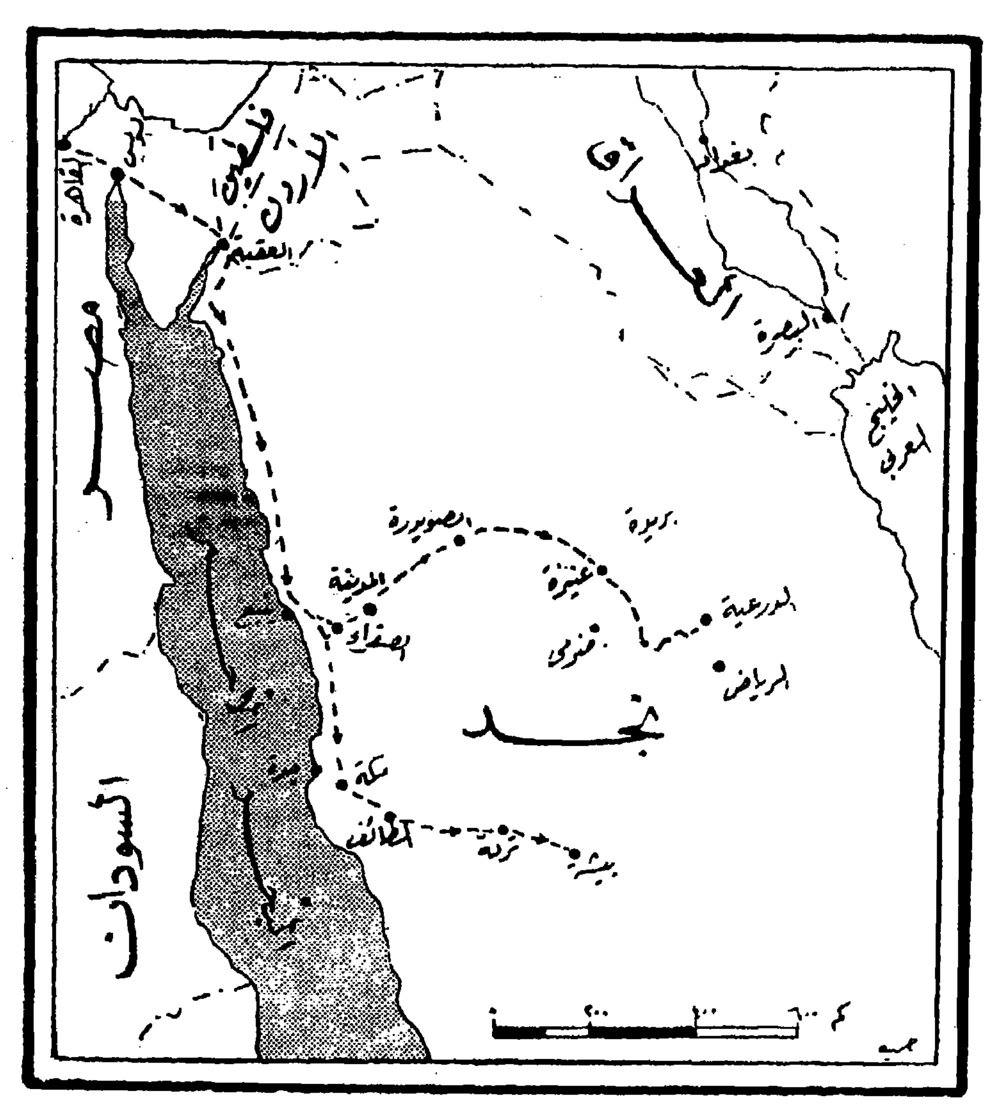
المناطق اليمنية
التي وصل إليها النفوذ السعودي
في الدولة السعودية الأولى





(نقلاً عن عبد الرحيم عبد الرحمن: الدولة السعودية الأولى)

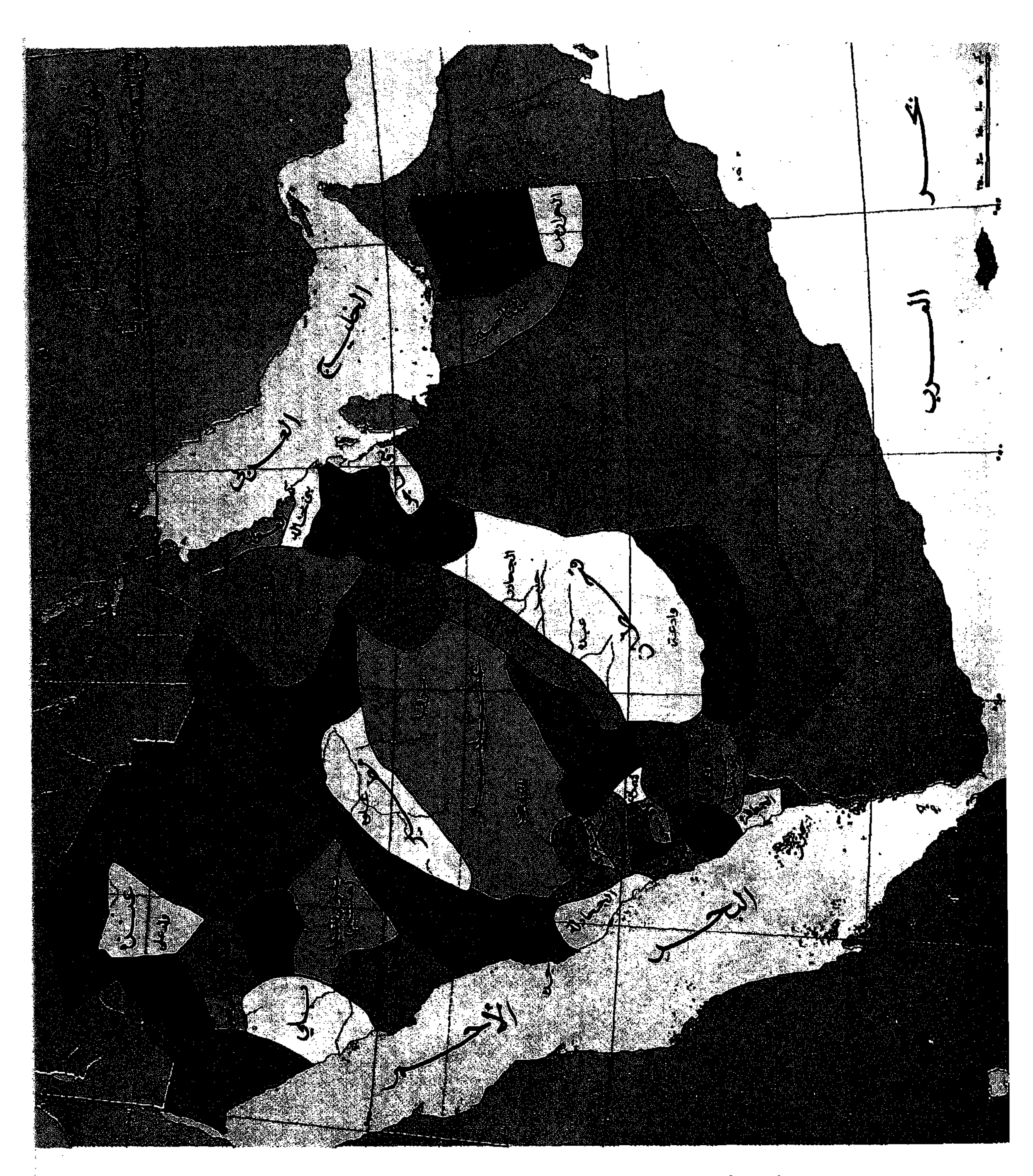




خريطة تحرك قوات إبراهيم باشا في الجزيرة العربية

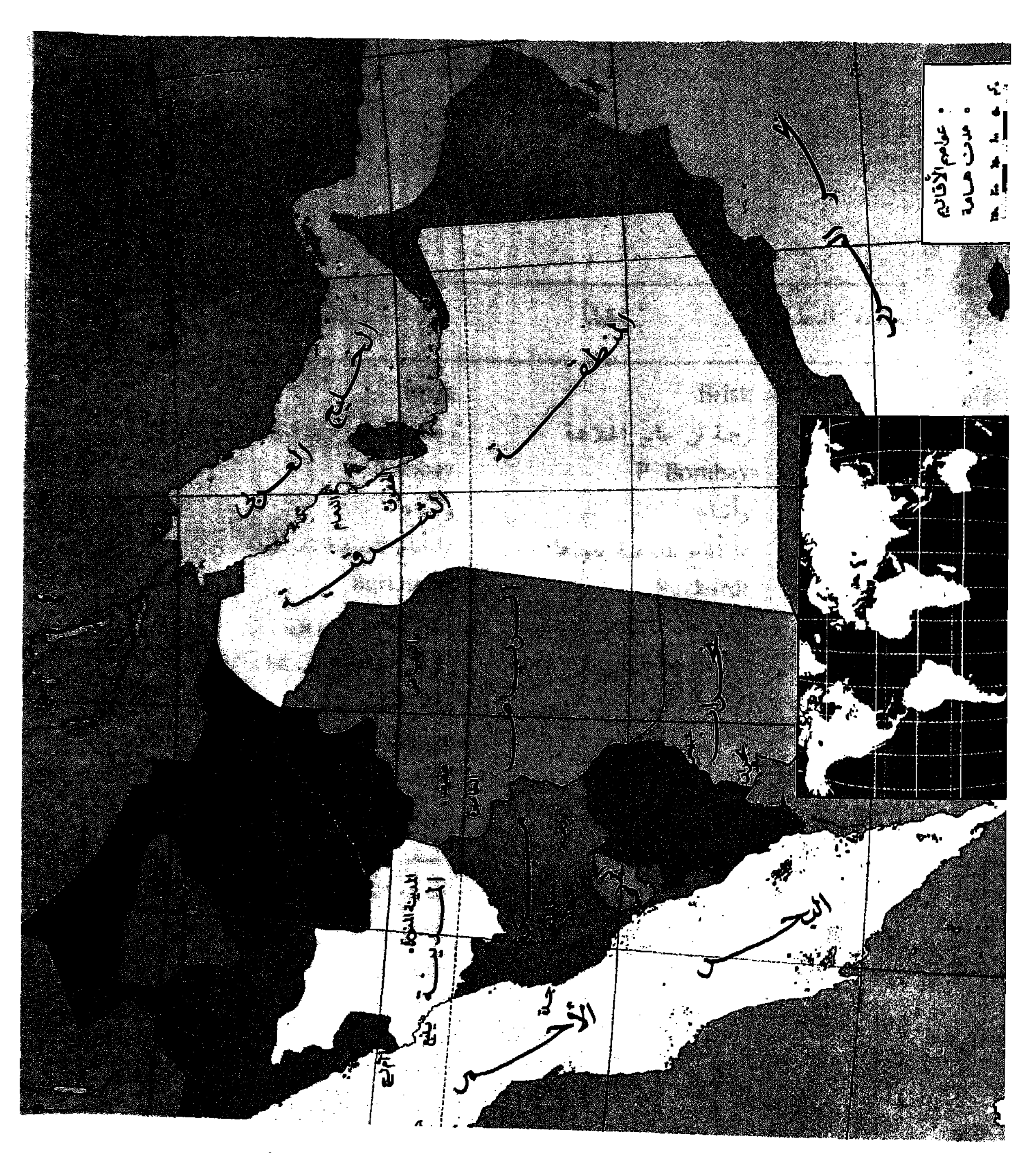
(نقلاً عن عبد الرحيم عبد الرحمن: الدولة السعودية الأولى)





(نقلاً عن أطلس المملكة العربية السعودية للدكتور حسين حمزة بندقجي)





(نقلاً عن أطلس المملكة العربية السعودية للدكتور حسين حمزة بندقجي)



تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٢٤	Brisk	Brish
٤١	١٩	رجمة بن جابر الجلاحمة	رجمة بن جابر الجلاهمة
٤٣	٢٢	P. Bombay	Bombay
٤٧	١١	وأتباع	واتّباع
٤٧	١٤	مما أتاح للدرعية نفوذها	مما أتاح للدرعية مد نفوذها.
٤٨	٢١	Buzkardt	Burkhardt
٦٢	٢٤	(٢٥) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق ص ١٢٨	أحمد القاسم البوريني: الإمارات السبع ص ٨٥، ٨٦.
٦٣	٢	وقد انهت	وقد انتهت
٦٤	١٤	ص ٥٦	ص ١٨٥
٦٥	١٢	على رأس قوة	تحذف
٦٦	١، ٢	جملة مكررة	يحذف السطر الأول وأربع كلمات من السطر الثاني.
٦٦	٢١	المراجع السابق ص ١٩٤	المرجع السابق ص ١٨٤
٨٢	٢	١٩٢٦ م	١٩٢٧ م
٨٧	١٩	١٩١٨ م	١٩٠٨ م
٨٩	١٤	حتى	حتمي
١٠٨	٤	خالد بني لوعي	خالد بني لؤي.
١١٤	١٣	قرار	إقرار

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٨	٢٠	ص	ص ٩٧
١٢٩	١٦	ألقاه أعيان	ألقاه على أعيان
١٣١	١٣	خاص	خامس
١٣٣	١٢	ملك	مُلك
١٣٧	٧	خير	ضير
١٥٠	٩، ١٠	لا - راحة	لإراحة
١٥٧	٧	اختبار	اختيار
١٥٨	١٧	أثمرت	أغرت
١٨١	٧	نبيه بيوتي	نبيه بيومي



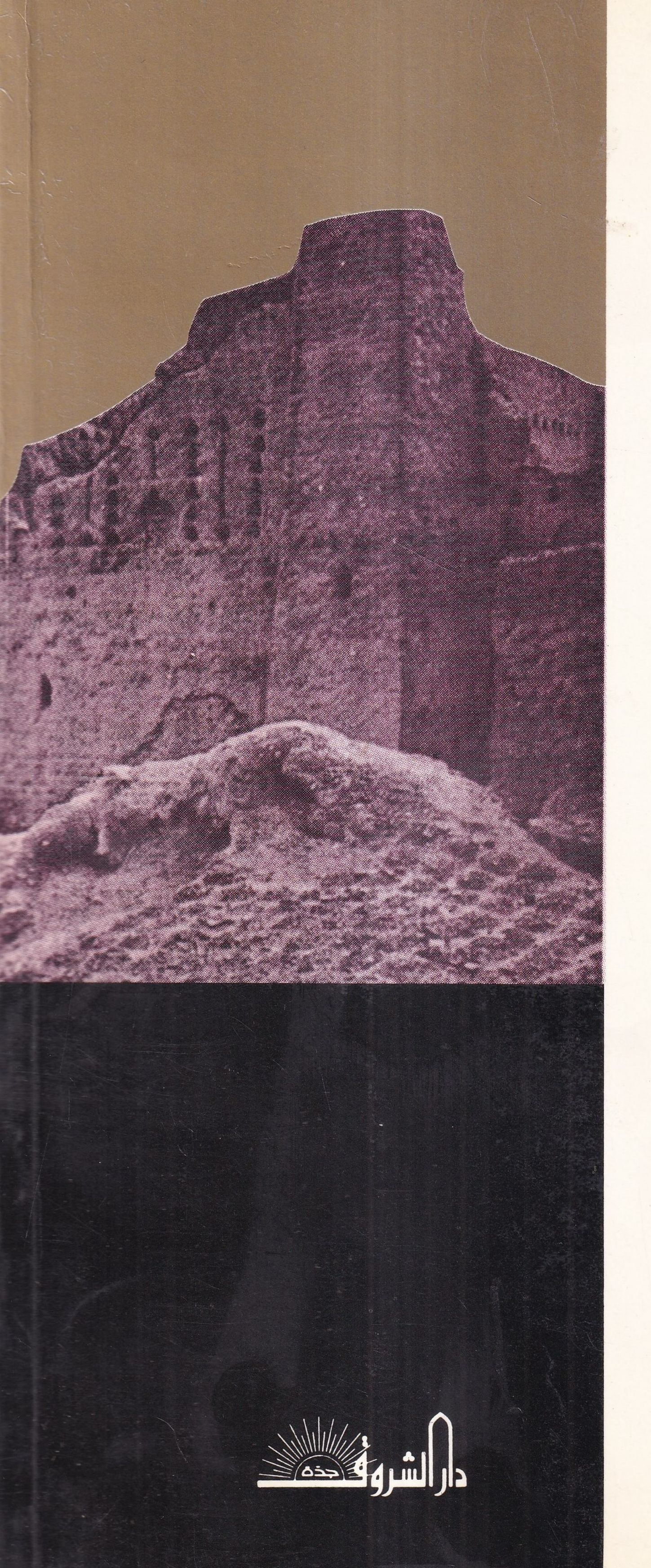
فهرس الموضوعات

١ . نشأة الدولة السعودية وتطورها

٢ . عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل وبناء الدولة الجديدة

٣. عبد العزيز ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها





هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب حياة الدولة السعودية في مراحلها الثلاث: فيتحدث عن نشأة الدولة السعودية الأولى وحياة مؤسسها محمد بن سعود؛ كما يتحدث عن قيام الدولة السعودية الثانية وأسباب الحرب الأهلية في أيامها؛ ويدرس الكتاب إعادة بناء الدولة السعودية على يدي الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية والإنجازات الاجتماعية والاقتصادية التي تمت في عهده.

كل ذلك في عرض تاريخي واضح وأسلوب علمي رصين يقدمان للقارىء صورة دقيقة عن الدور الهام الذي أدته - وتؤديه - المملكة العربية السعودية في النهضة الإسلامية عامة والعربية خاصة.